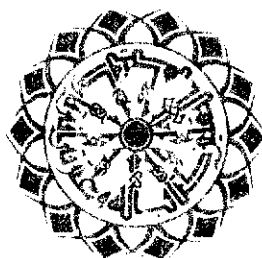


بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



المجمع العالمي لأهل البيت

سُئِلَ الثَّقَلَيْنِ

مَجَلَّةُ إِسْلَامِيَّة جَامِعَةٌ

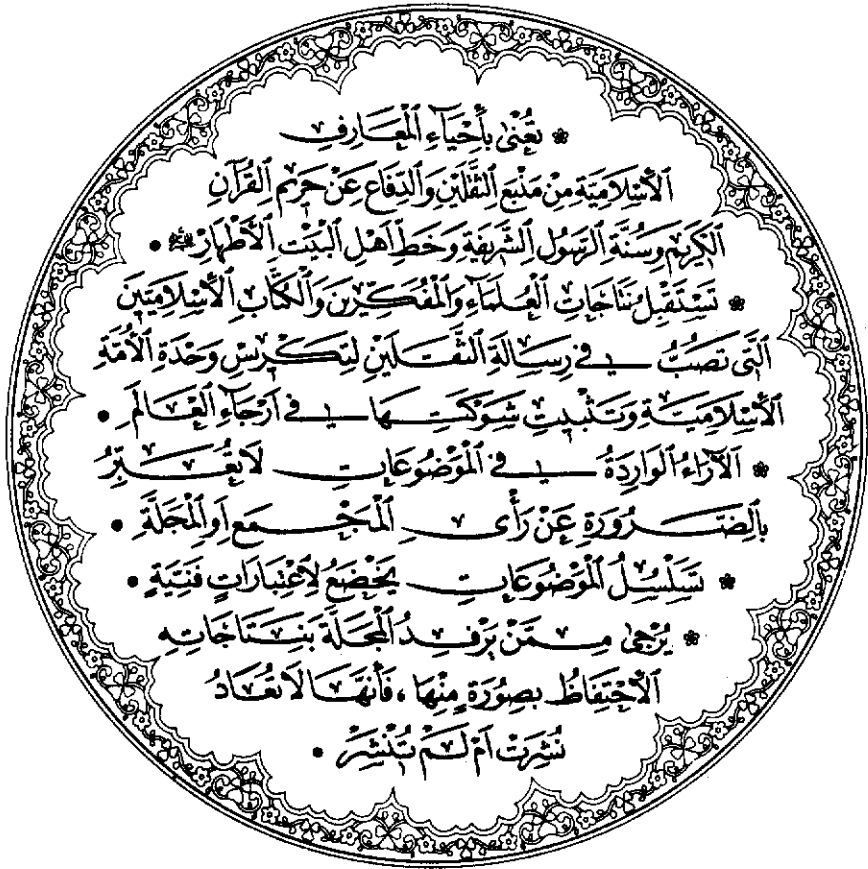
العدد الثالث. السنة الأولى. رَجَبُ الْمُزَجَّجِ - رَمَضَانُ الْمَكْرَمُ ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م

المراسلات والاتصالات مع هيئة التحرير على أحد العنوانين التاليين:

* المكتب الرئيسي: الجمهورية الإسلامية الإيرانية. قم. ص. ب: (٨٩٤-٣٧١٨٥) هاتف: ٣٧٢٩٠ فاكس: ٢٥١٧٩.

* المكتب الفرعي: الجمهورية الإسلامية الإيرانية. طهران. ص. ب: (٣٥١٦-١٥٨١٥) هاتف: ٨٩٣٤٦٨ / ٨٨٩٢٩٧٣ /

٨٨٩٢٩٧١ فاكس: ٨٨٩٢٩٧٢ نلكس: MJMAIR ٣٢٦



ضمن النسخة

- الجمهورية الاسلامية الايرانية ١٠٠٠ ريال □ العراق ٤ دنانير □ لبنان ١٥٠٠ ليرة
- سوريا ٢٥ ليرة □ الاردن ١٤٠٠ فلسا □ الكويت ١٦٠٠ فلسا □ البحرين ١٨٠٠ فلسا
- الامارات ٢٥ درهما □ قطر ٢٥ ريالا □ عمان ريالان □ السعودية ٢٥ ريالا
- اليمن ١٥ ريالا □ مصر ١٥٠٠ مليما □ ليبيا ١٩٠٠ درهما □ السودان ١٢٠٠ مليما
- تونس ١٥٠٠ مليما □ المغرب ١٦ درهما □ الجزائر ١٤ دنانيرا.
- وفي باقي دول آسيا وأفريقيا وأمريكا وأستراليا وأوروبا ٧ دولارات أو ما يعادلها.

محتويات العدد

- الحكومة الاسلامية في نهج البلاغة (٢)
- سماحة الشيخ الدرّي النجف آبادي ١٥٢
- المدارس الاستشراقية (١)
- «المدرسة الفرنسية»
- الشيخ فؤاد المقدادي (العراق) ١٦٩
- المجتمع الاسلامي من وجهة نظر الامام الخميني (٣)
- «الامام الخميني وبناء الدولة الاسلامية»
- الاستاذ عبد اللطيف عبادي (الجزائر) ٢٠٦
- الاخلاق في القرآن الكريم (١)
- الشيخ محمد تقي المصباح البيدي ٣٥

كلمة التحرير

- حب أهل البيت وولاؤهم ٥

من آفاق القيادة الانشائية

- نداء التوحيد والعدالة
- ولي أمر المسلمين
- آية الله السيد الخامنئي (دام ظله) ١٠

من فقرات سلسلة أهل البيت

درکات

- الاستصناع
- سماحة الشيخ محمد المؤمن ١٠٧

تقديم

- أهل البيت (ع) في القرآن الكريم (٣)
- هل تشمل آية التطهير زوجات النبي (ص)؟
- سماحة السيد جعفر مرتضى العاملي (لبنان) .. ١٣
- دور أهل البيت في بناء الكتلة الصالحة (٢)
- سماحة السيد محمد باقر الحكيم (العراق) .. ٧٨
- الحب الإلهي في أدعية أهل البيت (ع) (٢)
- سماحة الشيخ محمد مهدي الآصفي ٤٨
- الجلسة التمهيدية لمؤتمر الجمعية العامة
- للمجمع العالمي لأهل البيت (ع) ١٠٢

المحتويات

لشعوب ودول آسيا الوسطى الإسلامية

أحمد الواسطي (العراق) ١٨٧

عبد السلام العبداني (العراق) ١٩٥

سُؤال وجواب

• السجود على الأرض أو ما أنبتته

سماعة الشيخ جعفر السبحاني ٢١٨

من أنسكوا إليّ

• مجموعة أخبار وتقارير عن أحوال المسلمين

وأتباع أهل البيت في أنحاء العالم ٢٣٥

من عرّفكم أهل البيت

• العدل والظلم

إعداد: هيئة التحرير ١٣٠

فقرءوا في المكتوب للآل

• تقويم عام للمعدد الثاني

من مجلة رسالة الثقليين

الاستاذ اسامة البصري (العراق) ٢٥٤

رأي

• أسباب الخلاف والتناحر بين المسلمين

سماعة السيد محمد تقي الحكيم (العراق) . ٧١

فهرس وأداس

• مختارات من الرواية الشعرية

«سكينة بنت الشهيد»

شعر: علي الصقلي (المغرب) ٢٣١

• دراسات في عمارة السورة القرآنية

الدكتور محمود البستاني ٢٤

• يا سادس الخلفاء

شعر: ابراهيم جواد (سوريا) ١٦٦

• مناجاة

ابتهال البغدادي (العراق) ٤٦

• خاطرة: رحلة الايمان من غار حراء إلى غدير خم

أبو اسامة ٢١٦

من أنسكوا في مدرسة أهل البيت

• الشيخ ابن المعلم المفيد قدس سره

الشيخ محمد هادي اليوسفي الغروي ... ١٣٧

لشعوب

• المستقبل الاسلامي

حَبْسُ أَهْلِ الْبَيْتِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ وَوَلَاؤُهُمْ

يبقى الحديث عن أهل البيت عليهم السلام قائماً دائماً كالحديث عن القرآن الكريم، لا ينتهي أمده، ولا يقف عند حدٍّ ذكره. فانهما حبلان لا ينقطعان إلى يوم القيامة. عهد من الله لرسوله، أنهما لن يفترقا حتى يردا عليه الحوض^١. ويبقى ودهم أجر الرسالة^٢ - وليس للرسالة من أمد - كيف لا؟! وهم العترة الطاهرة، والعروة الوثقى، كيف لا؟! وهم صراط الله المستقيم^٣، وورثة الانبياء والمرسلين، كيف لا؟! وهم منطلق الوفاق^٤، ومفترق الايمان والنفاق^٥. الحق منهم ومعهم يدور حيث يدورون^٦. من تمسك بهم نجا، ومن تخلف عنهم غرق وهوى^٧.



- (١) قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي ألا فتمسكوا بهما فإنهما حبلان لا ينقطعان إلى يوم القيامة» راجع: صحيح مسلم ١٢٢: ٧. وسنن الترمذي ٣٠٧: ٢. ومسند أحمد ٣: ١٤ و١٧. وخصائص النسائي: ٣٠.
- (٢) قوله تعالى: «قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى» الشورى: ٢٣.
- (٣) راجع افتتاحية العدد الثاني من مجلة «رسالة الثقلين».
- (٤) في خطبة الزهراء فاطمة عليها السلام بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «جعل الله... وطاعتنا نظاماً للملّة وإمامتنا أماناً للفرقة». الاحتجاج: ٩٩ الطبعة البيروتية.
- (٥) قول الرسول صلى الله عليه وآله: «يا علي لا يحبك إلا مؤمن، ولا يبغضك إلا منافق». كنز العمال: ح ٣٢٨٧٨
- (٦) قول الرسول صلى الله عليه وآله: «علي مع الحق والحق مع علي، ولن يفترقا حتى يردا علي الحوض يوم القيامة». راجع: تاريخ دمشق، لابن عساكر ٣: ١٢٠.
- (٧) قول الرسول صلى الله عليه وآله: «مثل أهل بيتي كسفينة نوح، من ركبها نجا، ومن تخلف عنها غرق وهوى». سفينة البحار ١: ٦٣٠. المناقب لابن المغازلي الشافعي: ١٣٢ الحديث ١٧٣.

كَلِمَةُ الْيَجَزْزْ

وقد كان منّا حديث عن حبّهم عليهم السلام، وأن به وحدة المسلمين، ورّص صفوفهم بنياناً يعلمو به شأنهم، وتقوى به شوكتهم، ويكون الدين كلّهُ لله. واثماً لذلك الحديث اظهاراً للحق، ومزیداً منه دفعاً للغی :

تساءل عن حقيقة هذا الحب الذي هو أجر للرسالة، ماذا يراد منه؟ وماذا يريد به أمين الرسالة؟

ويأتي نداء السماء مؤكداً ومنساباً إلى النفوس الصافية، والعقول اللبية في خطاب الروح الأمين ﴿قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله﴾^١.

ويتتابع الخطاب الإلهي كاشفاً عن حقيقة هذا الحب، وواقع هذا الاتباع، ومدى ارتباطهما بالایمان والارتداد بكل صراحة : ﴿يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزّة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم﴾^٢ والحب فضل من الله، وجهاد في سبيله، لا يخاف أهله فيه لومة لائم ولا سطوة ظالم.

وتكتمل مسيرة الايمان، وتنظم جهود المؤمنين، وتتبلور الرعاية الربانية في القدوة المتفانية في خط الولاية الإلهية، والقاعدة الملتفة حولها، المنشدة إليها حباً وولاء وإخلاصاً واتباعاً، وبهذا تتمّ النعمة ويكتمل الدين، كما قال جل من قائل : ﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام ديناً﴾^٣.

وإن لم تكن الولاية لله ولرسوله ولأهل بيته فلمن تكون؟ والعقل والوحي يتطابقان : ﴿أمن يهدي إلى الحق أحق أن يتبع أمن لا يهدي إلا أن يهدى فما لكم كيف تحكمون﴾^٤. ولا يجتمع في قلب انسان حبان متنافران، إذ : ﴿ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه﴾^٥. فالایمان هو محض الحب لله سبحانه دون سواء، بل ﴿الذين آمنوا أشد حبا

(٢) المائدة : ٥٤.

(٤) يونس : ٣٥.

(١) آل عمران : ٣١.

(٣) المائدة : ٥.

(٥) الانحزاب : ٤.

كَلِمَةُ الْيَجْزَرِ

لله^١، وحبَّ الله هو حبَّ كل وليِّ محبوب له^٢.

وهكذا يترشح حبَّ أهل بيت النبوة ومعدن الرسالة من حبَّ الله، وولاؤهم من ولاء الله، فإن سبيلهم هو سبيل الله، بل إن ولاءهم - الذي هو أجر الرسالة - هو السبيل إلى الله ﴿قل ما أسألكم عليه من أجرٍ إلّا من شاء أن يتخذ إلى ربِّه سبيلاً﴾^٣.

ولا غرابة أن تتركز هذه العقيدة عند أتباع أهل البيت عليهم السلام بوضوح وجلاء عبر تاريخ مسيرتهم الطويلة، وأصبحت سمة بارزة وعلامة فارقة للصداق منهم عن غيره.

فعندما دخل بعض الموالين على أبي عبد الله جعفر بن محمد الصادق عليه السلام قالوا: إنّما أحببناكم لقرايتكم من رسول الله صلى الله عليه وآله، ولما أوجب الله عزّ وجل من حقّكم، ما أحببناكم للدنيا نصيبها منكم إلّا لوجه الله والدار الآخرة، وليُصلَحَ لامرئٍ منّا دينه. فقال أبو عبد الله عليه السلام: صدقتم صدقتم، ثم قال: من أحبّنا كان معنا يوم القيامة هكذا - ثم جمع بين السبّابتين - ثم قال: والله لو أن رجلاً صام النهار وقام الليل ثم لقي الله عزّ وجل بغير ولايتنا أهل البيت للقيه وهو ساخط عليه. ثم قال: وذلك قول الله عزّ وجل: ﴿وما منعهم أن تقبل منهم نفقاتهم إلّا أنهم كفروا بالله وبرسوله ولا يأتون الصلاة إلّا وهم كسالى ولا ينفقون إلّا وهم كارهون﴾ فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم إنّما يريد الله ليعذبهم بها في الحياة الدنيا وتزهق أنفسهم وهم كافرون﴾، ثم قال: إن تكونوا وحدانيين فقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله وحدانياً، يدعو الناس فلا يستجيبون له، وكان أول من استجاب له علي بن أبي طالب عليه السلام. وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «أنت منّي بمنزلة هارون من موسى إلّا أنه لا نبيّ بعدي»^٤.

وقد دخل رجل - آخر - على الامام الصادق عليه السلام أيضاً، فقال له الامام عليه السلام:

(١) البقرة: ١٦٥.

(٢) كما ورد في الدعاء عن أحد المعصومين عليهم السلام: «اللهم ارزقني حبّك وحبّ من يحبّك وحبّ كل عمل يقربني إليك».

(٣) الفرقان: ٥٧.

(٤) روضة الكافي: الحديث ٨٠ الحديث النبوي الشريف: صحيح البخاري ٥: ١٢٩. صحيح مسلم ٢: ٣٦٠.

كَلِمَةُ النَّجْوَى

مَنْ الرجل؟ فقال : من محبيكم ومواليكم، فقال له جعفر عليه السلام : لا يحب الله عبداً حتى يتولاه، ولا يتولاه حتى يوجب له الجنة. ثم قال له : من أي محبين أنت؟ فسكت الرجل. فقال له سدير : وكم محبوكم يا ابن رسول الله؟ فقال : على ثلاث طبقات :

طبقة أحبونا في العلانية ولم يحبونا في السر.

وطبقة يحبونا في السر ولم يحبونا في العلانية.

وطبقة يحبونا في السر والعلانية، هم النمط الأعلى، شربوا من العذب الفرات، وعلموا بأوائل الكتاب وفصل الخطاب وسبب الأسباب، فهم النمط الأعلى.

والطبقة الثانية النمط الأسفل، أحبونا بالعلانية وساروا بسيرة الملوك، فآلستهم معنا وسيوفهم علينا.

والطبقة الثالثة النمط الاوسط، أحبونا في السر ولم يحبونا في العلانية. ولعمري لئن كانوا أحبونا في السر دون العلانية فهم الصوامون بالنهار القوامون بالليل، ترى أثر الرهبانية في وجوههم، أهل سلم وانقياد.

قال الرجل : فأنا من محبيكم في السر والعلانية.

قال جعفر عليه السلام : إن لمحبين في السر والعلانية علامات يعرفون بها.

قال الرجل : وما تلك العلامات؟ قال : تلك خلال أولها أنهم عرفوا التوحيد حق معرفته، وأحكموا علم توحيده، والايمان بعد ذلك بما هو وما صفته، ثم علموا حدود الايمان وحقائقه وشروطه وتأويله^١.

وما افتتن المسلمون في مسيرتهم اللاحقة إلى الله تعالى كما افتتنوا بأمر الولاية.

ومن أجلها يدعو صادق آل محمد ربه طالباً معرفة الحق في الدين قائلاً : «اللهم عرّفني نفسك فإنك إن لم تعرّفني نفسك لم أعرف رسولك، اللهم عرّفني رسولك فإنك إن لم تعرّفني رسولك لم أعرف حجّتك، اللهم عرّفني حجّتك فإنك إن لم تعرّفني حجّتك ضللت

(١) تحف العقول : ٣٢٤، من كلامه عليه السلام في وصف المحبة.

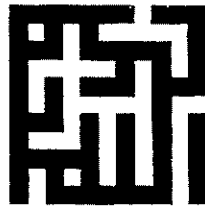
كَلِمَةُ الْيَجْزِ

عن ديني».

والمعرفة يستتبعها الحب، والحب يستتبع الطاعة والعمل، والطاعة تتقوم بالصبر والمصابرة والتواصي بالحق والتواصي بالصبر. ولقد شكى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام إلى رسول الله صلى الله عليه وآله حسد الناس فقال له : يا علي ! إن أول أربعة يدخلون الجنة أنا وأنت والحسن والحسين، وذريتنا خلف ظهورنا، وأحبأؤنا خلف ذريتنا، وأشياعنا عن إيماننا وشمائلنا^(١). ولنعلم أن الله سبحانه لا يُخدع عن جنته^(٢)، فقد أعدّها للذين يوفون بعهد الله ولا ينتقضون الميثاق^(٣).

وليعلم كل من أحب أهل البيت عليهم السلام حبّ علم ودراية وطاعة وولاية أن أمانتهم عظيمة لا يحملها إلا من امتحن الله قلبه للإيمان، ووطن نفسه على طريق ذات الشوكة، وهم كما وصفهم صادق آل محمد : «...مستهم البأساء والضراء، وزلزلوا وفتنوا، فمن بين مجروح ومذبوح، متفرقين في كل بلاد قاصية...وهم الأقلون عدداً، الأعظمون عند الله قدراً وخطراً»^(٤).

ويغمرهم ربهم بلطفه ورحمته، ويهديهم بإيمانهم كما وعدهم، إنه لا يخلف الميعاد : ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ * دَعَوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنْ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾^(٥).



(١) المفيد، الارشاد : ٢٦.

(٢) إشارة إلى الآية الكريمة من سورة الرعد : ٢٠.

(٣) تحف العقول : ٢٤٠.

(٤) يونس : ٩٠ - ١٠٠.

نداء التوحيد والعادلة

وَلِيَّ آيَةِ التَّوْحِيدِ

آيَةُ اللَّهِ السَّيِّدِ الْخَامِنِيِّ، عَلَيْهِ السَّلَامُ.

إنَّ البشرية تحتاج اليوم إلى العودة للتوحيد الخالص وقانون العدالة الاجتماعية، إذ لا تزال الدول المتقدمة في العالم والمتطورة من الناحية المادية تكابد من مسألة الأسود والأبيض، ولا زالت الحرب قائمة على أساس العرق والدم والقومية، فها هي أرواح الآلاف من البشر تزهرق في نيران الحروب التي أشعلها الاستكبار على خلافات قومية ووطنية مفتعلة.

فالبشرية اليوم في أمس الحاجة إلى نداء التوحيد والعدالة، ولا يمكن أن ينادي بهذين المبدئين غير الإسلام الذي قدّم وصفة رائعة لضمان العدالة من خلال قانون ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾^(١)، فهو يدعو إلى التقوى والورع ونبذ بذور التمييز بين البشر على أساس القومية والعرق واللون وما شابه ذلك.

إنَّ المستكبرين هم الذين يعارضون قضية الوحدة هذه الأيام، ويستغلون الفقرة والشرك والظلم لتنفيذ مآربهم، ويشيدون وجودهم وفلسفة حياتهم على سياسة التمييز العنصري، وهم الذين يخنقون «الديمقراطية» على الصعيد العالمي، ويحملون في نفس

(٥) استلّت هذه الخلاصة من الكلمة الرسالية التي ألقاها وليّ أمر المسلمين آية الله السيد علي الخامني في عمرة أعياد المولد النبوي الشريف بتاريخ ١٧ ربيع الأول ١٤١٣ هجرية. التحرير

(١) الحجرات: ١٣.

مِنْ أَفَاقِ الْقِيَادَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ

الوقت شعار الدفاع عن «الديمقراطية» والمساواة بين أفراد المجتمع في الحقوق ومكافحة الاستبداد الحكومي، وكان دأبهم دوماً هو ترجيح شعبٍ على آخر، ومنطقة على أخرى، ودمٍ على غيره، فرسخوا بذلك سطوة الاستبداد في الدنيا لكي يديروا العالم كيفما يشاؤون.

هذا هو وضع البشرية في عصرنا الراهن، إنَّ البشرية بحاجة ماسة اليوم إلى إطلاق صرخة كالتّي أطلقها نبيّ الاسلام صلّى الله عليه وآله وسلّم تدعو للتوحيد والعدالة بين البشر. إنَّ الأعداء المستعمرين ليسوا مستعدين لأن يروا شعباً مستقلاً ومعتداً على إمكاناته الخاصة ومتوكلاً على الله تعالى ومتكئاً على تعاليم الدين الاسلامي الحنيف، ولا يطيقون مشاهدة شعبٍ متحسّس لآلام ومعاناة المسلمين.

لقد رأى مرتكبو جرائم «البوسنة والهرسك» ومؤيدوهم تلك التظاهرات العارمة التي خرج بها أبناء الشعب الايراني المسلم في شوارع «طهران» والمدن الأخرى، تأييداً لمظلومي «البوسنة والهرسك»، ورأوا تلك الجموع المهية الغاضبة التي أفرعتهم من خلال وقوفها بعزمٍ راسخ أمام إحدى القضايا العالمية الكبرى، وكانت هذه التظاهرات مصداقاً واضحاً للالتزام العملي بالحديث الشريف «من أصبح لا يهتمّ بأمور المسلمين فليس منهم»^(١).

إنَّ الشعب الايراني لم يكن يعرف شيئاً عن شعب «البوسنة والهرسك» وعن ماهية الساكنين في «سراييفو»، ونوع مشاعرهم وأحاسيسهم، فلم تكن لنا علاقةٌ بهم إلى أيامنا هذه، ولكنّ الذي دفع أمتنا إلى هذا العمل العظيم والاهتمام بأمور هؤلاء المسلمين هو الاسلام والأحاسيس الاسلامية الصادقة، والشعور بوجوب مساندة شعبٍ مسلمٍ يقاسي من الظلم والاضطهاد، وإذا رأى شعبنا أنَّ من اللازم عليه أن ينزل إلى الشوارع فإنّه يفعل وعلى شكل حشود مليونية، وإذا شعر أنَّ من اللازم عليه أن يقدم العون المالي والمادي

(١) أصول الكافي ١ : ١٧٩.

مِنْ آفَاقِ الْعِيَادَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ

فأنه سيفعل، وإذا أدرك أنَّ عليه أن يُقدِّم على خطوات أكبر بغية إنقاذ إخوانه المسلمين فإنه سوف يكشف عن صدره ويستعد للمواجهة.

إنَّ الوحدة الإسلامية لو كانت متحققة ما كان الأعداء ليجرؤوا على القيام بمحاصرة شعب «البوسنة والهرسك» الأعزل المظلوم بهذه الكيفية، ولم تكن المحافل الدولية لتجرؤ على تجاهل هذه القضية وعدم اتخاذ ردٍّ فعلي مناسب تجاهها.

فما هذا العناد الذي يُبديه الأعداء والاستكبار العالمي للإسلام؟ وما هذه المظلومية التي يتعرَّض لها المسلمون في كلِّ أرجاء العالم؟ ومن أين نشأ هذا الوضع؟ لقد نشأ هذا عن وجود الفِرقة بين المسلمين والأمة الإسلامية والبلدان الإسلامية، ولا شكَّ في أنَّ هذه الفِرقة إنَّما نشأت من فعل الأعداء والمستكبرين، لأنَّه لا يوجد تضاد جذري بين الدول الإسلامية، ولأنَّ التكتل والتجمع يفيد الجميع ولا ينحصر بنفع مجموعة معيَّنة، فالدولة الإسلامية تستفيد من التكتل الإسلامي، والدول الضعيفة والفقيرة تستفيد منه أيضاً، فمن الذي يضرُّ به وجود تكتلٍ من هذا القبيل؟ ومن الذي يتضرَّر من اجتماع المسلمين ووحدتهم؟.

إنَّها تضرُّ وبلا ريب القوى التي تريد فرض أغراضها الفاسدة على المسلمين، إذ أنَّ الفِرقة إنَّما تعود بالفائدة على القوى المستكبرة كأمریکا وأقطاب السياسة الاستعمارية الأخرى.

إنَّ نداءنا للوحدة الإسلامية أساس لعزة وكرامة واستقرار الجميع، ونحن نتمنَّى أن يُصبح مليار مسلم يداً واحدة حقاً، ويجب أن تتحرك الدول والحكومات لتحقيق هذا الهدف العظيم بروحية واحدة وقلب واحد، وإنَّ العزة والقوة غير ممكنتين إلا في ظلِّ التقوى والتمسك بالقرآن الكريم وعدم الخشية إلا من الله تعالى. وسنواصل هذا الطريق بفضل الله ونحن على يقين من أنَّ الله معنا.

هل البيت في الفهرته الكبرى

(٣)

هل تشمل آية التطهير زوجات النبي صلى الله عليه وآله ؟

سَمَاجَةُ السَّيِّدِ جَعْفَرٍ مَرْتَضَى الْعَالَمِ وَالْمَنَافِ

خلاصة المنشور في العدد الثاني من هذه الدراسة :

١- قلنا ان توجيه الخطاب في آية التطهير لأهل البيت ليس فيه مخالفة للسياق القرآني بل هو المنسجم معه.

٢- حتى ولو سلمنا أن السياق يغير ذلك، لكن هناك قرائن عديدة تلزمنا برفع اليد عن السياق.

٣- ناقشنا بعض أدلة القائلين بشمول الآية لزوجات النبي صلى الله عليه وآله.

٤- كما ناقشنا التعليقات والاستدلالات الضعيفة حول مدلول آية التطهير والتي ترمي إلى تمويه الحق الصحيح.

ونعود إلى البحث عن مناقشة سائر أدلة القائلين بشمول الخطاب لنساء النبي صلى الله عليه وآله وآله:

استدّل على أن زوجات النبي صلى الله عليه وآله من أهل البيت بما يلي:

الدليل الأول - الدلالة السياقية:

إن ما قبل آية التطهير وما بعدها خطاب لنساء النبي صلى الله عليه وآله، فالتطهير لابد أن

يكون لهنّ دون غيرهنّ.

والجواب:

١- عرفنا أن السياق لا يأبى عن حصر آية التطهير في أصحاب الكساء عليهم السلام، بل

هو الظاهر المتعيّن مادام شمولها للزوجات يوجب خللاً في السياق لعدم التناسب بين

لحن الخطاب الموجّه إليهن، ولحن الخطاب في آية التطهير. هذا فضلاً عن محاذير أخرى قدّمنا بيانها في ما سبق.

٢- تقدّم النقاش الكبير في صحة إطلاق أهل البيت على الزوجات.

٣- إن سؤال أم سلمة النبي صلى الله عليه وآله أن يجعلها من أهل البيت، ورفض النبي صلى الله عليه وآله ذلك يؤيد عدم صدق أهل البيت على الزوجات.

٤- ولو افترضنا تحقّق ظهور للسياق، فالروايات الحاصرة لأهل البيت في أصحاب الكساء تدعونا لرفع اليد عن هذا الظهور السياقي جزماً.

٥- على أن الاستطراد والاعتراض لا ينافي بلاغة الكلام ولا يقلل من قيمته.

٦- إن تغيير الضمائر من الإناث إلى ضمائر جماعة الذكور، ثم الاتيان بلفظ البيت محلّي بلام العهد مع كونه حين أراد بيوت الزوجات قد جاء به بصيغة الجمع مضيئاً له إليهن «بيوتكن» يؤيد أن تكون آية التطهير ليست خطاباً لهنّ.

٧- وقد مرّ أيضاً بأنّ الخطاب في الآيات إنّما هو موجّه للنبي صلى الله عليه وآله وبيت النبوة، وقد جاء الكلام مع النساء على سبيل الالتفات إليهنّ امتثالاً لأمر الله تعالى له بأن يبلغ لأزواجه كل تلك الامور.

الدليل الثاني - البيت هو بيت السكنى:

لقوله تعالى: ﴿واذكرون ما يتلى في بيوتكن...﴾، فأضاف البيت إليهن، فلا بدّ من دخولهنّ في مدلول الآية لأنهنّ الساكنات في بيوته.

ولا أقلّ من أن تكون الآية ناظرة إلى الأعمّ من بيت النسب وبيت السكنى كما ذكره الزمخشري والبيضاوي.

ويناقش بما يلي:

١- قد عرفنا أن المراد بالبيت هو بيت النبوة ومعدن الرسالة^١. وهو الظاهر من الآية. وحتى لو كان محتملاً فإن احتماله يوجب وهن الاستدلال بالآية على إرادة بيت السكنى، ثم الاستدلال على أن الخطاب موجه لزوجاته صلى الله عليه وآله.

ولو سلم بأنه بيت السكنى، فإن اللام فيه إنما هي للعهد الخارجي الذي اجتمع فيه أهل الكساء مع النبي صلى الله عليه وآله. فيخرج كل من لم يكن داخلًا فيه آئذٍ. سيما وأن النبي صلى الله عليه وآله قد أخرج أم سلمة وغيرها، كما نصت عليه الروايات.

٢- إن كلمة «بيت» في آية التطهير جاءت مفردة محلاة بالألف واللام للعهد، بخلاف بيت السكنى، فقد ورد مرتين قبل آية التطهير وبعدها بصيغة الجمع مضافاً إلى ضمير الإناث.

٣- سيأتي أن زيد بن أرقم أنكر إرادة النساء من أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله، وقد تقدم سؤال أم سلمة لإدخالها في جملة أهل البيت ولو حكماً. ولو كان الاستعمال مجازياً فلا بد من قرينة.

الدليل الثالث - حديث أم سلمة:

روي عن أم سلمة أنه لما جمع النبي صلى الله عليه وآله أهل بيته تحت الكساء، وقال ما قاله في حقهم فيما يرتبط بآية التطهير، قالت أم سلمة: أما أنا من أهل البيت؟ قال: بلى إن شاء الله^٢.

ويناقد بما يلي:

١- إن نفس سؤال أم سلمة يشير إلى أن كلمة «أهل البيت» ليست كافية للدلالة على دخولها في مدلول الآية.

ولو قيل بأن ضم النبي صلى الله عليه وآله لأولئك نفر تحت الكساء قد أثار الشبهة لدى

(١) راجع مجمع البيان ٨: ٣٥٦، وتأويل الآيات الظاهرة ٢: ٤٥٦.

(٢) تفسير فرات: ٣٣٥ و٣٣٧، وراجع جامع البيان ٢٢: ٧، والدر المنثور ٥: ١٩٨ وأسد الغابة ٢: ١٢، والجامع الصحيح ٥: ٣٥١ و٣٦٣، وبتايع المودة: ٢٢٨ و١٠٧.

أم سلمة مما دعاها إلى طرح السؤال المذكور.

فالجواب: إن تقرير النبي صلى الله عليه وآله كونها من أهله ومن زوجاته لا من أهل البيت - كما ذكرته بعض الروايات - يؤكد خروجها عن أهل البيت.

٢- قوله صلى الله عليه وآله: «إن شاء الله» يرسخ الشك في صدق عبارة «أهل البيت» على زوجاته.

٣- إن هذا الحديث لا يستطيع أن يعارض الأحاديث الكثيرة المصرحة بإخراج الزوجات عن أهل البيت، والمروية بطرق صحيحة وعن أم سلمة نفسها. لعدم التكافؤ بينه وبينها لا من حيث السند ولا من حيث الدلالة.

٤- قد روي هذا الحديث بزيادة تدل على أنه صلى الله عليه وآله لم يدخل أم سلمة تحت الكساء لتشارك أهل بيته بما اختصهم الله به. بل أدخلها تطيباً لخطرها. بل جاء في نص: إنه صلى الله عليه وآله قال: بلى، ولكنه أدخلها الكساء بعد ما قضى دعاءه لابن عمه وابنيه وابنته^١.

٥- إن إدخال أم سلمة في أهل البيت لا يدل إلا على أنها من أهل البيت دون سائر زوجاته، ولعل لأم سلمة خصوصية استحققت بها ذلك. كما كان منه صلى الله عليه وآله بالنسبة لسلمان الفارسي. والذي يدل على وجود خصوصية لأم سلمة دون غيرها ما ورد من أنه صلى الله عليه وآله قد منع عائشة وزينب من الدخول في جملة أهل بيته^٢.

الدليل الرابع - حديث زيد بن أرقم:

روى زيد بن أرقم حديث الثقلين في سياق روايته لحديث الغدير. قيل له: أليس نساؤه من أهل بيته؟

(١) مشكل الآثار ١: ٣٣٥ و٣٣٣، وتفسير فرات: ٣٣٥، وشواهد التنزيل ٢: ٧٤ و٧٥، وذخائر العقبى: ٢٢ و٢٣، وينابيع المودة: ٢٩٤، والصواعق المحرقة: ١٤٢، ومسنند أحمد ٦: ٢٩٨.
(٢) شواهد التنزيل ٢: ٣٧-٣٩ و٣٢، وفرائد السمطين ١: ٣٦٨ و١٩، وغيرها من المصادر التي ذكرت في القسم الأول.

قال: نساؤه من أهل بيته؟ ولكن أهل بيته من حُرْم الصدقة بعده: آل علي وآل عقيل وآل جعفر وآل عباس^١.

والجواب من وجوه:

١- ما قدّمناه من النصوص الصحيحة والصريحة في أن أهل البيت هم أصحاب الكساء والائمة الاثنا عشر دون من سواهم، وتفسير زيد بن أرقم هذا اجتهد منه فلا يؤخذ به في مقابل النص الوارد عن رسول الله صلى الله عليه وآله في تحديد أهل البيت عليهم السلام.

٢- إنّنا نشكّ في صحة نسبة ذلك إلى زيد بن أرقم مع ملاحظة رواية عن زيد بن أرقم حينما سأله الحصين: مَنْ أهل بيته؟ نساؤه؟ قال: لا، وأيم الله إن المرأة لتكون مع الرجل العصر من الدهر ثم يطلقها فترجع إلى أبيها وقومها. أهل بيته: أصله وعصبته الذين حُرّموا الصدقة بعده^٢.

٣- إن سياق عبارته المنقولة عنه في النص يظهر منه أن زيدا قد أراد نفى كون النساء من أهل البيت، لأنه استدلّ على ذلك بأن أهل البيت من حُرْم الصدقة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله، وزوجاته لم يُحرمن الصدقة بعده، وأنما حُرْم الصدقة خصوص بني هاشم.

وبهذا يظهر أنه قد أجاب بالاستفهام الانكاري، فكأنه استنكر أن تكون الزوجات من أهل البيت. ويشير إليه تعقيبه بقوله: «ولكن» للدلالة على أن ما بعدها هو الصحيح.

٤- إن من حُرّموا الصدقة بعد النبي صلى الله عليه وآله لا ينحصر في من ذكرهم، فإن بني عبد المطلب يشاركونهم في الحرمان.

(١) صحيح مسلم ٧: ١٣٠، الدر المنثور: ١٩٩، تفسير القرآن العظيم ٣: ٤٨٦، فتح الغدير ٤: ٢٨٠، وكنز العمال ١٣: ١٤١، والمواهب اللدنية ٢: ١٢٢، والصواعق المحرقة: ٢٢٦-٢٢٨، والسنن الكبرى ٢: ١٤٨، وتهذيب الاسماء واللغات ١: ٣٤٧، والسيرة النبوية لدهلان ٢: ٣٠٠، وكفاية الطالب ٥٣. وليس فيه عبارة «نساؤه من أهل بيته».

(٢) صحيح المسلم ٧: ١٢٣، الصراط المستقيم ١: ١٨٥، تيسير الاصول ٢: ١٦١، الصواعق المحرقة ١٤٨، وغيرها.

٥- إن آل الرجل غيره على الصحيح، فعلى هذا يخرج النبي صلى الله عليه وآله عن أن يكون في أهل البيت، وهو خلاف ما عليه المحققون، وأثبتته النصوص المتقدمة الكثيرة، ويخرج علي أيضاً نفس النبي صلى الله عليه وآله بنص آية المباهلة.
الدليل الخامس - قول ابن عباس وعكرمة: حيث ذهبوا إلى أن الآية ناظرة إلى خصوص زوجات النبي صلى الله عليه وآله.
والجواب:

١- لو صحّت النسبة إلى ابن عباس، فإنه يكون اجتهداً منه ومن عكرمة وكذا من مقاتل وعروة بن الزبير. ولا يؤخذ بالاجتهاد مع وجود النص الصحيح الصريح عن رسول الله صلى الله عليه وآله الذي يحدّد فيه أهل البيت.
٢- إن قول ابن عباس - لو صحّ - فهو معارض لقول أبي سعيد الخدري وأم سلمة وعائشة وغيرهم ممن قال باختصاص الآية بأهل الكساء، وخروج النساء عن مفادها.
٣- على أن ابن عباس قد روي عنه - في خبر أصحّ سنداً -: أن آية التطهير نزلت في أهل الكساء عليهم السلام^١. فمن القريب جداً أن تكون نسبة القول الأول لابن عباس موضع ريب.

٤- وأما عروة بن الزبير فهو متهم في بني هاشم لا سيما بالنسبة لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، حتى أنه كان إذا ذكر أمير المؤمنين علياً عليه السلام نال منه^٢. وأصابه الزمّ^٣، فيسبّه ويضرب إحدى يديه على الأخرى^٤. وكان يتألف الناس على

(١) الدر المنثور ٥: ١٩٩ عن الحكيم الترمذي والطبراني وابن مردويه وأبي نعيم والبيهقي معاً في الدلائل. وفتح القدير ٤: ٢٨٠، وكتاب سليم بن قيس: ١٠٤، وشراهد التنزيل ٢٩ - ٣١، والصواعق المحرقة: ١٤٢، ونبايح المودة: ١٥، واسعاف الراغبين (مطبوع بهامش نور الأبصار)، ومرقاة الوصول: ١٠٧، ومجمع البيان ٩: ١٣٨.
(٢) الغارات للثقفى ٢: ٥٧٦، وشرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٤: ١٠٢.
(٣) الزمّ: رعدة تعترى الإنسان إذا همّ بأمر. (لسان العرب). «التحريض».
(٤) قاموس الرجال ٦: ٣٠٠.

روایت^۱. وعده الاسكافي من التابعين الذين كانوا يضعون أخباراً قبيحة في علي^۲.

وروى عبد الرزاق عن معمر قال: كان عند الزهري حديثان عن عروة عن عائشة في علي عليه السلام، فسأله عنهما يوماً فقال: ما تصنع بهما وبحديثهما، إني لأتألم بهما في بني هاشم^۳.

وقد قال عروة لابن عمر، إنا نجلس إلى أئمتنا هؤلاء فيتكلمون بالكلام نعلم أن الحق غيره فنصدّقهم، ويقضون بالجور فنقوّبهم ونحسنه لهم، فكيف ترى في ذلك؟ فقال له ابن عمر: يا ابن أخي كنّا مع رسول الله صلى الله عليه وآله نعدّ هذا النفاق، فلا أدري كيف هو عندكم^۴.

وأما عكرمة فأمره أشهر من أن يذكر، فقد كان من الخوارج^۵. وادّعى عكرمة على ابن عباس: أنه كان يرى رأي الخوارج أيضاً!!^۶ وكان عكرمة يتهم بالكذب^۷، وليس يحتج بحديثه. وكذبه على ابن عباس معروف مشهور. وقد أوفقه علي بن عبد الله بن عباس عند باب الحش، ف قيل له: ألا تتقي الله؟ فقال: إن هذا الخبيث يكذب على أبي^۸. وكان يتختم بالذهب ويغني، ويتهم في أمر الصلاة واللعب بالنرد. فراجع ترجمته. وأما مقاتل بن سليمان فقد وصفوه بأنه كان كذاباً^۹. وقال الجوزجاني: كان دجالاً جسوراً^{۱۰}. كما وصفوه بأنه كان فاسقاً فاجراً^{۱۱}.

(۱) صفوة الصفوة ۲: ۸۵، وتهذيب التهذيب ۲: ۱۸۲، وحلية الأولياء ۲: ۱۷۸، وتذكرة الحفاظ ۱: ۶۲.

(۲) شرح النهج للمعتزلي ۴: ۶۳.

(۳) شرح النهج ۴: ۶۴، وقاموس الرجال ۶: ۲۹۹.

(۴) السنن الكبرى ۸: ۱۶۵، ومثله في الترغيب والترهيب ۴: ۳۸۲، عن البخاري، وإحياء علوم الدين ۳: ۱۵۹.

(۵) ميزان الاعتدال ۳: ۹۳-۹۶، وشرح النهج للمعتزلي ۵: ۶۷، وفجر الإسلام: ۲۶۱، وغيرها.

(۶) سير أعلام النبلاء ۵: ۲۲، وميزان الاعتدال ۳: ۹۶، ومختصر تاريخ دمشق ۱۷: ۱۴۴.

(۷) الطبقات الكبرى ۵: ۲۸۸ و ۲۸۹، والمغني في الضعفاء ۲: ۴۳۹، والمعارف ۴۳۸، وغيرها.

(۸) ميزان الاعتدال ۳: ۹۴، والمعارف لابن قتيبة: ۴۵۶، ووفيات الأعيان ۳: ۳۶۵-۳۶۶.

(۹) ميزان الاعتدال ۴: ۱۷۳، والضعفاء والمتروكون للدارقطني: ۶۴، وتاريخ بغداد ۱۳: ۱۶۴-۱۶۸.

(۱۰) المجروحون ۳: ۱۴، ومختصر تاريخ دمشق ۲۵: ۲۰۰، والضعفاء الكبير ۴: ۲۳۹.

(۱۱) المجروحون ۳: ۱۶، ومختصر تاريخ دمشق ۲۵: ۲۰۱، وتاريخ بغداد ۱۳: ۱۶۳.

الدليل السادس - النساء هن سبب النزول.

واستدلوا على إرادة النساء في آية التطهير بأن النساء هن سبب النزول، وسبب النزول داخل قطعاً إما وحده أو مع غيره على الأصح. وورد في ذلك أحاديث يصلح أكثرها متمسكاً لهذا القول^١.

والجواب:

١- إن سبب النزول هو الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله، وحفظ بيت النبوة من أن يلحق به أدنى نقص أو عيب ولو بواسطة النساء.

٢- إن الأحاديث التي تذكر سبب النزول هي أحاديث الكساء، وأكثرها إن لم يكن كلها - لا يصلح متمسكاً لهذا القول، لأنه يصرح أو يلمح إلى عدم دخول زوجته صلى الله عليه وآله في مضمون آية التطهير.

٣- إن ثمة شكاً كبيراً في أن تكون كلمة «أهل البيت» شاملة للزوجات إلا على سبيل التجوّز، وهو يحتاج إلى قرينة. وقد تقدم أن القرائن من نفس الآيات وفي خارجها تشير إلى ضد ذلك.

الدليل السابع - الظهور والعموم:

إن اللفظ يحتمل الأزواج والنساء، فيكون المراد الجميع^٢. والعقل يخصّص «البيت» - باعتبار العرف والعادة - بمن يسكنون في البيت لا بقصد الانتقال، ولم يكن التبدّل والتحوّل جاريتين عادة فيهم، كالأزواج والأولاد، دون العبيد والإماء الذين هم في معرض التبدّل والتحوّل من ملك إلى ملك^٣.

والجواب:

١- لقد تقدّم الشك في صدق لفظ «أهل البيت» على الزوجات. فلا إحراز للعموم

(١) الصواعق المحرقة : ١٤١ عن ابن كثير، وتفسير القرآن العظيم ٣ : ٤٨٣.

(٢) أحكام القرآن للجصاص ٥ : ٢٣٠. (٣) مختصر النخبة الاثني عشرية : ١٥٢.

أساساً. هذا مضافاً إلى الروايات المصرّحة بخروج الزوجات عن مفاد الآية، وإن إرادة بيت السكنى مشكوك فيها، بل المراد هو بيت النبوة.

٢- إن مجرد احتمال شمول اللفظ للزوج لا يكون دليلاً على إرادة الجميع، إلا إذا لم تتم القرائن الأخرى على تعيين المراد بدقّة. وقد عرفت أن القرائن قد عيّنت المراد بدقّة. الدليل الثامن - الصلاة على الزوجات:

ذكر البعض أنه ثبت في الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وآله أنه علّمهم الصلاة عليه: اللهم صلّ على محمد وأزواجه وذريته^١. والجواب:

بالإضافة إلى كل ما سبق نقول: إن الصلاة على الأزواج كيف تدل على أنهم من أهل البيت؟ وقد ثبتت الصلاة على المؤمنين أيضاً. قال تعالى: ﴿خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكّيهم بها وصلّ عليهم إن صلاتك سكنٌ لهم﴾^٢. وقال تعالى: ﴿هو الذي يصلي عليكم وملائكته﴾^٣. وقال تعالى: ﴿أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة﴾^٤. الدليل التاسع - الآيات القرآنية:

ادّعي أن تعبير «أهل البيت» قد جاء في الآيات القرآنية كنايةً عن الزوجة في حكاية خطاب الملائكة لزوجة إبراهيم عليه السلام: ﴿رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت﴾^٥. وقال مخاطباً لوطاً عليه السلام: ﴿فأسرّ بأهلك بقطع من الليل ولا يلتفت منكم أحدٌ إلا أمرتكم﴾^٦. وقال حكاية عن موسى: ﴿فقال لأهله امكثوا إني آنست ناراً﴾^٧. فإذا كانت امرأة إبراهيم من آلِه وأهل بيته، وامرأة لوط من آلِه وأهل بيته، بدلالة القرآن، فكيف لا يكون أزواج محمد صلى الله عليه وآله من آلِه وأهل بيته؟^٨.

(١) منهاج السنة ٤ : ٢١.

(٢) التوبة: ١٠٣.

(٣) الأحزاب: ٤٣.

(٤) البقرة: ١٥٧.

(٥) هود: ٧٣.

(٦) هود: ٨١.

(٧) طه: ١٠.

(٨) منهاج السنة لابن تيمية ٤ : ٢١.

الجواب:

أما بالنسبة لخطاب الملائكة لزوجة إبراهيم فيلاحظ عليه:

١- قد تقدّم جواز دخول المرأة في أهل البيت أحياناً تغليّباً وتجوّزاً إذا قامت القرينة على ذلك.

٢- إن المقصود من البيت في آية زوجة إبراهيم عليه السلام هو بيت السكنى أو النسب بقرينة توجّه الخطاب إليها. والمقصود في آية التطهير هو بيت النبوة والرسالة، استناداً إلى القرائن التي مرّ ذكرها تفصيلاً.

وأما بالنسبة لقول موسى عليه السلام لأهله امكثوا، وكذا بالنسبة لنجاة نبي الله لوط عليه السلام وأهله إلاّ امرأته، فنشير إلى:

١- ما تقدم من أن النبي صلّى الله عليه وآله قد قرّر وجود فرق بين كلمتي: «أهل البيت» و«أهل الرجل»، حيث قرّر أن أم سلمة من أهله لا من أهل بيته.

٢- إن إطلاق كلمة «أهل» على الزوجة مجازاً ليس بمستنكر إذا قامت القرينة على المجازة. وهي هنا الخطاب في قصة موسى عليه السلام، والاستثناء في قضية لوط عليه السلام.

٣- إن إرادة الزوجة في مورد من كلمة الأهل لا يلزم إرادتها في كل مورد، لا سيما وقد عرفنا المقصود من أهل البيت في آية التطهير وحصره في أهل الكساء بتصريح الرسول صلّى الله عليه وآله نفسه.

الدليل العاشر - لزوم اللغوية.

لو لم تدلّ آية التطهير على أنهم من أهل بيته، لما كان لذكر ذلك في الكلام معنى^١. نقول: بل للآية معنى صحيح وسليم، حتى في صورة عدم دخول الزوجات في مدلول الآية. وقد أوضحناه في بداية البحث حين تكلمنا عن انسجام السياق مع خروج

الزوجات عن مفاد الآية، بل إن خروجهن عن مفاد الآية هو المتعين لوجود المنافاة بين لحن الخطاب لهنّ ولحن الخطاب لأهل البيت عليهم السلام.

السياسة الظالمة:

قد تقدم: إن عكرمة كان ينادي بنزول آية التطهير في النساء في الاسواق، ويدعو إلى المباهلة في هذا الأمر.

ونحن وإن كنا لا نستغرب هذا الامر من عكرمة المعروف بنصبه وبغضه لأمير المؤمنين وأهل بيته عليهم السلام، وكان من الخوارج، ويذهب مذهبهم ويقول بقولهم. ولكننا نرى في موقفه هذا دلالات أخرى أيضاً لعل من أوضحها:

١- إن نزول الآية في أهل البيت كان هو الشائع والمعروف في زمان عكرمة، الذي يريد أن يدفع ذلك بكل وسيلة، ولو بالمناداة بذلك في الاسواق، والدعوة إلى المباهلة.

٢- إن عكرمة لم يكن لديه دليل مقنع على نزول الآية في أزواج النبي صلى الله عليه وآله سوى هذا الاصرار الشديد الذي يريد أن يدعمه بنوع من التهديد والوعيد بهدف إلحاق الهزيمة النفسية بالطرف الآخر، حيث أنه لا بدّ وأن يتزلزل يقينه وهو يرى إنساناً يفرط بحياته بدعوته إلى المباهلة في هذا السبيل، حيث أنه سيقول في نفسه: لو لم يكن هذا الشخص على يقين مما يقول لما دعا الناس إلى المباهلة التي قد تستتبع عواقب خطيرة عليه.

٣- إن عكرمة كان ينادي في الاسواق بذلك، فهل كان يمكن لمن لا يرى رأيه أن يفعل الشيء نفسه لاثبات خلاف هذا الرأي؟

٤- إن هذا الفعل من عكرمة يشير إلى أن المناوئين لأهل البيت يرون في قبول نزول الآية في أهل البيت عليهم السلام خطورة كبيرة، ربما للآثار التي سوف تتركها على اعتقاداتهم ومواقفهم ضد ومع أهل البيت عليهم السلام.



دراسات وعمارة السورة القرآنية

الدكتور محمود البستاني

قام الدكتور محمود البستاني بكتابة مشروع كامل عن دراسة عمارة السور القرآنية والمشروع جاهز للنشر، وما نشر منه على صفحات بعض المجلات هو نموذج تطبيقي لهذه الدراسة. أما هذا البحث فهو نظرة كلية للمشروع وعرض لخطوطه العامة التي يفتي عليها.

يلاحظ أن الدراسات القرآنية قديماً وحديثاً لم تُعن بعمارة السورة الكريمة، أي لم تتناول السورة من حيث ارتباط آياتها بعضها مع الآخر. طبعياً، ثمة دراسات متناثرة قديماً وحديثاً عالجت هذا الجانب من عمارة السورة، إلا أن هذه الدراسات لم تتوقّف على سور القرآن جميعاً، كما لم يتوقّف بعضها على دراسة السورة بأكملها، فضلاً عن أن بعضها الثالث لم يتناول جميع الخطوط التي ترتبط بها شبكة السورة الكريمة بقدر ما اقتضت على واحد أو أكثر من الخطوط المشار إليها.

ولعلّ السّر في ذلك (بالنسبة إلى الدراسات القديمة) يعود إلى أن القدماء لم يتيسر لديهم وعي ثقافي يسمح لهم بدراسة النص الأدبي من خلال (الوحدة العضوية) التي تربط بين أجزاء النص من جانب، وبين عناصره التي يتألف منها من جانب آخر. حيث تتطلب مثل هذه الدراسات ثقافة فنيّة ونفسية واجتماعية لم تتوافر إلا في العصور الحديثة كما هو واضح. ولا أدل على ذلك من ملاحظتنا لكتب البلاغة التي تنصّب



فنون وآداب

قواعدها على الظواهر (الجزئية) التي لا تتجاوز صعيد العبارة المفردة أو الجملة، عدا قاعدة واحدة هي ما يطلق عليه مصطلح (حسن الاستهلال والتخلص والختام). وهذه القاعدة - كما هو واضح - لا تتناول إلا جانباً واحداً من عمارة النص، ألا وهو كيفية استهلاله بهذا الموضوع أو ذاك، وكيفية الانتقال منه إلى الموضوع المستهدف، وكيفية الختام.

أما المعاصرون، فقد أُتيح لهم أن يتوفروا على هذا الجانب كما قلنا، إلا أن الدارسين والنقاد ممن نشأ في أحضان الثقافة العلمانية قد انصبَّ اهتمامهم على دراسة النصوص البشرية في ميدان الرواية والمسرحية والقصيدة، دون أن يوفقوا إلى دراسة النص المعجز (القرآن الكريم)، عدا القلة التي أُتيح لها أن تتناول القرآن الكريم من خلال الرؤية البلاغية الجديدة. لكن حتى في نطاق هذه القلة نجد أن الاهتمام قد انصبَّ إما على عناصر جديدة مثل العنصر القصصي، أو على التصورات الجديدة لعنصر (الصورة الفنية)، أو العنصر اللفظي أو الإيقاعي، وهي جميعاً لا تجسّد إلا الدراسة (التجزئية) التي تتناول القصة أو الصورة أو الإيقاع بنحو منفصل عن عمارة السورة الكريمة، عدا بعض الدارسين الذين أُتيح لهم أن يدرسوا النص القرآني الكريم من خلال عمارة السورة إلا أنهم لأسباب نجهلها لم يتح لهم أن يتناولوا إلا بعض السور دون أن يتوفروا على دراستها جميعاً. وأياً كان سبب ذلك، فإن ملاحظة هذا الخلل في الدراسات القرآنية، شكّلت حافزاً إلى محاولة دراسة السور القرآنية جميعاً من خلال عمارتها، حيث إضطلع كتاب (دراسات في عمارة السورة القرآنية) بمعالجة هذا الجانب.

وقد يُتساءل: ماهو المسوّغ الفني لدراسة السورة القرآنية من خلال عمارتها التي تعني: دراسة النص من خلال ارتباط الآيات بعضها مع بعضها الآخر؟

فنون وآداب

ونحب على ذلك.

إن هدف أي نص علمي أو أدبي هو: لفت نظر المتلقي إلى حقيقة معينة من جانب، ولفت نظره إلى ما يواكبها من حقائق عامة مكملتها من جانب آخر. فمثلاً لو وقفنا عند سورة الكهف، لواجهنا حقيقة معينة تقول ﴿المال والبنون زينة الحياة الدنيا﴾^(١)، أو حقيقة تقول إن الدنيا - وليس المال والبنون فحسب - هي زينة ﴿إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها﴾^(٢)، وإن الزينة مآلها إلى الزوال... الخ. هذه الحقائق هي حقائق جزئية سوف يفيد القاري منها دون أدنى شك، إلا أن مجرد معرفتنا بأن الحياة هي زينة لا تحقق الأثر المطلوب، إلا إذا ربطناها بحقائق مكملتها لها، كما لو قدّمنا للقاري نماذج تطبيقية لمن يتعامل مع زينة الحياة الدنيا إيجابياً أو سلبياً، وهذا ما توفّرت عليه السورة الكريمة حينما قدّمت لنا نماذج إيجابية مثل أصحاب الكهف^(٣)، الذين نبذوا زينة الحياة الدنيا واتجهوا إلى الكهف، أو حينما قدّمت لنا نماذج سلبية مثل صاحب الجنتين^(٤)، حيث تشبّث بزينة الحياة الدنيا. لكن مجرد تقديم نماذج إيجابية أو سلبية لا يحقق أثره المطلوب، بل لابد من لفت نظر القاري إلى المصائر الدنيوية أو الأخروية التي تترتب على نبذ زينة الحياة الدنيا أو عدم النبذ. وهذا ما توفّرت عليه السورة الكريمة حينما أوضحت بأن صاحب الجنتين مثلاً قد أيدت مزرعته، فإذا تذكّرنا أن السورة الكريمة ذكرت في مقدمتها بأن الله تعالى قد جعل زينة الحياة صعيداً جُرْزاً^(٥)، حينئذ عندما يربط القاري بين هذه المقدمة وبين النتيجة التي لحظها بالنسبة إلى إبادة المزرعتين المذكورتين، تزداد قناعته بأن زينة الحياة الدنيا مصيرها إلى الزوال... لكن لاتزال فكرة (زينة الحياة الدنيا) لم تستكمل بعد، فالسورة لا تريد أن تقول لنا بأن زينة الحياة الدنيا لا قيمة لها فحسب، بل تريد أيضاً أن تدلّنا على كيفية التعامل مع هذه الزينة حتى نفيدها منها في تعديل سلوكنا.

(١) الكهف: ٧.

(٢) راجع الكهف الآية (٣٢) وما بعدها.

(٣) الكهف: ٤٦.

(٤) راجع الكهف الآية (٩) وما بعدها.

(٥) الكهف: (٨).

فنون وأدب

ولذلك نجدها تقدّم لنا نموذجين متضادّين: أحدهما صاحب المزرعتين الذي بهرته زينة الحياة الدنيا وهو لا يملك غير مزرعتين. والآخر (ذو القرنين) الذي تملّك مشرق الأرض ومغربها دون أن تبهره زينة الحياة الدنيا. الأول - وهو صاحب المزرعتين - وصل به الأمر إلى أن ينكر قيام الساعة، بينما الآخر هتف قائلاً ﴿هذا رحمة من ربي﴾^١، إذن: القاريء عندما يقرأ السورة بأكملها سوف يحتفظ ذهنه بمفهوم عن زينة الحياة الدنيا، وبكيفية التعامل مع هذه الزينة حيث ينبذها حتى لو كانت الزينة قد اقترنت بمواقع اجتماعية كبيرة، مثل أصحاب الكهف الذين كانوا يحتلون مناصب كبيرة في الدولة ولكنهم تركوا ذلك واتجهوا إلى الكهف، وحيث لا تؤثر على تعامله مثل ذي القرنين الذي لم تحتجزه زينة الحياة - وقد سيطر على الأرض كلها - عن التعامل الإيجابي مع الله تعالى.

إن هذه الأفكار التي انتشرت في السورة الكريمة لم تجيء عفوية بل رسمها النص وفق تخطيط هندسي خاص يأخذ بنظر الاعتبار طبيعة الجهاز الإدراكي للقاريء وكيفية التأثير عليه. فمن الحقائق المعروفة في علم نفس الإدراك أننا نستجيب للأشياء من خلال (الكل) وليس (الجزء) فحسب، كما أننا نخضع لقانون (التداعي الذهني) الذي ينتقل من الشيء إلى آخر إما من خلال (التشابه) أو (التضاد)، فضلاً عن أننا حينما نستجيب للأشياء من خلال (التداعي) و(الكل)، إنما نترك هذه الاستجابة (انطباعاً) عاماً هو: أن كل واحد منا حينما ينتهي من قراءة السورة الكريمة (أو القصة أو المسرحية أو القصيدة مثلاً) يتحسّس بوجود (انطباع) عام، وإن كان غير محدد الملامح، بحيث يترك تأثيره على القاريء. ولذلك، فإن النصوص الأدبية التي تميّز بالجودة نجد لها حريصة على أن تسلك أساليب خاصة للسيطرة على ذهن القاريء بحيث تجعله محتفظاً بالانطباع العام الذي تخلفه قراءة النص، أخذاً بنظر الاعتبار كيفية الاستجابة الذهنية الواعية أو غير الواعية

للقاري، أي: مراعاة قوانين الإدراك للشيء.

إذن: السورة القرآنية الكريمة، لا تعني مجرد كونها مجموعة من الآيات التي تطرح موضوعاً جزئياً، بل هي تضطلع بمهمة فنية خطيرة لم يعها كثير من الدارسين مع الأسف الشديد. وذلك جميعاً - كما قلنا - شكّل مسوّغاً لدراسة السورة من خلال عمارتها ككل، أي من خلال ارتباط الآيات بعضها مع الآخر.

هذا عن المسوّغ الفني لدراسة عمارة السورة القرآنية. ولكن، ما (الخطوط) التي تنظم عمارة السور القرآنية الكريمة؟ أي: ماهو المنهج الذي سلكه الكتاب (دراسات في عمارة السورة القرآنية) بالنسبة إلى دراسة النص من حيث (الهيكل) الذي تقوم عليه السورة القرآنية الكريمة؟

إن عمارة أو هيكل السورة القرآنية الكريمة تقوم على ما يصطلح عليه بعبارة: (الوحدة الفنية): ويُقصد بها أن هناك (خطوطاً) متفرقة (تجتمع) في نهاية المطاف عند (نقطة) واحدة أو (محور) واحد تتفرع أو تتلاقى عنده الخطوط، وهي (أي: وحدة النص أو الوحدة الفنية) تنشطر إلى قسمين:

١- وحدة الدلالة: أي الأفكار التي تتضمنها السورة الكريمة.

٢- وحدة العناصر: أي العناصر اللفظية الصورية والايقاعية... إلخ.

أما الوحدة الدلالية فتعني أن السورة الكريمة تتضمن مجموعة من الأفكار المختلفة التي تصبّ في النهاية في نهر واحد مثل فكرة (زينة الحياة الدنيا) والموقف منها. وأما وحدة العناصر فتعني أن العناصر التي يتكون النص الأدبي منها (كالصور والقصص والايقاع... إلخ) توظف جميعاً من أجل إلقاء الإنارة على الفكرة التي يتضمنها النص، كما لاحظنا بالنسبة إلى قصص أصحاب الكهف وصاحب الجنتين وذو القرنين،

فُنُونٌ وَأَدَابٌ

حيث وظّف العنصر القصصي لإثارة فكرة (زينة الحياة).

وبلاحظ، أن كتاب (دراسات في عمارة السورة القرآنية) قد تناول هذين النحويين من الوحدة الفنية لسور القرآن الكريم، حيث أن السور الكريمة تخضع للأنماط الآتية من البناء الفني من حيث الأشكال:

١- البناء الافقي:

وهو أن تبدأ السورة بتناول موضوع معيّن وتنتهي بطرح الموضوع ذاته، مثل سورة (المزمل) التي بدأت بالحديث عن قيام الليل وتحديده ﴿قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا نِصْفَهُ أَوْ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا أَوْ زِدْ...﴾^١، ثم قطعت رحلة في موضوعات مختلفة ترتبط بنمط خاص من العلاقات البنائية التي سنعرض لها فيما بعد، ولكنها ختمت بنفس الموضوع ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِنْ ثُلُثِي اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ...﴾^٢.

٢- البناء العمودي أو الطولي:

وهو أن تبدأ السورة بتناول موضوع معيّن، ثم تواصل معالجته متسلسلاً إلى نهايته. مثل سورة (نوح) التي بدأت بالحديث عن إنذار نوح لقومه ﴿إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾^٣، ثم قطعت رحلة في عرض الإنذار ومواجهته، حتى ختمت بحادثة الطوفان ﴿وَمَا خَطِئْتَهُمْ أَغْرَقُوا...﴾^٤.

٣- البناء المقطعي:

وهو أن تتناول السورة جملةً من الموضوعات، ثم تقف عند نهاية كل قسم منها أو

(٢) المزمل: ٢٠.

(٤) نوح: ٢٥.

(١) المزمل: ٢، ٣، ٤.

(٣) نوح: ٢.

فنون وأدب

عند بداية قسم جديد منها فتجمله محطة توقّف لتعود إلى المحطة ذاتها بعد أن تقطع رحلة ما، وتتكرر هذه الرحلات وتتكرر الوقوف عند نفس المحطة. ومثاله: سورة (المرسلات) حيث ينتهي كل واحد من موضوعاتها عند مقطع يقول ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾^١.

٤- البناء التمهيدي:

وهو أن يكون كل واحد من موضوعات السورة ممهّداً للموضوع الذي يليه، مثل سورة المطففين التي بدأت الحديث عن التطفيف، وربطته بالجزاء الأخروي ﴿أَلَا يَنْظُرُ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ﴾^٢، ثم تحدّثت عن الجزاء الأخروي ﴿يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾، ثم ربطته بالسلوك الدنيوي ﴿إِنَّ الَّذِينَ أُجِرُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ﴾^٣. وكل واحد من هذه الأشكال الأربعة يتم على نمطين:

النمط التكميلي:

وهو أن يتناول كل قسم من أقسام السورة جزءاً من الموضوع، ثم يطرح خلاله موضوعاً آخر، ثم يكمل الموضوع الأول، وهكذا. ومثاله سورة الطلاق التي تحدّثت عن العدة وعدم إخراج المطلقة، وانتقلت إلى الحديث عن حدود الله تعالى، ثم استكملت ذلك بالحديث عن إخراج المطلقة عند بلوغ الأجل، ثم انتقلت إلى الحديث عن التقوى والرزق والتوكل، ثم عادت ثالثة إلى الطلاق فتحدّثت عن اليأس والتي لم تحض وذات الحمل، ثم تحدّثت عن التقوى وتكفير السيئة وتعظيم الأجر، ثم عادت لاستكمال

(١) المرسلات: ١٥، ١٩، ٢٤، ٢٨، ٣٤، ٣٧، ٤٠، ٤٥، ٤٧، ٤٩، (٢) المطففين: ٢٩.

(٣) المطففين: ٢٩.

موضوع وأدب

الحديث رابعة عن المطلقة، وهكذا. فالملاحظ أن مسائل الطلاق ومستوياته قد طُرحت على شكل أجزاء يكمل أحدها الآخر بعد قطعه بموضوعات أخرى.

النمط المتموج:

وهو أن يتناول كل قسم من أقسام السورة موضوعاً خاصاً، ولكنه يتكرر في سياق جديد، وحينئذ يصبح كالموجة التي تتصاعد وتتنازل على نحو استمراري. والفارق بين هذا النمط وسابقه، أن سابقه تضطلع عملية التكرار فيه بتكملة الموضوع، وأما هنا فيضطلع التكرار إعادة الموضوع ذاته ولكن في سياق جديد، ومثاله، مانجده في سورة الشعراء: **فَاللَّهُ سُبْحَانَهُ يَخْفَفُ عَنْ رَسُولِهِ وَحَبِيبِهِ مَا يَجِدُهُ مِنَ الْأَلَمِ** بحيث يكاد يهلك نفسه تحسراً على إغراض قومه عن الإيمان، ويسلّيه بذكر قصص الأنبياء قبله مع أقوامهم (موسى وإبراهيم ونوح وهود ولوط عليهم السلام وهي تختلف سياقاً وتتحد موضوعاً، متوجاً كل مقطع عن واحد منهم بآيتين هما ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ، وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾.

من حيث الموضوعات:

إن كل سورة تتضمن فكرة أو أكثر، كما تتضمن موضوعاً واحداً أو أكثر، ولذلك نجد أن السورة القرآنية الكريمة تخضع لواحد من الأبنية الآتية لافكارها وموضوعاتها المجسدة لتلك الافكار:

١- وحدة الفكرة ووحدة الموضوع: أي أن السورة تتضمن فكرة واحدة، وتضمن موضوعاً واحداً لتجسيد الفكرة، ومثالها: سورة (الفيل) التي تتضمن فكرة هي: أن الله تعالى يقف بالمرصاد لكل من تسول له نفسه التمرّض للكعبة، وتضمن موضوعاً واحداً

هو الحادثة العسكرية التي هزم فيها العدو.

٢- وحدة الفكرة وتعدد الموضوعات: أي أن السورة تتضمن فكرة واحدة، ولكنها تتضمن موضوعات متنوعة لتجسيد الفكرة، ومثالها سورة (الكهف) حيث تتضمن فكرة (زينة الحياة الدنيا) والموقف منها إلا أن الموضوعات التي جسدت الفكرة المذكورة قد تنوعت في قصص أهل الكهف وصاحب الجنتين وذي القرنين إلخ.

٣- وحدة الموضوع وتعدد الفكر: أي أن السورة تتضمن موضوعاً واحداً ولكنه يجسد أفكاراً أو فكراً متنوعة. ومثالها سورة يوسف، حيث أن موضوعها واحد هو حياة يوسف، ولكن الأهداف أو الأفكار فيها متنوعة مثل فكرة: الصبر، العفة، الحسد، الغيرة... إلخ.

٤- تعدد الموضوعات وتعدد الفكر: أي أن السورة تتضمن أكثر من فكرة وأكثر من موضوع، ومثالها: سورة المطففين التي تتضمن جملة موضوعات وجملة فكر مثل: التطفيف، السخرية من المؤمنين، الجزاء الاخرى. وكل واحد من هذه الموضوعات ينطوي على فكرة يعبر عنها الموضوع ذاته.

من حيث الأسباب:

إن وحدة السورة من حيث أشكالها وموضوعاتها وأفكارها تخضع لـ(سببية) تربط بين كل جزء من أجزاء السورة، بمعنى أن كل جزء من السورة يعد سبباً لللاحقة ومسبباً عن سابقه، وهكذا. وهذه السببية تلحظ على أنماط متنوعة، منها:

١- الإجمال والتفصيل: أي أن السورة تطرح موضوعاً مجملاً ثم تفصل الحديث عنه خلال السورة بأكملها، ومثالها سورة (الواقعة) التي أجملت

فنون وآداب

الأصناف الثلاثة في البداية ﴿وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ﴾^١. ثم فصلت الكلام عن الأصناف الثلاثة طوال السورة كما هو واضح.

٢- النمو: أي أن الموضوع المطروح في السورة يتطور ويتنامى من مرحلة إلى أخرى كما يتنامى الكائن الحي في مراحل عمره، ومثاله: سورة يوسف في تنامي موضوعاتها وشخصياتها وأحداثها... إلخ، فروياه لأحد عشر كوكباً، والشمس والقمر تنامت في نهاية السورة إلى خضوع القوى المذكورة له، وهكذا.

٣- التجانس: أي أن الموضوعات والأفكار التي تناولها السورة يتجانس بعضها مع الآخر في خطوطه العامة. ومثالها سورة (الماعون) حيث طرحت موضوع (المكذب بالدين) وموضوع (الساهي في صلاته). ومع أن أحدهما غير الآخر إلا أنهما يتجانسان في جملة ظواهر مثل: البعد الاقتصادي والبعد العاطفي ونحوهما. فالمكذب بالدين لا يحض على طعام المسكين، والساهي في الصلاة يمنع الماعون. وكلاهما سلوك اقتصادي سلبى، وهكذا.

٤- التمهيد: وقد عرضنا له في الشكل الفني الرابع من شكليات بناء السورة القرآنية.

من حيث الأدوات:

ونعني بها العناصر التي تتألف منها السورة الكريمة، وهي: العناصر اللفظية والإيقاعية والصورية والقصصية... إلخ، حيث تترابط هذه العناصر فيما بينها من جانب، وفيما بينها وبين العنصر الفكري والموضوعي من جانب آخر. ومثاله سورة (القمر)، حيث تحدثت عن قيام الساعة ﴿إِقْرَبَتِ السَّاعَةُ...﴾^٢. ثم استخدمت العناصر الصورية والقصصية والإيقاعية في إثارة هذا المفهوم، فجاءت القصص التي تتحدث عن الجزاء

فنون وأدب

الديوي إرهاباً لدلالة قيام الساعة، وجاءت الصور ﴿أعجازاً نخلٍ منقعر﴾ هشيم المحتضر، فطمسنا أعينهم ﴿متواكبة مع شدة الجزاء، وجاء التلويع باليوم الآخر ﴿نبل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر﴾، رابطاً بين شدة الجزائين، وجاء العنصر الإيقاعي متواكباً مع شدة الجزاء، حيث استخدمت حرف (السين) - وهو ذو علاقة بقيام الساعة - من حيث كونه حرف استقبال - والآخرة حادث مقبل - كما جاءت أوصاف الجحيم متواكبة مع حرف السين ﴿ذوقوا مس سقر﴾ °. وحيث جاء تكرار هذا الحرف في سائر أوصاف الساعة وأهوالها مثل: سقر، مس، يسجدون، مستطر... وكلها تتواكب مع حرف الاستقبال (السين).

إذن: جاءت العناصر القصصية والصورية والإيقاعية تتواشج فنياً مع موضوعات السورة وأفكارها، مما يكشف ذلك عن أحد أشكال الوحدة البنائية التي تنتظم عمارة السورة القرآنية الكريمة.

إن هذه المستويات من بناء السورة القرآنية الكريمة تنسحب على جزئيات السورة أيضاً، أي أن الآية الواحدة تحمل نفس الخصائص البنائية التي لحظناها، وإن الآيتين فصاعداً تحمل السمة ذاتها، وإن المقطع من السورة يحمل السمة ذاتها أيضاً، وأن القسم من السورة يحمل السمة ذاتها أيضاً، وأن السورة بأكملها تحمل السمة ذاتها.

تلك مجمعاً يضطلع كتاب (دراسات في عمارة السورة القرآنية) بتوضيح مستوياتها البنائية بدءاً من سورة (الحمد) وانتهاءً بآخر سور القرآن الكريم، حيث تُكتشف من خلال هذا النمط الجديد من التفسير الفني للقرآن أسرار جديدة من الإعجاز القرآني، فضلاً عن الإثراء الفكري والجمالي الذي يتلمسه القاريء في هذا النمط من دراسة العمارة الفنية لسور القرآن الكريم، بالنحو الذي تقدم الحديث عنه.

دراسة

في القرآن الكريم « ١ »

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
إِعْدَادُ السَّيِّدِ مُنْذِرِ الْحُكَمِ

فهرست البحث:



تمهيد:

- القرآن نور لمن استضاء به.

- الاخلاق جوهر الشخصية الانسانية.

استنتاج.

الفصل الأول: النظرية الاخلاقية في القرآن الكريم:

المبحث الأول - المبادئ العامة للانظمة والنظريات الاخلاقية.

أ - القرآن وحرية الارادة.

ب - القرآن والكمال البشري.

ج - القرآن والطريق نحو الكمال البشري.

المبحث الثاني - معيار التقييم وكيفيته.

المبحث الثالث - المصطلحات القرآنية للمفاهيم الاخلاقية.

المبحث الرابع - ملاكات التقييم في النظرية الاسلامية:

دور النية في تقييم العمل.

دور الايمان في تقييم العمل.

ما يشترط في قبول العمل.

الفصل الثاني: النظام الاخلاقي في القرآن الكريم:

(القرآن الكريم ومفردات السلوك الانساني):

المبحث الأول - الخطوط العامة.

المبحث الثاني - الصورة التفصيلية.

تمهيد:

القرآن نور لمن استضاء به^١:

قال الله عز وجل: ﴿يا أيها الناس قد جاءكم برهان من ربكم وأنزلنا إليكم نوراً مبيناً﴾^٢.

وقال عز من قائل: ﴿قد جاءكم من الله نورٌ وكتابٌ مبينٌ. يهدي به الله من اتبع رضوانه سبيل

السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ويهديهم إلى صراطٍ مستقيم﴾^٣.

عن علي عليه السلام: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وهو يصف القرآن ويحث على

الالتزام به والاستضاءة بنوره: «فعلَيْكم بالقرآن فإنه شافع مشفع، وما حلُّ مصدق. ومن جعله

أمامه قاده إلى الجنة، ومن جَعَلَه خلفه ساقيةً إلى النار. وهو الدليل يدلُّ على خير سبيل»^٤، وهو

الفصل ليس بالهزل ... فيه مصابيح الهدى ومنار الحكمة»^٥.

وعن الحسن بن علي عليه السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال: «من ابتغى العلم

في غيره» أضلَّه الله»^٦ وعن علي عليه السلام في وصفه للقرآن العظيم: «لا تغنى عجائبه ولا

تنقضي غرائب، ولا تنجلي الشبهات إلا به»^٧.

(١) كما جاء عن علي عليه السلام - راجع تصنيف غرر الحكم ودرر الكلم للآمدي: ١١٠، الحكمة: ١٩٦٧.

(٢) النساء: ٧٤. (٣) المائدة: ١٥ و ١٦.

(٤) الماحل: الخصم المجادل. (٥) وهو مضمون قوله تعالى في سورة الاسراء: الآية ٩.

(٦) وهو تضمين قوله تعالى في سورة الطارق: الآية ١٣. (٧) بحار الانوار ٧٧: ١٣٤، ٩٢: ١٧.

(٨) ميزان الحكمة ٨: ٦٦، الحديث: ١٦١١١. أي في غير القرآن. (التحرير).

(٩) تصنيف غرر الحكم ودرر الكلم للآمدي: ١١١، الحكمة: ١٩٧٠.

الاخلاق جوهر الشخصية الانسانية:

قال تعالى: ﴿قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ﴾^١.

وعن رسول الله صلى الله عليه وآله: «لو يعلم العبد مافي حُسن الخُلق لعلم أنه محتاج أن يكون له خُلق حسن»^٢.

وعنه صلى الله عليه وآله: أيضاً «أَوَّل ما يوضع في ميزان العبد يوم القيامة حُسن خُلقه»^٣.

وعنه صلى الله عليه وآله: أيضاً «حسن الخلق ذهب بخير الدنيا والآخرة»^٤.

وعنه صلى الله عليه وآله: أيضاً «أشبهكم بي أحسنكم خُلقاً»^٥.

وعنه صلى الله عليه وآله: أيضاً «أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خُلقاً»^٦.

وعن علي عليه السلام: «حسن السيرة عنوان حسن السريرة»^٧.

وعنه عليه السلام: «حسن الخُلق خير قرين^٨ أفضل الدين^٩ رأس كل بر»^{١٠} و«ما أعطى الله

مبجائه العبد شيئاً من خير الدنيا والآخرة إلاّ بحُسن خُلقه وحُسن نيّته»^{١١}.

وعنه عليه السلام: «لا عيش هنا من حُسن الخُلق»^{١٢}، «وصول المرء إلى كل ما يبتغيه.. بحسن نيّته وسعة خُلقه»^{١٣}.

وعن الرسول صلى الله عليه وآله: «الخُلق وعاء الدين»^{١٤}، و«الاسلام حُسن الخُلق»^{١٥}.

«إنما بعثت لأتمم مكارم الاخلاق»^{١٦}.

(١) الاسراء: ٨٤

(٣) المصدر: ١٤٠، الحديث: ٥٠١٥.

(٥) المصدر: ١٤٢، الحديث: ٥٠٢٥.

(٧) تصنيف غرر الحكم: ٢٥٥، الحكمة: ٥٣٨٧.

(٩) المصدر: ٢٥٤، الحكمة: ٥٣٥٤، والخلق العظيم هو الدين العظيم وهو الاسلام كما جاء عن الامام الباقر عليه السلام في تفسيره قوله تعالى: (وإِنَّكَ لَمَلَكٌ مَّخْلُوقٌ عَظِيمٌ)، راجع ميزان الحكمة ٣: ١٤١.

(١٠) المصدر: ٢٥٤، الحكمة: ٥٣٦٠.

(١٢) المصدر: ٢٥٤، الحكمة: ٥٣٧٩.

(١٤) ميزان الحكمة ٣: ١٣٧، الحديث: ٤٩٨٥.

(١٦) تفسير نور الثقلين ٥: ٣٩٣.

(٢) ميزان الحكمة ٣: ١٣٨، الحديث: ٤٩٩٦.

(٤) المصدر: ٣: ١٣٨، الحديث: ٤٩٩١.

(٦) المصدر: ٣: ١٤٢، الحديث: ٥٠٢٤.

(٨) المصدر: ٢٥٤، الحكمة: ٥٣٥٧.

(١١) المصدر: ٢٥٤، الحكمة: ٥٣٦٦.

(١٣) المصدر: ٢٥٤، الحكمة: ٥٣٨٠.

(١٥) المصدر: ٣: ١٣٧، الحديث: ٤٩٨٨.

استنتاج:

إذن القرآن أغنى وأصفى ينبوع للمعرفة.

وأهم ما يهّم الإنسان هو مصيره - سعادته وشقاؤه..

وقد اهتم القرآن العظيم بكل ما يرتبط بمصير الإنسان. فليس لنا إلا التوجّه نحوه واستخراج كنوز معارفه.

وقد لاحظنا - وسنلاحظ أيضاً - بأن أخلاق الإنسان هي جوهره، فمصيره وسعادته وشقاؤه تتّبع لما يكسبه من ملكات أخلاقية في حياته الدنيا. فلا بدّ له من اختيار نظام أخلاقي يضمن له سعادته ويعصمه من الانزلاق في هاوية الشقاء.

ولكل نظام أسس نظرية يبتني عليها، ويستمدّ قيمته منها.

ومن هنا ينبغي لنا الاهتمام بمعرفة النظرية الأخلاقية الإسلامية أولاً لأنها هي روح النظام الأخلاقي الإلهي حيث نحصل فيها على السرّ الكامن في أفعال الإنسان وصفاته المؤدّي إلى اتصاف بعضها بقيمة إيجابية - فتسمّى بالفضائل والمكارم - واتصاف البعض الآخر بقيمة سلبية - فتسمّى بالردائل والمساوي والفساسف - ثم يجدر الدخول إلى تفاصيل النظام الأخلاقي للإسلام.

الفصل الأول: النظرية الأخلاقية في القرآن الكريم

المبحث الأول - المبادئ العامة للأنظمة والنظريات الأخلاقية:

لكل نظرية أخلاقية: مبادئ تنطلق منها وتبني عليها، وعناصر تتكوّن منها، ونتائج تترتب عليها.

والمبادئ منها ما هو عام، تشترك فيه كل النظريات والأنظمة الأخلاقية، ومنها ما تختص به بعض النظريات دون بعض.

والمباديء العامة لكل النظريات الاخلاقية هي:

- ١- إن الانسان كائن حر في سلوكه، فهو مختار متحرّك بالارادة.
- ٢- لكل انسان هدف أقصى يسعى إليه في الحياة.
- ٣- للانسان قدرة على الوصول إلى الكمال اللائق به.
- ٤- إنّ سلوك الانسان وأفعاله الارادية هي التي تصنع له مصيره النهائي من سعادة أو شقاء.

وكل نظام أخلاقي يتضمّن دعوة للانسان إلى تغيير أخلاقه وترشيد سلوكه باتجاه ما يرسمه ذلك النظام الاخلاقي للانسان من كمالات وفضائل أخلاقية. وهذه الدعوة تتضمّن الايمان بقدرة الانسان على تغيير سلوكه وأخلاقه، كما تتضمن الايمان بحرية الانسان المدعوّ لتغيير خلقه وصياغة سلوكه. فله أن يسير نحو ما يدعو إليه ذلك النظام وله أن يرفض ذلك. والتسليم بأن الانسان يفتقد خصالاً وملكات يُدعى للوصول إليها معناه أنّ هناك كمالاتاً للانسان - بحسب تصوّر ذلك النظام - والانسان مدعوّ للسعي نحوه واستهدافه في سلوكه وجميع تصرّفاته.

فإنّ كل انسان بحسب حبه لذاته - فطرةً - يسعى لحفظ ما يملك من كمال بحسب تصوّره، وينزع إلى ما يفتقده من كمالات - بحسب تصوّره أيضاً - ولا يوجد إنسان يسعى نحو خسران ما يملكه من كمالات بحسب تصوّره. وكل هذه الكمالات المتصورة تنتهي إلى كمال نهائي، وتتضمّن هدفاً أقصى يرسمه ذلك النظام أو يختاره الانسان المؤمن بذلك النظام لنفسه بحسب ما يملك من رؤى وقناعات تسبق إيمانه بذلك النظام.

والانظمة الاخلاقية حينما تدعو الانسان إلى كسب الفضائل والكمالات تتضمّن الايمان بقدرة الانسان على وصوله إلى تلك الفضائل والكمالات والتحلي بتلك الملكات اللازمة به بحسب تصوّر تلك الانظمة الاخلاقية.

كما تتضمن الايمان بأن الانسان بسعيه وسلوكه هو الذي يصنع لنفسه مصيره النهائي؛ من سعادة أو شقاء بحسب تصوّره؛ فإنّ الانسان إذا لم يعتقد بأنّ مايفعله دخیل في وصوله إلى أهدافه أو هدفه الاقصى الذي يتحرك باتجاهه دائماً، فليس له أي داع للتحرك حينئذ. لأن حركته اختيارية، والمختار إنّما يختار ما يراه صالحاً لنفسه ولازماً لتحقيق مصالحه، ولا يختار ما يراه مضرّاً لنفسه أو لغواً وغير مفيد ولا دخیلاً في تحقيق مصالحه ومنافعه.

إذن لكل إنسان هدف أقصى قد اختاره لنفسه في الحياة يسعى نحوه باختياره سعيّاً حيثاً دائماً^١.

ولا يختلف اثنان في هذا الاصل، وإن اختلفا في مصداق الكمال اللائق بالانسان والهدف الذي ينبغي الوصول إليه.

كما أنّ كل انسان يؤمن بوجود طريق اختياري في الحياة للوصول إلى ذلك الهدف الاقصى الذي اختاره، وإن اختلفت تصوّرات الافراد في تشخيص ذلك الطريق الموصل إلى ذلك الكمال المقتنع به.

وهذا الطريق الاختياري هو مجموع التصرفات والافعال الاختيارية التي يعتقد الانسان بتأثيرها في تحقيق مااستهدفه في الحياة وجعله لنفسه كمثلاً أعلى يسعى إليه. وهل هذا إلاّ الايمان من الانسان - ومن أيّ نظام أخلاقي - بأن الانسان هو الذي يختار مصيره النهائي وهو الذي يصنعه بيديه؟

وهذه هي الاصول الموضوعية والمبادئ العامة لكل نظام أخلاقي، وبالطبع لكل نظرية أخلاقية أيضاً.

إذن لا خلاف في ابتناء كل النظم الاخلاقية - ومنها النظام الاخلاقي الاسلامي - على

(١) فإن لكل حركة اختيارية داعياً وهدفاً قريباً، وبالتعمق فيه نجده منطلقاً من هدف آخر وراءه حتى تصل كل هذه الاهداف المتدرّجة والمتسلسلة إلى هدف نهائي لايقبل التعليل بل يكون مطلوباً لذاته لكل إنسان لأنه يصبو إليه بنظرته.

هذه الاصول الموضوعية العامة وإن اختلفت الانظمة والرؤى في تشخيص مصداق الكمال النهائي اللائق بالانسان، وفي تشخيص الطريق الاختياري أو مفردات السلوك البشري الموصلة إلى ذلك الكمال اللائق بالانسان.

المبدأ الأول - القرآن وحرية الارادة:

﴿ولو شاء ربك لآمن من في الارض كلهم جميعاً، أفأنت تُكره الناس حتى يكونوا مؤمنين﴾^١.

﴿لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي﴾^٢.

﴿فإن أسلموا فقد اهتدوا، وإن تولوا فإنما عليك البلاغ...﴾^٣.

﴿فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر﴾^٤.

﴿فإن أعرضوا فما أرسلناك عليهم حفيظاً، إن عليك إلا البلاغ﴾^٥.

﴿فذكر إنما أنت مذكر لست عليهم بمصيطر﴾^٦.

﴿إنا أنزلنا عليك الكتاب بالحق فمن اهتدى فلنفسه ومن ضل فإنما يضل عليها وما

أنت عليهم بوكيل﴾^٧.

وهكذا بكل صراحة نرى القرآن الكريم قد فرز حرية الانسان في اعتقاده وسائر أعماله. وتكفينا نظرة سريعة على آيات القرآن لنجد كيف يلقي على الانسان تبعة اختياره ويحمّله مسؤولية حرّيته. وحرية العقيدة ليست إلا عنصراً لا يتجزأ من الحرية التامة الكاملة.

ويستعرض القرآن تاريخ البشرية، ويفصّل الحديث عمّا لقي الأنبياء في سبيل دعوتهم من تكذيب واضطهاد، وكل الاديان مجمعة على أنه تعالى لو شاء أن يهتدي

(٢) البقرة: ٢٥٦.

(٤) الكهف: ٢٩.

(٦) الغاشية: ٢٢.

(١) يونس: ٩٩.

(٣) آل عمران: ٢٠.

(٥) الشورى: ٤٨.

(٧) الزمر: ٤١.

الناس جميعاً لَمَّتْ مشيئته. لكنه تعالى ترك الانسان يحمل مسؤولية هذه الحرية وتبعاتها. وقد تهيأت له وسائل التمييز والهدى مادية ومعنوية. ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾^١، «وهديناه النجدين»^٢، «ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها»^٣. فالانبياء ليس لهم إكراه الناس على الهداية، كما أنَّ الشيطان ليس له إكراههم على الضلال والغواية، وقد أفصح عنه تعالى قائلاً: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنْ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾^٤. ﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُمُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ...﴾^٥.

إنَّ حُرِّيَّةَ الإرادة عنصر جوهري في الانسان، قد أكَّده القرآن الكريم بشئى الاساليب. فَمِنْ بَعَثِ الانبياء لهدايته وإرشاده، إلى تبشيرهم وإنذارهم له^٦، إلى وعده بالثواب على الاعمال الصالحة ووعيده له تعالى بالعقاب على معاصيه^٧، إلى تكليفه وتحميله المسؤولية في هذه الحياة^٨، وسؤاله عن أعماله في يوم القيامة^٩، إلى ابتلائه واختباره الدائم في هذه الحياة^{١٠}.

كل هذه الآيات تتضمن إقرار حرية الانسان والايمان باختياره وقدرته على الانتقاء. وهكذا آيات العهد والميثاق^{١١} هي دليل آخر على قدرة الانسان ليسيير على هدى الله أو يُعرض عنه.

والآيات التي تنسب أعمال الانسان إلى نفس الانسان هي صريحة في أنه هو صاحب العمل الذي يصدر منه: ﴿وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى، وَأَنْ سَعِيهِ سَوْفَ يُرَى﴾^{١٢}.

(١) الانسان: ٣.

(٢) البلد: ١٠.

(٣) الشمس: ٧ و ٨.

(٤) الحجر: ٤٢.

(٥) إبراهيم: ٢٢.

(٦) البقرة: ٢١٣.

(٧) الاحزاب: ٨.

(٨) البقرة: ٥٢ و ٣٩.

(٩) الاحزاب: ٨.

(١٠) الكهف: ٧.

(١١) يس: ٦٠ و ٦١.

(١٢) النجم: ٤٠.

﴿فمن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا تُفَران لسيئه﴾^١.
 ﴿والصابرين والصادقين والقانتين والمنفقين والمستغفرين بالأسحار﴾^٢.
 وأصرح الآيات هي التي جاءت فيها مشتقات المشيئة أو الإرادة منسوبة للإنسان.
 أنظر قوله تعالى: ﴿فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر﴾^٣.
 ﴿لمن شاء منكم أن يستقيم﴾^٤.
 ﴿من أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن..﴾^٥.
 ﴿ومن يُرد ثواب الدنيا نُؤتِه منها ومن يُرد ثواب الآخرة نُؤتِه منها﴾^٦.
 ويحاول البعض أن يستشهد ببعض الآيات لشبهة الجبر مثل قوله تعالى: ﴿والله خلقكم وما تعملون﴾^٧.
 وقوله: ﴿فإن الله يُضِلُّ من يشاء ويهدي من يشاء﴾^٨.
 ويكفي لردِّ هذه الشبهة ملاحظة الآيات السابقة التي تصرَّح بأن العمل الصادر من الإنسان هو عمله وأنه هو المسؤول عنه والمثاب عليه أو المجازى به.
 بل هناك آيات جمعت في سياق واحد بين المشيئين «مشيئة الإنسان ومشيئة الله سبحانه» مثل قوله تعالى: ﴿لمن شاء منكم أن يستقيم وماتشاؤون إلا أن يشاء الله ربِّ العالمين﴾^٩.
 فهذه صريحه في أن الإنسان هو صاحب المشيئة وهو الذي يختار أن يستقيم فيستقيم. وأن هذه القدرة على الانتقاء إنما هي لأجل أن الله سبحانه أراد له أن يكون مختاراً وحرّاً في تصرفاته.

(٢) آل عمران: ١٧.

(٤) التكوين: ٢٩.

(٦) آل عمران: ١٤٠.

(٨) فاطر: ٨.

(١) الأنبياء: ٩٤.

(٣) الكهف: ١٨.

(٥) الإسراء: ١٩.

(٧) الصافات: ٩٦.

(٩) التكوين: ٢٨ و ٢٩.

بل يصرح القرآن الكريم بأن الله لو شاء أن يهدي الانسان هداية جبرية لأمكن ذلك، ولكنه لم يشأ ذلك، بل شاء أن تكون هدايته للانسان من خلال إرادته التي أعطاها له، ومن خلال الحرية التامة في أن يختار الهداية على الضلال أو الضلال على الهداية. ولهذا جاء بكلمة «لو» فقال: ﴿فلو شاء لهداكم أجمعين﴾^١.

ومثل هذه الآيات تبين لنا قدرة الله المطلقة من جهة، كما تبين لنا أن الله سبحانه قد شاء أن يكون الانسان حراً مختاراً في قبوله للحق أو رفضه له.

ولنلاحظ أيضاً الآيات التي تقرر أن الانسان هو الذي يختار ويريد وأن الله سبحانه يعامله حسب ما يختار من حرث الدنيا أو حرث الآخرة: ﴿من كان يريد حرث الآخرة نزد له في حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وماله في الآخرة من نصيب﴾^٢.

﴿من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف إليهم أعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون﴾^٣. فالجبر والحتمية في الجزاء والتبعات إنما يترتبان بعد ما يختار الانسان ويتصرف بحرية تامة، أنظر قوله تعالى: ﴿إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم، وإذا أراد الله بقوم سوء فلا مرد له﴾^٤.

﴿فأخذهم الله بذنوبهم، ذلك بأن الله لم يك مغيراً نعمه أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم﴾^٥.

﴿وما ظلمناهم ولكن ظلموا أنفسهم.. وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة، إن أخذه أليم شديد﴾^٦.

وهكذا ينبغي دراسة المقطع القرآني بشكل كامل لفهم كيف جعل الله سبحانه بحسب حكمته ومشيئته لكل مصير وعاقبة وجزاء سبباً وطريقاً يمر من خلال حرية الانسان.

(٢) الشورى: ٢٠.

(٤) الرعد: ١١.

(٦) هود: ١٠١ و ١٠٢.

(١) الانعام: ١٤٩.

(٣) هود: ١٥.

(٥) الانفال: ٥٣.

وبغير هذه الحرية تنتفي حكمة إرسال الرسل وحكمة التكليف والاختبار وسوف ينتفي قوله تعالى: ﴿فَإِنَّمَا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب النار^١.

﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا﴾^٢.

﴿لَا يَكْلَفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾^٣.

﴿ثُمَّ لَنَسْأَلَنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾^٤.

﴿لَقَدْ يَكُونُ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾^٥.

وأخيراً فإن حرية الانسان وقدرته على الانتقاء هي السر في قابلية أفعاله للتقييم «بالتحسين والتقبيح» وبدون ذلك لما استحق أحد أن يُلام أو يُدان، ولما أمكن تصوّر وجود متخلف عن القانون على وجه الارض، ولما ساءت محاكمته ومجازاته.



(٢) الأسراء: ١٦.

(٤) التكاثر: ٨.

(١) البقرة: ٣٨، ٣٩.

(٣) البقرة: ٢٨٦.

(٥) النساء: ١٦٥.

مُنَاجَاةٌ

رَبِّهِمَا هَذَا الْبَيْتَ الَّذِي فِيهِ الْوَيْدُ

إلهي : تقوّيتُ بنعمك على معاصيك... فلا تسلب مني نعمك لأرجع إلى طاعتك، ولكن أنعم عليّ بالطاعة.



إلهي : بزرع العارفون بك في طريق محبتك الطاعات فتفتّح وروداً ورياحين... وأنا غرست في طريقي إليك الشوك والعوسج... إلهي دمعني حرّى، وقلبي يُدمن، فارحم حال من مشى على العوسج.

ربّاه : معاول الندم ما برحت تفرع بلا رحمة ضميري، والندم ما علمت توبة... أما أن للقوي أن يحطم المعاول ويريح الضمير.

ربّاه : ينام هذا الورى وعينٌ من يحبك ساهرة.

ربّاه : ما قيمة حياة من يتمنى لقيّاك فلا يواتيه؟... وأيّ عيش يطيب للصبّ الولهان وأجنحة قلبه تحلق كل يوم تروم رؤيتك فتصاب بسهم البقاء فتراجع إلى دنيا الفناء؟

إلهي : ذاب أسى من قُتل في حبك وهو حي غير قتيل... وتمس حظاً من شُغف برؤية جمالك وأنت عنه بعيد.

إلهي : أعود بوجهك الكريم أن يحين أجلي ولم أكن قد التذذت بعبادة أو طاعة من طاعاتك.

فأسألك بمحمد وآل محمد أن لا تقبض روحي إلا وأنا في حالة جهادٍ في سبيلك،

فنون وآداب

ولساني رطب بذكرك ومناجاتك يا أكرم الأكرمين.

«إنك تتحبب إلي فاتبغض إليك»^١ لكأنك العاشق وأنا المعشوق.

فعلمني يارب كيف أحبك...

رباه: إن قافلة السبط الشهيد لم تكن مليئة بالانصار. فارحم هذا الذي يعدو خلفها

متحرّق الأشواق... مكسور الفؤاد... واجعله من أصحابها «واجعل لساني بذكرك لهجاً

وقلبي بحبك متيماً»^٢، فما الحب إلا حبك... إنك أنت المحبوب الأوحده.



(١) مفاتيح الجنان : دعاء الافتتاح.

(٢) مفاتيح الجنان : دعاء كميل.

الحب لله

فِي آدَعِيَةِ أَهْلِ الْبَيْتِ عَلَيْهِ السَّلَامُ

(٢)

سَيِّدَةِ الشَّيْخِ مُحَمَّدٍ مَهْدِيِّ الْأَصْفَى عَلَيْهِ السَّلَامُ

الدعاء قاع وقمة

لكثير من الادعية قاع وقمة، أما القاع فهو يجسد موضع العبد وما ركب من السيئات والذنوب، وأما القمة فهي تمثل طموحه وأمله في الله سبحانه وتعالى، ولا حد لكرمه وجوده وخزائن رحمته.

وفي «دعاء الاسحار» يذكر زين العابدين عليه السلام هذا الفاصل النفسي بين القاع والقمة، يقول عليه السلام: «إذا رأيت مولاي ذنوبي فزعت، وإذا رأيت كرمك طمعت»^١. ويقول عليه السلام في نفس الدعاء: «عظم ياسيدي أجلي، وساء عملي فأعطني من عفوك بمقدار أجلي، ولا تؤاخذني بأسوء عملي»^٢.

وفي الدعاء الذي علمه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام لكمال بن زياد رضي الله عنه يبدأ من القاع فيقول: «اللهم اغفر لي الذنوب التي تهتك العصم، اللهم اغفر لي الذنوب التي تنزل النقم، اللهم اغفر لي الذنوب التي تغتير النعم، اللهم اغفر لي الذنوب التي تحبس الدعاء... اللهم لا أجد لذنوبي غافراً، ولا لقبائحي ساتراً، ولا لشيء من عملي القبيح بالحسن مبدلاً غيرك... سبحانه وبحمده ظلمت نفسي، وتجرأت بجهلي، وسكنت إلى قديم ذكرك لي ومنك علي... اللهم عظم بلائي، وأفرط بي سوء حالي، وقصرت بي أعمالي، وقعدت بي أغلالِي، وحبسني عن نفعي بعد أجلي وخدعتني الدنيا بغرورها، ونفسي بجنايتها

(١) دعاء أبي حمزة الثمالي.

(٢) دعاء أبي حمزة الثمالي.

ومطالي... فأسألك بعزتك أن لا يحجب عنك دعائي سوء عملي وفعالي، ولا تفضحني بخفي مااطلعت عليه من سري...^١.

وهذا (القاع) هو حضيض العبودية وما يكتنفها من سيئات. ثم تنتهي في أواخر الدعاء إلى قمة الطموح التي تجسد أمل العبد ورجاءه العظيم في رحمة الله الواسعة، فيقول: «وهب لي الجد في خشيتك والدوام في الاتصال بخدمتك حتى أسرح إليك في ميادين السابقين، وأسرع إليك في البارزين، وأشتاق إلى قربك في المشتاقين، وأدنو منك دنو المخلصين... واجعلني من أحسن عبيدك نصيباً عندك، وأقربهم منزلة منك، وأخصهم زلفة لديك، فإنه لا ينال ذلك إلا بفضلك...»^٢.

ونجد في الدعاء الذي يرويه أبو حمزة الثمالي عن الامام زين العابدين عليه السلام لأسحار شهر رمضان نفس الفاصل الكبير بين «القاع» و«القمة». ففي البدء ينطلق من نقطة القاع، فيقول عليه السلام: «وما أنا يارب وما خطري، هبني بفضلك، وتصدق علي بعفوك، أي رب جلّني بسترِكَ، واعف عن توبيخي بكرم وجهك»^٣.

«فلا تحرقني بالنار، وأنت موضع أمني، ولا تُسكنني الهاوية فإنك قرة عيني... إرحم في هذه الدنيا غربتي، وعند الموت كربتي، وفي القبر وحدتي، وفي اللحد وحشتي، وإذا نُشرت للحساب بين يديك دُلّ موقعي، وارحمني صريعاً على الفراش تقلّبي أيدي أحبتي، وتفضل عليّ ممدوداً على المغتسل يقلّبي صالح جيرتي، وتحنّ عليّ محمولاً قد تناول الاقرباء أطراف جنازتي، وجُد عليّ منقولاً قد نزلت بك وحيداً في حفرتي»^٤.

ثم بعد ذلك يقول عليه السلام في مرحلة الطموح وقمة الدعاء: «اللهم إني أسألك من خير ما سألك منه عبادك الصالحون، ياخير من سُئِل وأجود من أعطى... أعطني سؤلي في نفسي وأهلي وولدي، وأرغد عيشي، وأظهر مروّتي، وأصلح جميع أحوالي، واجعلني ممن

(١) دعاء كميل.

(٣) دعاء أبي حمزة الثمالي.

(٢) دعاء كميل.

(٤) دعاء أبي حمزة الثمالي.

أطلت عمره، وحسنت عمله، وأتممت عليه نعمتك، ورضيت عنه، وأحييته حياة طيبة... اللهم خصني بخاصة ذكرك...، واجعلني من أوفر عبادك نصيباً عندك في كل خير أنزلته أو تنزله^١. وهذه الرحلة من «القاع» إلى «القمة» هي تعبير عن حركة الانسان إلى الله، وهي رحلة «أمل»، و«رجاء»، و«طموح»، وعندما يكون أمل الانسان ورجاؤه وطموحه في الله فلا حد لغاية هذه الرحلة.

الوسائل الثلاثة:

ويتوسل علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام إلى الله في هذه الرحلة، بثلاث وسائل. وقد أمرنا الله تعالى أن نبتغي إليه الوسائل، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ﴾^٢ وقال: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ﴾^٣. والوسائل التي يتوسل بها الامام إلى الله في هذه الرحلة هي: «الحاجة»، و«السؤال»، و«الحب». ولله درّه من معلّم في الدعاء، يعرف ماذا يطلب من الله تعالى، وكيف يطلب، وأين مواضع رحمة الله.

الوسيلة الاولى: (الحاجة): -

فالحاجة نفسها من منازل رحمة الله، فإن الله تعالى كريم ينزل رحمته على خلقه حتى الحيوان والنبات لحاجتهم من دون سؤال وطلب. دون أن يكون معنى هذا الكلام نفي السؤال والطلب، فإنّ السؤال والطلب باب آخر من أبواب رحمة الله إلى جنب «الحاجة».

فإذا عطش الناس سقاهم ربهم، وإذا جاعوا أطعمهم، وإذا عروا كساهم «وإذا مرضت فهو يشفين»^٤، حتى ولو لم يعرفوا الله تعالى، ولم يعرفوا كيف يدعونه، وماذا يطلبون منه، «يامن يعطي من سأله، يامن يعطي من لم يسأله ومن لم يعرفه تحنّنا منه ورحمة»^٥.

(٢) المائدة: ٣٥.

(٤) الشعراء: ٨٠.

(١) دعاء أبي حمزة الثمالي.

(٣) الاسراء: ٥٧.

(٥) من أدعية شهر رجب.

وفي مناجاة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام نجد التفاتاً رائعاً لهذه النكتة الربانية في استنزال رحمة الله تعالى:

- «مولاي يامولاي أنت المولى وأنا العبد، وهل يرحم العبد إلا المولى؟
 مولاي يامولاي أنت المالك وأنا المملوك، وهل يرحم المملوك إلا المالك؟
 مولاي يامولاي أنت العزيز وأنا الذليل، وهل يرحم الذليل إلا العزيز؟
 مولاي يامولاي أنت الخالق وأنا المخلوق، وهل يرحم المخلوق إلا الخالق؟
 مولاي يامولاي أنت العظيم وأنا الحقير، وهل يرحم الحقير إلا العظيم؟
 مولاي يامولاي أنت القوي وأنا الضعيف، وهل يرحم الضعيف إلا القوي؟
 مولاي يامولاي أنت الغني وأنا الفقير، وهل يرحم الفقير إلا الغني؟
 مولاي يامولاي أنت المعطي وأنا السائل، وهل يرحم السائل إلا المعطي؟
 مولاي يامولاي أنت الحي وأنا الميت، وهل يرحم الميت إلا الحي؟
 مولاي يامولاي أنت الباقي وأنا الفاني، وهل يرحم الفاني إلا الباقي؟
 مولاي يامولاي أنت الدائم وأنا الزائل، وهل يرحم الزائل إلا الدائم؟
 مولاي يامولاي أنت الرازق وأنا المرزوق، وهل يرحم المرزوق إلا الرازق؟
 مولاي يامولاي أنت الجواد وأنا البخيل، وهل يرحم البخيل إلا الجواد؟
 مولاي يامولاي أنت المعافي وأنا المبتلى، وهل يرحم المبتلى إلا المعافي؟
 مولاي يامولاي أنت الكبير وأنا الصغير، وهل يرحم الصغير إلا الكبير؟
 مولاي يامولاي أنت الهادي وأنا الضال، وهل يرحم الضال إلا الهادي؟
 مولاي يامولاي أنت الغفور وأنا المذنّب، وهل يرحم المذنّب إلا الغفور؟
 مولاي يامولاي أنت الدليل وأنا المتحيّر، وهل يرحم المتحيّر إلا الدليل؟
 مولاي يامولاي أنت الغالب وأنا المغلوب، وهل يرحم المغلوب إلا الغالب؟
 مولاي يامولاي أنت الرب وأنا المربوب، وهل يرحم المربوب إلا الرب؟

مولاي يامولاي أنت المتكبر وأنا الخاشع، وهل يرحم الخاشع إلا المتكبر؟!
مولاي يامولاي ارحمني برحمتك، وارض عني بجودك وكرمك وفضلك ياذا الجود
والإحسان، والطول والامتنان^١.

والامام أمير المؤمنين عليه السلام في هذه الفقرات من المناجاة الرائعة يتوسل إلى الله تعالى بحاجته وفقره، ويضع حاجة العبد وفقره في موضع استنزال رحمة الله.
فإن المخلوق يستنزل رحمة الخالق، والحقير يستنزل رحمة العظيم، والضعيف يستنزل رحمة القوي، والفقير يستنزل رحمة الغني، والمرزوق يستنزل رحمة الرازق، والمبتلى يستنزل رحمة المعافي، والضال يستنزل رحمة الهادي، والمذنب يستنزل رحمة الغفور، والمتحير يستنزل رحمة الدليل، والمغلوب يستنزل رحمة الغالب.
وهذه من السنن الكونية لله تعالى، ولن تتبدل سنن الله، فمهما كانت حاجته وفقره كانت رحمة الله وفضله عندهما. وكما ينزل الماء إلى الموضع المنخفض، تنزل رحمة الله تعالى على مواضع الحاجة، وذلك أنه تعالى كريم جواد، والكريم يرعى مواضع الحاجة ويخصها برحمته.

يقول الامام زين العابدين عليه السلام في دعاء الاسحار الذي علمه لأبي حمزة الثمالي:
«أعطني لفقري، وارحمني لضعفي»، فيجعل من فقره وضعفه وسيلة يتوسل بهما إلى رحمة الله.

وطبيعي أن هذا الكلام لا يمكن أن يؤخذ على إطلاقه، وعلى طريقة العامل الواحد، فإن هناك عوامل أخرى تستنزل رحمة الله تعالى، وهناك موانع وحجب تحجب رحمة الله، وهناك عامل الابتلاء في سنن الله تعالى.

وعندما نقول إن الحاجة والفقير يستنزلان رحمة الله تعالى ينبغي أن نأخذ هذا الكلام ضمن هذا النظام الإلهي الشامل. وهذا باب واسع من المعرفة لا نريد أن ندخله الآن،

(١) مفاتيح الجنان، أعمال مسجد الكوفة، مناجاة أمير المؤمنين عليه السلام.

وعسى أن يوفقني الله تعالى لشرح هذه الحقيقة بما تستحق من التوضيح.

ونجد في القرآن الكريم نماذج من عرض «الحاجة» و«الفقر» لاستنزال رحمة الله تعالى، واستنزال الإجابة من عند الله. وللحاجة إجابة، كما للدعاء والسؤال إجابة، فإن عرض الحاجة نحو من الدعاء. وهذه النماذج يذكرها القرآن على لسان عباد الله الصالحين:

١- من هذه النماذج حاجة العبد الصالح الممتحن والمبتلى أيوب عليه السلام، عندما نادى الله تعالى، وهو في غمرة الابتلاء والمحنة: ﴿وأيوب إذ نادى ربه أي مسني الضر وأنت أرحم الراحمين فاستجبنا له فكشفنا ما به من ضرر وآتيناه أهله ومثلهم معهم رحمةً من عندنا وذكرى للعابدين﴾^١.

ولا دعاء في هذه الفقرة التي يحكيها القرآن الكريم عن لسان هذا العبد الصالح المبتلى، ولكن الله تعالى يقول: ﴿فاستجبنا له فكشفنا ما به من ضرر﴾ وكأنَّ عرض الحاجة والفقر نحو من الدعاء.

٢- والعبد الصالح ذو النون يعرض فقره وحاجته وظلمه لنفسه على الله تعالى، وهو في ظلمات بطن الحوت في البحر: ﴿وذا النون إذ ذهب مغاضباً فظن أن لن نقدر عليه فنادى في الظلمات أن لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين فاستجبنا له ونجيناه من الغم وكذلك تنجي المؤمنين﴾^٢.

والاستجابة كذلك ليست للطلب وإنما للحاجة والفقر، فلم يزد العبد الصالح ذو النون عليه السلام على هذه الكلمة ﴿سبحانك إني كنت من الظالمين﴾ فاستجاب الله تعالى له، ونجّاه من الغم ﴿فاستجبنا له ونجيناه من الغم﴾.

٣- وملتقي في القرآن بكلمة كلیم الله موسى بن عمران وأخيه هارون عندما دعاهما الله تعالى ليحملا رسالته إلى فرعون ﴿إذهب إلى فرعون إنه طغى، فقولا له قولاً لينا لعلّه

يتذكر أو يخشى قالاً ربنا إننا نخاف أن يفرط علينا أو أن يطغى^١، فلم يطلبوا من الله تعالى أن يحميهم من فرعون وجلاوزته ويوفر لهما الأمن الذي يحتاجانه. وإنما ذكرا لله ضعفهما وخوفهما من بطش فرعون، وقوة فرعون وبطشه ﴿إِنَّا نَخَافُ أَنْ يُفْرِطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْغَى﴾، فاستجاب الله لحاجتهما إلى الحماية والدعم والتأييد ﴿قَالَ لَا تَخَافَا إِنِّي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى﴾^٢.

٤- والنموذج الرابع كلمة العبد الصالح نوح عليه السلام، عندما عرض على الله حاجته إلى إنقاذ ابنه من الطوفان ﴿وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي، وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ﴾^٣، وهو طلب في غاية الأدب من هذا العبد الصالح، فلم يطلب من الله تعالى إنقاذ ابنه، وإنما عرض حاجته إلى إنقاذ ابنه من الفرق فقط.

ومهما يكن من أمر فإن «الحاجة» و«الفقر» من مواطن نزول رحمة الله تعالى. وحتى الحيوانات والنباتات تستنزل رحمة الله تعالى بحاجتها وفقرها.

فإذا عطشت سقاها الله تعالى ورواها، وإذا جاعت أشبعها الله تعالى وأطعمها. وهذا باب واسع من المعرفة وقد سبق أن بينت طرفاً من ذلك في كتاب «شرح الصدر» من «رحاب القرآن» وعسى أن يقيض الله تعالى من يشرح ذلك.

وفي تاريخ الأنبياء نلتقي بثلاثة مشاهد لاستجابة الله تعالى في وقت واحد: أحدهما استجابة للحاجة والفقر «غير الواعي»، والآخر استجابة للدعاء والسؤال «الفقر الواعي»، والثالث استجابة للسعي والحركة والعمل، وهو المواطن الثالث من مواطن الاستجابة. وذلك في قصة اسماعيل عليه السلام وأمه هاجر عندما ذهب إبراهيم عليه السلام بزوجه هاجر وابنه اسماعيل، وهو يومئذ طفل يرضع إلى وادٍ غير ذي زرع استجابة لأوامر الله تعالى، وقال: ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ، رَبَّنَا لِيُقِيمُوا

فلما نفذ ماترك لهما إبراهيم عليه السلام من الماء غلب العطش على الطفل الرضيع «اسماعيل» فأخذ يصرخ ويضرب يديه ورجليه، وكانت أمه «هاجر» تسعى بحثاً عن الماء بين «الصفاء» و«المروة» وتصعد هذا الجبل حيناً تطلُّ منه على الصحراء باحثة عن الماء، وتصعد الآخر حيناً، وهذا هو (السعي) الموطن الآخر لنزول رحمة الله.

وهي في ذلك كله تدعو الله تعالى أن يسقيهما الماء في هذه الصحراء القاحلة، وهذا هو الدعاء والسؤال «الفقر الواعي» فاستجاب الله تعالى لحاجة الطفل وفقره، ولسعي الام وحركتها، ودعائها وسؤالها، فتفجرت الارض من تحت أقدام الطفل الرضيع «اسماعيل» في موضع زمزم الحالي، فانحدرت الام من الجبل إلى طفلها تسقيه وتجمع الماء وتحوطه لئلا يذهب الماء هدرًا، وتقول: زم ... زم وهذا المشهد الذي يحييه الحجاج ويعيدونه كل عام في أعمال الحج، مشهد من أروع مشاهد «علاقة العبد بالله تعالى».

ولهذه العلاقة ثلاثة منطلقات:

١- الحاجة والفقر.

٢- السعي والحركة.

٣- الدعاء والسؤال.

وهي الوسيلة الاولى التي يقدمها الامام زين العابدين عليه السلام بين يدي حاجاته إلى الله.

والوسيلة الثانية «الدعاء» وهو من مفاتيح رحمة الله تعالى.

يقول تعالى ﴿ادعوني استجب لكم﴾^٢، ويقول ﴿قل ما يعابكم ربي لولا دعاؤكم﴾^٣.

والوسيلة الثالثة «الحب»، وإن العبد يستنزل من رحمة الله تعالى به «الحب»
مالا يستنزله بأمر آخر.

والآن تأملوا في هذه الوسائل الثلاثة التي يتوسل بها زين العابدين عليه السلام إلى الله تعالى:

«رضاك بغيتي، ورؤيتك حاجتي، وعندك دواء علّتي، وشفاء غلّتي، ويردّ لوعتي، وكشف كربتي». وهذه هي وسيلة «الحاجة والفقر».

«جوارك طلبي، وقربك غاية سؤلي... فكن أنيسي في وحشتي، ومقيل عثرتي، وغافر زلّتي، وقابل توبتي، ومجيب دعوتي، ولّني عصمتي، ومغني فاقتي». وهذه وسيلة «الدعاء».

«فأنت لا غيرك مرادي، ولك لا لسواك سهري وسهادي، ولقاؤك قرة عيني، ووصلك مني نفسي، وإليك شوقي، وفي محبتك ولهي، وإلى هواك صبابتي». وهذه وسيلة «الحب».

والآن تتأمل في هذه الفقرة من كلام الامام، وهي رائعة من روائع الدعاء، وإنّ للدعاء روائع كما للفن والادب، يقول عليه السلام: «فقد انقطعت إليك همّتي، وانصرفت نحوك

رغبتي، فأنت لا غيرك مرادي، ولك لا لسواك سهري وسهادي، ولقاؤك قرة عيني».

وفي «الانقطاع» ما ليس في «التعلّق» والامام لا يقول: فقد تعلّقت بك همّتي، لأنّ التعلّق بالله لا ينفي التعلّق بغيره، وإن كان العبد صادقاً في تعلّقه بالله، وإنّما يقول: «فقد

انقطعت إليك همّتي»، فإنّ الانقطاع يتضمّن معنى إيجابياً وسلبياً معاً، إنقطاع «من الخلق إلى الله»، والانقطاع «من الخلق» هو المعنى السلبي الذي يقصده الامام في هذه الفقرة

و«إلى الله» هو المعنى الايجابي الذي يقصده.

فإنّ الاخلاص في الحب «فصل» و«وصل» فصل مما عدا الله ووصل بالله، وبمن يحبّ الله ويأمر بحبه، وهما وجهان لقضية واحدة.

فإنّ «الحب» إذا صفا وخلص تضمّن وجهين: «ولاء» و«براءة» و«وصلاً» و«فصلاً» و«انقطاعاً» من الخلق «إلى الله».

ونفس المعنى تتضمنه الفقرة الثانية: «وانصرف إليك رغبتى». فإن الانصراف إلى الله «إعراض» و«إقبال» معاً، «إعراض» عما عدا الله «وإقبال» على الله ومن يأمر به ويحبّه.

ثم يأتي التأكيد الثالث لهذه الحقيقة، وهو أبلغها جميعاً، ويحمل من معاني الحب والانصراف إلى الله، والانقطاع عما عداه ما يعجز عن أدائه ووصفه التعبير: «فأنت لا غيرك مرادي ولك لا لسواك سهري وسهادي».

و«السهر» و«السهاد» بخلاف النوم، إلا أن «السهر» هو قيام الليل في حالة «الأنس»، و«السهاد» نحو من الأرق ينتاب الإنسان عندما يشغله شيء يهمله، ويسلب عنه النوم، وهو هنا الحنين والشوق إلى الله.

إذن هما يمثلان حالتين من حالات الحب: «الأنس» و«الشوق». أنس بذكر الله وبحضوره عند العبد عندما يحس العبد بحضور الله في دعائه، وذكره، ومناجاته، وصلاته، وشوق إلى لقاء الله.

والمحب يشعر بهذا أو ذاك معاً عندما يقف بين يدي الله تعالى، وهذا وذاك ينفيان عنه النوم ويؤرقانه، حين يستسلم الناس للنوم، ويفقدون وعيهم وشعورهم بالنوم. والنوم حاجة، من دون شك، يأخذ الناس جميعاً حظهم منه، الصالحون والطالحون، وحتى الأنبياء والصديقون ينامون.

ولكن فرق هائل بين من يأخذ حاجته من النوم، كما يأخذ حاجته من الأكل والشرب، وبين من يستسلم للنوم ويتحكم النوم فيه.

أمّا أولياء الله فلا يستسلمون للنوم، وإنما النوم عندهم حاجة يأخذون منه حظهم. ولقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا ينام إلا هنيئاً حتى يقوم بين يدي الله، وكان يأمر أن يوضع وضوؤه عند رأسه ليقوم بين يدي الله، كلما أخذ نصيباً من هذه الحاجة الطبيعية.

ولقد كان يفرش له الفراش الوثير والمريح فيأمر برفعه لئلا يستدرجه ذلك للاستسلام للنوم.

وكان ينام على الحصير الخشن حتى أثر الحصير على جنبه لكيلا يستغرقه النوم. وقد أودع الله تعالى في هداة الليل من كنوز مناجاته وذكره وقربه ما ليس في النهار، ولليل رجال كما للنهار رجال، يقومون إذا نام الناس، وينشطون إذا خمل الناس، ويعرجون إلى الله إذا استسلم الناس للنوم وسقطوا على فراشهم.

ولليل دولة كما للنهار دولة، وفي الليل كنوز كما في النهار كنوز. والناس يعرفون دولة النهار ورجاله وكنوزه، وقليل من الناس من يعرف قيمة دولة الليل وكنوزه ورجاله. فإذا أخذ الانسان من دولتي الليل والنهار معاً كان سوياً راشداً متوازناً.

ولقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من رجال الليل والنهار معاً، يأخذ بهذا وذاك بصورة متوازنة، يأخذ من الليل الحب والاخلاص والذكر، ويأخذ من النهار القوة والسلطان والمال، لتمكين الدعوة وترسيخها وكانت ناشئة الليل تعينه، وتمكّنه من حمل عبء الرسالة الثقيل. يقول تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الْمَزْمَلُ قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلاً. نَصْفَهُ أَوْ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلاً أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلاً إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْناً وَأَقْوَمُ قِيلاً إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحاً طَوِيلاً﴾^(١).

ويعجبني أن أنقل هنا هذا النص من الحديث القدسي في الليل ورجاله. روي أنه تعالى أوحى إلى بعض الصديقين: أن لي عباداً من عبادي يحبوني فأحبهم، ويشتاقون إليّ وأشتاق إليهم، ويذكرونني وأذكرهم، وينظرون إليّ وأنظر إليهم، وإن حذوت طريقهم أحببتك، وإن عدلت عنهم مقتك. قال يارب: وما علامتهم؟ قال: يراعون الظلال بالنهار كما يراعي الراعي الشفيق غنمه، ويحتون إلى غروب الشمس، كما يحنو الطير إلى وكرة عند الغروب، فإذا جثهم الليل، واختلط الظلام، وفرشت الفرش، ونصبت الأسرة وخلا

كل حبيب بحبيبه نصبوا إليّ أقدامهم وافترشوا إليّ وجوههم، وناجوني بكلامي وعلقوا إليّ بأنفامي. فمن صارخ وبالك، ومتأوه شاك، ومن قائم وقاعد وراكع، وساجد. بعيني مايتحملون من أجلي، وبسمعي مايشكون من حبي، أول ما أعطيتهم ثلاث:

١- اقذف من نوري في قلوبهم، فيخبرون عني، كما أخبر عنهم.

٢- والثانية: لو كانت السموات والأرض في موازينهم لاستقللتها لهم.

٣- والثالثة: أقبل بوجهي عليهم، أترى من أقبلت بوجهي عليه يعلم أحد ماأريد أن أعطيته؟^١

وروي عن الامام الباقر عليه السلام: كان مما أوحى الله تعالى إلى موسى بن عمران: كذب من زعم أنه يحبني، فإذا جثّه الليل نام عني، يا ابن عمران: لو رأيت الذين يقومون لي في الدجى، وقد مثلت نفسي بين أعينهم، يخاطبوني، وقد جللت عن المشاهدة. ويكلموني وقد عززت عن الحضور. يا ابن عمران: هب لي من عينيك الدموع، ومن قلبك الخشوع، ثم ادعني في ظلمة الليالي تجدني قريباً مجيباً.^٢

وفي خطبة المتقين من «نهج البلاغة» يصف أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام لهمّام حال أولياء الله في مناجاتهم إذا جنّهم الليل، ويذكرهم ووقوفهم بين يدي ربّهم، فيقول عليه السلام: أما الليل فصافون أقدامهم، تالين لاجزاء القرآن يرتلونّها ترتيلاً، يحزّنون به أنفسهم، ويستشيرون دواء دائهم، فإذا مرّوا بآية فيها تشويق ركنوا إليها طمعاً، وتطلّعت نفوسهم إليها شوقاً، وظنّوا أنها نصب أعينهم، وإذا مرّوا بآية فيها تخويف أصغوا إليها مسامع قلوبهم، وظنّوا أن زفير جهنم وشهيقها في أصول آذانهم، فهم حانون على أوساطهم، مفترشون لجباهم وأكفهم، وركبهم وأطراف أقدامهم، يطلبون إلى الله تعالى في فكاك رقابهم.

وأما النهار فحلما، علماء، أبرار، أتقياء، قد براهم الخوف بري القداح...^١

صورة أخرى من صور الشوق إلى الله في مناجاة الامام زين العابدين عليه السلام: يقول زين العابدين علي بن الحسين عليه السلام: «إلهي فاجعلنا من الذين ترسخت أشجار الشوق إليك في حدائق صدورهم، وأخذت لوعة محبتك بمجامع قلوبهم، فهم إلى أوكار الافكار يأوون، وفي رياض القرب والمكاشفة يرتعون، ومن حياض المحبة بكأس الملاطفة يكرعون، وشرايع المصافاة يردون، قد كشف الغطاء عن أبصارهم، وانجلت ظلمة الريب عن عقائدهم وضمايرهم، وانتفت مخالجة الشك عن قلوبهم وسرائرهم، وانشرحت بتحقيق المعرفة صدورهم، وعذب في معين المعاملة شربهم، وطاب في مجلس الانس سرهم، وأمن في موطن المخافة سربهم، واطمأنت بالرجوع إلى رب الأرباب أنفسهم، وتيقنت بالفوز والفلاح أرواحهم، وقرت بالنظر إلى محبوبهم أعينهم، واستقر بإدراك السؤل ونيل المأمول قرارهم، وريحت في بيع الدنيا بالآخرة تجارتهم.

إلهي ما ألد خواطر الإلهام بك على القلوب، وما أحلى المسير إليك بالآوهم في مسالك الغيوب، وما أطيب طعم حبك، وما أعذب شرب قربك. فأعذنا من طردك وإبعادك، واجعلنا من أخص عارفك وأصلح عبادك، وأصدق طائعيك وأخلص عبّادك»^٢.

ولا يسعنا الوقت أن نقف للتأمل عند هذه المناجاة التي هي رائعة من روائع أهل البيت عليهم السلام في الدعاء والمناجاة. ونخرج عن الصدد والغاية من هذا البحث، ولكن أود أن أقف قليلاً عند هذه الجملة التي يبدأ بها الامام علي بن الحسين عليه السلام مناجاته: «إلهي واجعلنا من الذين ترسخت أشجار الشوق إليك في حدائق صدورهم، وأخذت لوعة محبتك بمجامع قلوبهم»، فإن صدور أولياء الله كما يظهر من كلام الامام حدائق ذات بهجة، وذات ثمار طيبة، وإن صدور الناس على أنحاء: فمن الصدور مكاتب ومدارس للعلم، والعلم خير ونور، ولكن على أن يبقى الصدر حديقة للشوق إلى الله، ومن

الصدور متاجر وبنوك وبورصات للمال تزدهم بالارقام وجداول الإحصاء وحسابات الربح والخسارة. والمال والتجارة خير شريطة أن لا يكون الشغل الشاغل لقلب الانسان وصدرة ولا يكون همّه الذي لا يفارقه. ومن الصدور أراض سبخة ينبت فيها الشوك والحنظل والسموم والاحقاد والصراع على المال والسلطان والكيد والمكر بالآخرين. ومن الصدور ملاه وملاعب، والدينا لهو ولعب لطائفة واسعة من الناس.

ومن الناس من ينشطر صدره إلى شطرين: شطر للسموم والاحقاد، والمكر والكيد، والشر الآخِر للهو ولّعب. فإذا أفلقه الشطر الأول وسلب راحته واستقراره لجأ إلى الشطر الثاني واستعان باللهو لكي ينقذ نفسه من عذاب الشطر الأول.

وأما صدور أولياء الله، فهي حداثق الشوق - كما يقول زين العابدين - ذات بهجة وثمار طيبة، وقد ترسّخت فيها أشجار الشوق وامتدت فيها جذورها، فليس الشوق إلى الله فيها أمراً طارئاً يزول إذا ألح عليه الهوى أو أقبلت وتزوّنت له الدينا، ولا يخفّ هذا الشوق ولا تذبل أوراقه إذا ضاقت بصاحبه الدينا، وتراكمت عليه الابتلاءات، فإن أشجار الشوق إذا كانت راسخة في هذه الصدور تبقى مورقة وخضراء ومثمرة رغم كل العقبات والمتاعب.

وحالة الشوق حالة خفة الروح، وهي حالة معاكسة للتثاقل والركون إلى الدينا التي تحدث عنها الآية الكريمة: ﴿مالكم إذا قيل لكم انفروا في سبيل الله أثاقلتم إلى الأرض أريضتم بالحياة الدنيا من الآخرة﴾^(١)، إن النفس تثقل، وتترهل، كلما تعلّق الانسان بالدينا ورضيها، وركن إليها. فإذا تحرّر من الدينا، وانتزع نفسه^(٢) منها خفّ، فجذبته حبّ الله تعالى والشوق إليه.

ولنقف عند هذا الحد من استعراض صور الحبّ والشوق والانس من نصوص أدعية

(١) التوبة: ٣٨.

(٢) ليس معنى التحرر من الدينا تركها، فقد كان رسول الله متحرراً من الدينا، وهو يعمل لتمكين الدعوة من الدينا وإخضاع الدينا لها.

أهل البيت عليهم السلام وننصرف إلى غير ذلك من مباحث «الحب الإلهي».

إخلاص الحب لله:

وهذه مقولة فوق مقولة توحيد الحب. فإن توحيد الحب لا ينفي أي حب آخر غير حب الله، ولكنه يحكم حب الله تعالى ويغلبه على أي حب آخر، فيكون حب الله هو الحب الغالب الحاكم ﴿والذين آمنوا أشد حبا لله﴾^١، وهو من شروط الايمان وفرع من فروع التوحيد.

أما إخلاص الحب لله فهو ينفي أي حب آخر غير حب الله، إلا أن يكون في امتداد حب الله «الحب لله، والبغض لله» وهو ليس من شؤون الايمان والتوحيد، ولكنه من شؤون الصديقين ومقاماتهم. فإن الله تعالى يمكن أوليائه وعباده الصالحين من تفرغ قلوبهم من كل حب وود غير حبه ووده.

وقد روي عن الامام أبي عبد الله الصادق عليه السلام: «القلب حرم الله، فلا تسكن حرم الله غير الله»^٢. وهذه صفة خاصة للقلب، فإن الجوارح تسعى وتتحرك في الحياة باتجاهات وشؤون شتى فيما أباحه الله تعالى وأجازته، أما القلب فهو حرم الله تعالى ولا ينبغي أن يحل فيه حب وتعلق بغير الله.

والتعبير عن «القلب» في النص بـ«الحرم» دقيق ومعبر، فإن الحرم منطقة آمنة ومغلقة على كل غريب، لا ينال أهلها سوء أو خوف، ولا يدخلها غريب، وكذلك القلب حرم الله الآمن، لا يدخله حب آخر غير حب الله، ولا يمس فيه حب الله سوء أو خوف.

ولذلك فإن الصديقين والاولياء من عباد الله يخلصون الحب لله، ولا يجمعون بين حب الله وحب آخر، مهما كان إلا أن يكون في امتداد حب الله.

وفي المناجاة التالية نلمس لوعة الحب وصدق الاخلاص في الحب في كلمات زين العابدين عليه السلام: «سيدي إليك رغبتي، وإليك رهبتي، وإليك تأميلي، وقد ساقني إليك

أملّي، وعليك ياواحدي عكفت همّتي، وفيما عندك انبسطت رغبتني، ولك خالص رجائي وخوفي، وبك أنست محبّتي، وإليك ألقيت بيدي، ويحبّل طاعتك مددت رهبتني، يامولاي بذكرك عاش قلبي، وبمناجاتك بزّدت أملّ الخوف عني...^١.

فالامام عليه السلام في هذه المقطوعة من المناجاة يربط رغبته ورهبته وأمله كلّها باللّه، ويعكف بهمّته كلّها عليه تعالى، ويجعل له خالص رجائه وخوفه.

روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «أحبّوا الله من كلّ قلوبكم»^٢. وفي الدعاء عن الامام علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام: «اللهم إني أسألك أن تملأ قلبي حبّاً لك، وخشية منك، وتصديقاً لك، وإيماناً بك، وفرقاً منك، وشوقاً إليك»^٣.

وإذا كان حبّ الله والشوق إليه ملء قلب العبد فلا يبقى في قلبه محلّ شاغل لحبّ آخر غير حبّ الله، إلّا أن يكون في امتداد حبّه تعالى، وهو في الحقيقة من حبّ الله ومن الشوق إليه.

في الدعاء عن الامام الصادق عليه السلام عند حضور شهر رمضان: «صلّ على محمد وآل محمد واشغل قلبي بعظيم شأنك، وأرسل محبّتك إليه حتّى ألقاك وأوداجي تشخب دماً»^٤. وهو بمعنى إخلاص الحبّ لله، حيث يكون حبّ الله هو الشغل الشاغل للقلب، وهمّه الذي لا يفارقه.

غيرة الله على عبده:

إن الله تعالى يحبّ عبده، ومن خصائص الحبّ الغيرة، فهو على قلب عبده غيور، يحبّ أن يخلص له عبده حبّه ولا يحبّ غيره، ولا يسمح بحبّ آخر أن يدخل قلبه. وروي أن موسى بن عمران عليه السلام ناجى ربّه بالوادي المقدّس، فقال: «ياربّ إني

(٢) كنز العمال ٤٧: ٤٤.

(٤) بحار الانوار ٩٧: ٣٣٤.

(١) دعاء أبي حمزة الثمالي.

(٣) بحار الانوار ٩٨: ٨٩.

أخلصت لك المحبة مني، وغسلت قلبي عمن سواك» وكان شديد الحب لأهله فقال الله تبارك وتعالى: «... إنزع حب أهلِكَ من قلبك إن كانت محبتك لي خالصة»^١.

ومن غيرة الله تعالى على عبده أن يزيل حب الأغيار من قلب عبده، وإذا وجد أن عبده قد تعلق قلبه بغيره سلبه عنه حتى يخلص قلب عبده لحبه. وقد ورد في الدعاء عن الامام الحسين عليه السلام: «أنت الذي أزلت الأغيار عن قلوب أحبائك حتى لم يحبوا سواك ... ماذا وجد من فقدك، وما الذي فقد من وجدك، لقد خاب من رضي دونك بدلاً»^٢.

ويعجبني أن أنقل بهذا الصدد هذه القصة المروية التي يرويها الشيخ حسن البنا في كتابه «مذكرات الدعوة والداعية»: يقول حسن البنا: رزق الله الشيخ شلبي أحد مشايخ مصر في العرفان والاخلاق بنتاً في مرحلة متأخرة من عمره، فولع بها الشيخ ولعاً شديداً وشغف بها حتى كاد لا يفارقها إلى أن كبرت. وكان يزداد حباً لها كلما شبّت وكبرت.

ولقد زاره الشيخ البنا مع جمع من أصحابه في بعض الليالي بعد انصرافهم من موكب فرح انطلقوا فيه من دار قرب دار الشيخ شلبي في ليلة عيد ميلاد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. وبعد عودتهم جلسوا مع الشيخ شلبي قليلاً. ولما أرادوا الانصراف قال لهم الشيخ بابتسامة رقيقة لطيفة: «إن شاء الله غداً تزوروني لندفن روحية».

وروحية هذه وحيدته التي رزقها بعد إحدى عشرة سنة من زواجه، وكان لا يفارقها حتى في عمله. وقد شبّت وترعرعت، وأسماها «روحية» لأنها كانت تحتل منه منزلة الروح.

يقول البنا: فاستغربنا وسألناه، ومتى توفيت؟ فقال: اليوم قبيل المغرب. فقلنا: ولماذا لم تخبرنا فنخرج من منزل آخر بموكب التشيع؟ فقال: وما الذي حدث؟ لقد خفف عنا الحزن، وانقلب الماتم فرحاً، فهل تريدون نعمة من الله أكبر من هذه النعمة؟

وانقلب الحديث إلى درس تصوّف يلقيه الشيخ، ويعلّل وفاة كريمته بغيرة الله على

قلبه، فإن الله يغار على قلوب عباده الصالحين أن تتعلق بغيره، أو تنصرف إلى سواه. واستشهد بابراهيم عليه السلام وقد تعلق قلبه باسما عيل فأمره الله أن يذبحه، ويعقوب عليه السلام إذ تعلق قلبه بيوسف فأضاعه الله منه عدة سنوات. ولهذا يجب أن لا يتعلق قلب العبد بغير الله تبارك وتعالى، وإلا كان كاذباً في دعوى المحبة.

وساق قصة الفضيل بن عياض وقد أمسك بيد ابنته الصغرى فقبلها فقالت له: يا أبتاه أتحبني؟ فقال: نعم يابنتي، فقالت والله ما كنت أظنك كذاباً قبل اليوم. فقال: وكيف ذلك؟ ولم كذبت؟ فقالت: لقد ظننت أنك بحالك هذه مع الله، لا تحب معه أحداً. فبكى الرجل وقال: يامولاي! حتى الصغار قد اكتشفوا رياء عبدك الفضيل! وهكذا من هذه الاحاديث التي كان الشيخ شلبي يحاول أن يسري بها عنا، ويصرف مالحقنا من ألم لمصابه وخجل لقضاء هذه الليلة عنده. وانصرفنا وعدنا إليه في الصباح حيث دفنا روحية. ولم نسمع صوت نائحة، ولم ترتفع حنجرة بكلمة نائية، ولم نر إلا مظاهر الصبر والتسليم لله العلي الكبير.

الحب لله وفي الله:

يقتى علينا أن نجيب عن السؤال التالي: فقد نفسر إخلاص الحب لله بهذا المعنى على خلاف طبيعة الانسان وفطرته، فإن الله تعالى فطر الانسان على حب أشياء كثيرة، وكثره أشياء كثيرة، وإخلاص الحب لله بهذا المعنى ينافي هذه الفطرة التي فطر الله تعالى خلقه عليها.

والجواب: إن إخلاص الحب لله ليس بمعنى التنكر للفطرة، وإنما هو بمعنى توجيه الحب والكره من خلال ما يحب الله تعالى وما يكره. فالله تعالى لا يريد من عبده وكرهه موسى بن عمران عليه السلام أن ينتزع حب أهله من قلبه، وإنما يريد أن يكون حبه لأهله من خلال حبه، وأن يكون حبه هو المصدر الوحيد لكل حب في قلبه. وبتعبير آخر: إن الذي يطلبه الله تعالى من عبده وكرهه موسى بن عمران عليه السلام هو ربط كل حب بقناة

حبه تعالى، فيكون عندئذ حبه لأهله تكريساً لحبه تعالى، وهو معنى دقيق، وأسلوب رائع في التربية لا يناله إلا من اختصه الله تعالى بحبه واصطفاه. فإن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو من أكثر الناس خلوصاً وصفاً ونقاءً كان يقول: «حُبِّ إلي من دنياكم: النساء، والطيب، وقرة عيني في الصلاة»^١.

وليس من شك أن هذا الحب هو من الحب الذي يقع في امتداد حب الله. فإن أحب هذه الثلاثة إلى قلب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الصلاة، فهي قرة عينه. وليس من شك أن حب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لها يقع في امتداد حبه لله تعالى. فليس في «إخلاص الحب لله» تخريب للفطرة وتشويش للطبيعة التي خلقها الله تعالى، وإنما هو إعادة لتنظيم خارطة الحب والبغض في حياة الإنسان بهذا الملاك الجديد الذي يطرحه الاسلام.

فيبقى حب الإنسان الطبيعي في مواضعه، ولكن ضمن تنظيم جديد يكرس حب العبد لله تعالى بدل أن يضعفه ويشوش عليه.

ولهذا السبب فقد ورد تأكيد بليغ في النصوص الاسلامية في قيمة «الحب لله وفي الله». فمن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: «المحبة لله أقرب نسب»^٢.

وعنه عليه السلام أيضاً: «المحبة في الله أكد من وشيخ الرحم»^٣.

والتعبير دقيق ويعتمد على أصل فكري مهم، فإن للناس في حياتهم أنساباً ووشائج من العلاقات. ومن أوثق هذه الوشائج وشيخة الرحم. والعلاقة بالله تعالى أكد من وشيخة الرحم. وإذا ربط الإنسان حبه وتعلقه بهذه الوشيخة، وأحب من خلالها، وأبغض من خلالها، كان أكمل النسب وأكد الوشائج.

وإنما يكون أكد الوشائج لأن الحب إذا كان لغير الله فقد يتغير وقد يختل، وقد يتأثر

(٢) ميزان الحكمة ٢: ٢٣٣.

(١) الخصال: ١٦٥.

(٣) نفس المصدر.

بالمؤثرات التي تغيّر وجه الناس بعضهم لبعض. أما إذا كان حبّ الانسان لأخيه لله فإنّه أكد وأقوى، وأكثر ثباتاً تجاه المؤثرات والعوامل المضادة المختلفة.

وليس فقط إخلاص الحبّ لله لاينفي التعلّقات الطبيعية في نفس الانسان، وإنّما يؤكدها أيضاً ويرسخها بعد أن ينظّمها من خلال القناة الكبرى التي تنظّم كلّ حبّ الصّديقين وأولياء الله. فيكون أفضل الناس عند الله أكثرهم حبّاً لأخيه المؤمن في الله. عن الصادق عليه السلام: «ما التقى مؤمنان قطّ إلا كان أحدهما أشدّهما حبّاً لأخيه»^١.

وروي عنه عليه السلام أيضاً: «إن المتحابين في الله يوم القيامة على منابر من نور، قد أضاء نور أجسادهم ونور منابرهم كل شيء حتى يعرفوا به، فيقال: هؤلاء المتحابون في الله»^٢.

وروي أن الله تعالى قال لموسى بن عمران عليه السلام: «هل عملت لي عملاً؟ قال: صلّيت لك وصمت، وتصدّقت وذكّرت لك، فقال الله تبارك وتعالى: أما الصلاة فلك برهان، والصوم جنة، والصدقة ظلّ، والذكر نور، فأَي عمل عملت لي؟ قال موسى عليه السلام: دلّني على العمل الذي هو لك. قال: ياموسى، هل واليت لي وليّاً؟ وهل عاديت لي عدوّاً قط؟ فعلم موسى أن أفضل الاعمال الحبّ في الله والبغض في الله»^٣.

والحديث دقيق، فإن الصلاة يمكن أن يقدم عليها الانسان لحبه لله، ويمكن أن يقدم عليها لتكون برهاناً له في الجنة. والصوم يمكن أن يقدم عليه الانسان حبّاً لله، ويمكن أن يقوم به ليكون جنة له من النار. أمّا حبّ أولياء الله وبغض أعدائه فلا يكون إلا حبّاً لله.

المصدر الاول للحب:

من أين نستقي حبّ الله؟ هذا سؤال مهم في بحثنا هذا. فمادامنا قد عرفنا قيمة حبّ الله، فلا بدّ أن نعرف من أين نأخذ هذا الحب. وما هو مصدره؟ وإجمال الجواب: أن الله تعالى هو مصدر الحبّ ومبدؤه وغايته. ولا بد لهذا الإجمال

(٢) بحار الانوار ٧٤: ٣٩٩.

(١) بحار الانوار ٧٤: ٣٩٨.

(٣) بحار الانوار ٦٩: ٢٥٣.

من تفصيل، وإليك هذا التفصيل:

١- يحبّ الله عباده:

إن الله تعالى يحبّ عباده، ويرزقهم، ويستر عليهم، ويهبهم من المواهب والنعم مالا يحصيه أحد، ويعفو عنهم، ويتوب عليهم، ويسدّدهم، ويرزقهم التوفيق، ويهديهم صراطه المستقيم، ويتولّاهم برعايته وفضله، ويدفع عنهم السوء والشرّ، وهذه جميعاً أمارات الحبّ.

٢- ويمنحهم حبّه ووّده.

ومن حبّ الله تعالى لعباده أنه يحبّهم، ويرزقهم حبّه. وأمر هذا الحبّ غريب، فإن الله تعالى هو واهب الحبّ، وهو الذي يتلقّى الحبّ من عباده. يهبهم الجذبة بعد الجذبة، ثم يجذبهم إليه بتلك الجذبة.

ونحن نجد في نصوص الأحاديث والأدعية إشارات متكررة إلى هذا المعنى. ففي المناجاة الثانية عشرة للامام زين العابدين عليه السلام: «إلهي فاجعلنا من الذين ترسّخت أشجار الشوق إليك في حدائق صدورهم، وأخذت لوعة محبّتك بمجامع قلوبهم». وقد شرحنا هذا النص من قبل.

وفي المناجاة الرابعة عشرة: «أسألك أن تجعل علينا واقية تنجيننا من الهلكات، وتجنّبنا من الآفات، وتكثّننا من دواهي المصيبات، وأن تنزل علينا من سكينتك، وأن تغشي وجوهنا بأنوار محبّتك، وأن تؤوينا إلى شديد ركنك، وأن تحوينا في أكناف عصمتك، برأفتك ورحمتك يا أرحم الراحمين».

وفي المناجاة الخامسة عشرة (مناجاة الزاهدين): «إلهي فزهدنا فيها، وسلّمنا منها بتوفيقك وعصمتك، وانزع عنا جلايب مخالفتك، وتولّ أمورنا بحسن كفايتك، وأجمل صلاتنا من فيض مواهبك، واغرس في أفئدتنا أشجار محبّتك، وأتمم لنا أنوار معرفتك، وأذقنا حلاوة عفوك ولذة مغفرتك، واقرر أعيننا يوم لقائك برؤيتك، وأخرج حبّ الدنيا من

قلوبنا كما فعلت بالصالحين من صفوتك، والابرار من خاصتك، برحمتك يا أرحم الراحمين».

وفي التكملة التي يذكرها السيد بن طاووس لدعاء الامام الحسين عليه السلام في عرفة: «كيف يستدلّ عليك بما هو في وجوده مفتقر إليك؟ أ يكون لغيرك من الظهور ما ليس لك حتى يكون هو المظهر لك؟ متى غبت حتى تحتاج إلى دليل يدلّ عليك؟ ومتى بعدت حتى تكون الآثار هي التي توصل إليك؟ عميت عين لا تراك عليها رقيباً، وخسرت صفقه عبداً لم تجعل له من حبك نصيباً... فاهدني بنورك إليك، وأقمني بصدق العبودية بين يديك... وصنّي بسرك المصون... واسلك بي مسلك أهل الجذب، إلهي أغنني بتدبيرك لي عن تدبيره، وباختيارك عن اختياري، وأوقفني عن مراكز اضطراري... أنت الذي أشرقت الانوار في قلوب أوليائك حتى عرفوك ووجدوك. وأنت الذي أزلت الاغيار عن قلوب أحبائك حتى لم يحبوا سواك، ولم يلجأوا إلى غيرك، أنت المؤنس لهم حيث أوحشتهم العوالم، وأنت الذي هديتهم حيث استبانن لهم المعالم. ماذا وجد من فقدك؟ وما الذي فقد من وجدك؟ لقد خاب من رضي دونك بدلاً، ولقد خسر من بغى عنك متحولاً، كيف يرجئ سواك وأنت ما قطعت الاحسان؟ وكيف يطلب من غيرك وأنت ما بدلت عادة الامتنان؟ يا من أذاق أحبائه حلاوة الموانسة فقاموا بين يديه متملقين، ويا من ألبس أوليائه ملابس هيته فقاموا بين يديه مستغفرين... إلهي اطلبني برحمتك حتى أصل إليك، واجذبني بمنك حتى أقبل عليك»^١.

٣- ويتحبّب إليهم:

والله تعالى يتحبّب إلى عباده، فيغدق عليهم النعم ليحبّوه، وإن النعم في القلوب الواعية والمدرّكة تحبّب الله تعالى إلى الذين ينعم عليهم.

في دعاء علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام في الاسحار: «تتحبّب إلينا بالنعم،

ونعارضك بالذنوب، خيرك إلينا نازل، وشرنا إليك صاعد، ولم يزل ولا يزال ملك كريم يأتيك عنا في كل يوم بعمل قبيح، فلا يمنعك ما يأتي منّا من ذلك أن تحوطنا برحمتك، وتفضل علينا بالآث، فسبحانك ما أحلمك وأعظمك وأكرمك مُبدئاً ومُعيداً^١.

والمقارنة بين ماهو النازل من لدن الله إلى العبد من نعم وفضل وإحسانٍ وجميلٍ وعفوٍ وسترٍ، وبين ماهو الصاعد من قبل العبد إلى الله من قبيحٍ وشرٍ يُشعر العبد بالخجل من مولاه، فهو يقابل هذا الحب والتحبب من جانب الله تعالى بالإعراض والتبغض إليه. وما أكثر بؤس الانسان وشقاءه إذا كان يقابل حب الله تعالى له وتحبه إليه بالإعراض والتباغض.

تأملوا في هذه الكلمات من دعاء الافتتاح للامام الحجة عليه السلام: «إِنَّكَ تدعوني فأُولِي عنك، وتتحبب إليّ فأتبغض إليك، وتتودد إليّ فلا أقبل منك، كأنّ لي التطوّل عليك، فلم يمنعك ذلك من الرحمة بي، والاحسان إليّ، والتفضل عليّ»^٢.
«خيرك إلينا نازل، وشرنا إليك صاعد»^٣.

«يتبع»

الشرك والذلول والشافعية والمسلمين

«رأيي...» باب حرّ يطرح فيه رأي عالم أو مفكر أو قاري. متبع حول مسألة أو موضوع معين في خط الثقلين، يحدده الكاتب، فتشر المجلة المناسب منه. «التحرير»

سَيِّدَةُ السَّيِّدَةِ مُحَمَّدَتِي الْحَكِيمَةُ

إن أول ما يخطر في ذهن هو التساؤل عن أسباب الخلاف والتنافر بين المسلمين طيلة هذه المدة، مع أن القضية المذكورة - كما يقول فضيلة الشيخ الباقوري وهو صحيح قطعاً - لا تعدو أن تكون قضية علم وإيمان «فأما انها قضية علم فإن الفريقين يقيمان صلتها بالاسلام على الايمان بكتاب الله وسنة رسوله، ويتفقان اتفاقاً مطلقاً على الاصول الجامعة في هذا الدين - فيما نعلم - فان اشتجرت الآراء بعد ذلك في الفروع الفقهية والتشريعية فإن مذاهب المسلمين كلها سواء في: أن للمجتهد أجره أخطأ أم أصاب» وللبرهنة على ذلك نرى أنا «عندما ندخل مجال الفقه المقارن ونقيس الشقة التي يحدثها الخلاف العلمي بين رأي ورأي أو بين صحيح حديث وتضعيفه نجد أن المدى بين الشيعة والسنة كالمدى بين المذهب الفقهي لأبي حنيفة والمذهب الفقهي لمالك والشافعي».

«وأما انها قضية إيمان فإني لا أحسب ضمير مسلم يرضى بافتعال الخلاف وتسعير البغضاء بين أبناء أمة واحدة» وما دامت القضية كذلك فلماذا عُمّق الخلاف وحُول من مجاله في عالم الفكر إلى غير مجاله من عوالم العلائق الاجتماعية؟ ولماذا فُرق بسببه بين الاخ وأخيه ثم بين أبناء الوطن الواحد وصار سبباً لامتيازات مباشرة وغير مباشرة بين المواطنين على اختلاف العهود والبلدان؟ وعلام أزهقت في سبيله مئات الارواح في معارك دامية ما يزال التاريخ يخزئ من ذكر فجائعها؟؟

ربما يبدو لأول وهلة أن السبب يعود في واقعه إلى أرباب المذاهب أنفسهم، فهم الذين أوجدوا هذه الهوة السحيقة بين أتباعهم. ولكننا إذا سألنا التاريخ عن علائق بعضهم ببعض أجابنا على غير ما يبدو، فهذا مالك بن أنس صاحب المذهب المنسوب إليه كان تلميذاً للامام الصادق عليه السلام، يختلف إليه فيمن يختلف من تلاميذه لأخذ العلم عنه، وما كانت لديه أية غضاضة أن يصرح بأعلميته وأورعيته، فكان هو يحدث نفسه وعن استاذه جعفر بن محمد فيقول: «جعفر بن محمد اختلفت إليه زماناً فما كنت أراه إلا على إحدى ثلاث خصال: إما مصلِّ وإما صائم وإما يقرأ القرآن، وما رأت عين ولا سمعت أذن ولا خطر على قلب بشر أفضل من جعفر بن محمد الصادق علماً وعبادةً وورعاً»^١.

وأبو حنيفة مؤسس المذهب الحنفي كان يعزو نجاحه من الوقوع في مفارقات فقهية إلى تلمذته على الامام الصادق عليه السلام فكان يقول - فيما يحدث الالوسي في تحفته^٢ -: «الولا السنن لهلك النعمان»، يريد بهما السنتين اللتين قضاهما في التلمذة على الامام الصادق عليه السلام وكان جوابه لمن استفتاه «في رجل وقف ماله للامام فمن يستحق ذلك المال؟» ان «المستحق هو جعفر الصادق لانه هو الامام الحق»^٣.

ومن اطرف استدلالاته على أعلمية الإمام ما حدث هو عن نفسه - فيما يحدث الموفق - قال: (ما رأيت أفقه من جعفر بن محمد لما أقدمه المنصور بعث إلي فقال: يا أبا حنيفة! إن الناس قد افتتنوا بجعفر بن محمد فهية له من المسائل الشداد. فهيتأت له أربعين مسألة، ثم بعث إلي أبو جعفر وهو بالحيرة، فأتيته فدخلت عليه وجعفر بن محمد جالس عن يمينه، فلما أبصرت به دخلتني من الهيبة لجعفر بن محمد الصادق ما لم يدخلني لأبي جعفر، فسلمت عليه وأومأ إلي فجلست، ثم التفت إليه فقال: يا أبا عبد الله! هذا أبو حنيفة، فقال نعم -

(١) تهذيب التهذيب ٧: ١٠٤.

(٢) محمد أمين غالب - تاريخ العلويين: ١٤٠.

إلى أن يقول - ثم التفت إلي المنصور فقال : يا أبا حنيفة : ألتى على أبي عبد الله من مسألك، فجعلت ألقى عليه فيجيبني، فيقول : أنتم تقولون كذا، وأهل المدينة يقولون كذا، ونحن نقول كذا، فربما تابعتنا وربما تابعتهم وربما خالفنا جميعاً، حتى أتيت على الأربعين مسألة، ثم قال أبو حنيفة - وهنا تقع طرفة الاستدلال - ألسنا روين أن أعلم الناس أعلمهم باختلاف الناس) ١.

السياسة الظالمة أساس الاختلاف

وإذا كانت العلاقة بين الامام وبين من عاصره من أئمة المذاهب على هذا النحو فمن أين إذن جاء الاختلاف؟

اعتقد أن القصّة السابقة التي رواها أبو حنيفة كافية لأن تضع أيدينا على مفتاح القضية.

السياسة المنحرفة وخذعها هي الأساس . فالمنصور وقبلة وبعده اسلافه وأحفاده من أمويين وعباسيين كانوا يرون في آل البيت خطراً يهدّد كيانهم بالزوال، لما كانوا يرون فيهم من الثورة والنقمة على الحكّام، لوقوعهم في مفارقات تتنافى مع صميم مبدئهم، فكانوا لذلك لا يألون جهداً في العمل على الحدّ من نفوذهم بإبعاد أكبر عدد ممكن من الناس عنهم، وكانت لهم إلى ذلك وسائل وطرق قد يكون من أيسرها تعريض أئمّتهم لأمثال هذه المواقف رجاء أن يخرجوا في الاجابة ولو لبعض الاعتبارات ليتسنى لهم أن يصلوا بذلك على أتباعهم. وإذا استجاب أبو حنيفة للمنصور - وربما كان ذلك قبل تأكّد علاقته بالإمام، وتقييمه لواقعه، أو أنه وقع تحت ضغط من السلطة - فأعدّ ما أعدّ من مشكلات المسائل ومحرجاتها، فإنه لم يستجب لرغبة صاحبه وهو يصرّح بأنه لم يرافقه جعفر بن محمد. وأخال أن هذا التصريح منه ومن مالك بن أنس وأمثالهم من كبار العلماء في تلكم العصور كان كافياً لأن يجمع القلوب على هذا الامام العظيم لو قدر لها أن لا

تلاحق من قبل السياسة. وعذر سائر المسلمين من غير الشيعة أنهم وجدوا فيه أعلم المجتهدين من معاصريه بشهادة هذين الإمامين وغيرهما. أما شيعته فإن لهم من الإيمان بإمامته ولزوم أتباعه ما يغنيهم عن التماس هذه المؤيدات.

وبالطبع إن ذلك وأمثاله مما يضاعف من خوف السلطة وعملها على تقليص نفوذه ولو باستعمال ما يشد من الأساليب، كتشويه المذهب بالدس والكذب عليه، وكَم أفواه معتنقيه عن الدعوة له وملاحقة دعائه ومؤيديه بتعريضهم لأعظم الأخطار كالقتل والسجن والتشريد إلى ما هنالك من صور التعذيب والتنكيل مما عرضه تاريخ تلكم العصور.

ومع الزمن وتكرار الحوادث تكوّنت في الأعماق رواسب أنهتنا - مع الأسف الشديد - إلى ما نحن عليه اليوم.

دور الاستعمار في تأجيج الخلافات

وحين ضعف سلطان المسلمين، ودبّ المستعمر إليهم لم تعد هذه الخلافات ذات أهمية، لولا أن يجد أمامه هذه الثغرة فيحاول أن ينفذ منها إلى تركيز مبادئه الاستعمارية ويجعلها بيده أداة طيعة يحرّكها متى شاء وكيف يشاء. وكان له في كل بلد إسلامي ركيزة يعتمد عليها من باعة الضمائر وتجّار المبادئ يثير بها هذه الرواسب كلما حرّ به أمر من إحساسه بوعي جماهيري، أو يقظة عامة، فمن تلاعب بالتاريخ وحوادثه، إلى تشويه في الحقائق، إلى تقليص في المناهج الدراسية عن شمول قسم من المبادئ، إلى تمييز طائفي بين أبناء البلد الواحد، إلى ما هنالك من الأمور المثيرة.

ومن طريف ما سمعته في كراچی - وأنا أحضر الحفلة الكبرى التي أقامتها جمعية «يادگار مرتضوي» بمناسبة مرور أربعة عشر قرناً على ولادة أمير المؤمنين عليه السلام - : أن معارك دامية كانت تحدث هناك بين المسلمين وغير المسلمين، وبين المسلمين

أنفسهم شيعة وسنة لأتفه الأسباب، كأن يذبح المسلمون مثلاً بقرةً من الأبقار أمام الهندوسي، أو يفتي عالم من علماء السنة بحرمة شرب الماء الذي يبذل في مجالس سيد الشهداء، ويبرز ذلك بأسلوب مثير، وإذا بالجماهير من الطرفين تندفع للدفاع عن كرامتها ومن خلفهم الشرطة تسوقهم للحضور أمام الحكام ليستمعوا إلى اصل الدعوى وملابساتها، وحجج الفرقتين في مستندها ومستند النقض من الطرف الآخر لها، ووراءهم آلاف من البشر ينتظرون عدالة الحكم. وقد شغلت الصحف والمجلات أعمدتها أياماً وليالي بتصوير ما يدور حول الحادث. ووراء الكواليس - في أثناء ذلك كله - كان يجري ما يجري من الامور والجماهير لاهون عنها بانتظار نتائج الحكم.

الصحوة الاسلامية ودعاة التقريب

وهناك لمة قليلة في كل بلد تدرك خطر هذه السياسة الاستعمارية فتحاول جاهدة أن تعالج الوضع بتقريب وجهات النظر، وكانت محاولاتها إذ ذاك تتأرجح بين السلبية والايجابية. وقد قدّر لكاتب هذه السطور أن يعرض لهذه المحاولات بشيء من التصوير في تقديمه لآية الله السيد عبد الحسين شرف الدين في كتابه (النص والاجتهاد) قال بعد حديث طويل في الموضوع نفسه : «وسماحته من دعاة الوحدة ولكن لا بشكلها السلبي الذي يدعو إلى تناسي الماضي والتغافل عنه من أساسه، واسدال الستار على كل ما فيه من مفارقات على نحو ما تبتأها بعضهم ناسين أو متناسين أن السكوت عنها واسدال الستار عليها لا يذهبان برواسبها المتأصلة في النفوس، وإنما تبقى تعمل عملها في داخلها إلى أن تظهر بصورة انفجار يلتمس المنفذ له في مناسبة عابرة من المناسبات. فهو يرى أن جملة كبيرة من صور الخلاف بين الفريقين لا تستند على أساس، وإنما هي وليدة نسب كاذبة، ودعايات خلقتها بعض الظروف، وغذتها السلطات في عهود غابرة. ولو قدّر لها ان تبحث بحثاً موضوعياً لآمن الفريقان بمدى بعدها عن الواقع. والخلافات الأخر لا تعدو أن تكون من قبيل

الخلافاً بين أي مذهب ومذهب، أو مجتهد ومجتهد، وهي لا تستحق التناوب والتحاقد، وحتى هذه لو أمكن أن تعرض للجدل والنقاش على نحو ما صنعه العلمان: «الشيخ سليم البشري رئيس الازهر الشريف، والسيد عبد الحسين شرف الدين في - المراجعات» لقاربت بين وجهات النظر.

والجدل والصراع في سبيل الحق متى ابتعدا عن التهريج واستغلال الرأي العام بالاساليب الخطابية، واقتربا في مناهجهما من المناهج العلمية المحدثه كانا من أفضل عوامل التقريب ثم التطور لأمثال هذه البحوث. وربما أنهينا إلى كثير من الاصول الموضوعه التي لا تقبل بعد ذلك شيئاً من الجدل والنقاش»^(١).

مع العلم بأن هذه الخطوة الايجابية لم تكن جديدة على الشيعة في مناهجهم الدراسية، سواء أكانت في الكلام أم الفقه وأصوله أم التفسير، وهي - بحكم فتح باب الاجتهاد عليها - كانت وما تزال على خبر من آراء وروايات مختلف العلماء بما فيهم أئمة المذاهب. واجتهادها في الحقيقة لم يكن اجتهاداً مقيداً ضمن مذهبها الخاص، كما حدث عنها فضيلة الشيخ محمد أبو زهرة في كتابه «أصول الفقه الجعفري» بل اجتهاداً مطلقاً، ودليل ذلك أنها لا تتأخر عن الأخذ بأية رواية اجتمعت فيها شرائط الحجية، سواء أكانت واردة عن طريق أئمة أهل البيت عليهم السلام أم غيرهم، وما أكثر ما أخذت بروايات لم ترد عن طريقهم أصلاً. وعقيدتها في أئمة أهل البيت أنهم أمناء على الوحي لا يتطرق إليهم الريب، وهم طريق إلى معرفة الأحكام، فإذا ورد طريق آخر معتبر كاشف عن الحكم الشرعي لا يتأخرون أبداً عن الأخذ به كأخذهم برواياتهم على حد سواء. ولذلك ترى في موسوعاتهم الفقهية مختلف الآراء والروايات المعتبرة معروضة عرضاً موضوعياً؛ خذوا مثلاً (جواهر الكلام في شرح شرائع الاسلام للشيخ محمد حسن) وهي أكبر موسوعة فقهية حفلت بعرض آراء القدماء من أئمة الفقه وعلمائه ومصادر

(١) مقدمة النص والاجتهاد : ٢٧.

فتاواهم. أو (مستمسك العروة الوثقى لآية الله الحكيم) الموسوعة الفقهية التي سجّلت آخر تطورات الفقه في عصوره المتأخرة، ستجدون ذلك فيهما واضحاً. وهناك لدى هذه الطائفة كتب خاصة في الفقه المقارن تتفرّد بها فيما نعلم، أمثال كتاب «الخلاف» للشيخ الطوسي من أئمة القرن الخامس، و«التذكرة» للعلامة الحلّي، وهي أوسع مؤلّف في الفقه المقارن على الإطلاق.

وما يقال في الفقه يقال في الأصول والتفسير والكلام.

دور أهل البيت في بناء الكتلة الصالحة

(٢)

الخصائص العامة للكتلة الصالحة

سَيِّدَةُ السَّيِّدَةِ مُحَمَّدٍ بِأَوَّلِ الْحَكَمِ وَالْزَّهْدِ

لابدّ لنا بعد بيان الاهداف العامة من وراء بناء الكتلة الصالحة أن نتعرّف على الخصائص والصفات الرئيسية التي لابدّ أن تتميز بها هذه الكتلة الصالحة لتقوم بدورها الطبيعي في التاريخ الاسلامي، وفي أداء دور الأئمة في الدفاع عن الاسلام وحفظ الامة الاسلامية والمجتمع الاسلامي. وقد تعرّفنا على مجموعة من هذه الخصائص عند استعراضنا للاهداف الرئيسية من وراء وجود هذه الكتلة الصالحة. ونحاول هنا أن نلخص ونفهرس هذه الخصائص سواء التي تمت الإشارة إليها في استعراض الاهداف، أو غيرها من الخصائص الأخرى.

أولاً: العقيدة السليمة. لقد اهتم أهل البيت عليهم السلام بالبناء العقائدي لهذه الكتلة، والحفاظ على معالم العقيدة الاسلامية الاصيلية، بحيث تكون بعيدة عن المؤثرات السياسية أو الاجتماعية التي كانت تواجهها الامة، أو الهجمة الثقافية للحضارة الرومانية والفارسية واليونانية. وكذلك عن مرض الخدر الحضاري الذي أصيبت به الامة الاسلامية بسبب انفتاحها على المجتمعات الجديدة في العالم الاسلامي، والثروات الهائلة وأساليب الترف والاستمتاع بالشهوات. وأيضاً عن ردود الفعل النفسية والروحية التي انتهت إلى العزلة عن الحياة والانكفاء على النفس، كما يلاحظ ذلك في بعض مذاهب التصوّف أو الباطنية. أو التمرد على المجتمع والنظام الاسلامي بحيث يلغى كل

الالتزامات، ويحكم بالخطأ والبطلان على جميع المظاهر كما نشاهده في بعض حركات الخوارج أو في حركة القرامطة وغيرها. وبذلك تمكّن الأئمة أن يحافظوا في هذا الجانب على الموقف المتوازن والعقيدة السليمة لأتباعهم بحيث يحفظوا الاسلام الصحيح والاصيل في الوجود العقائدي لهذه الكتلة من ناحية، ويهيئوا لهم القدرة على الاستمرار والتعايش والحيوية في النشاط والحركة. والتأثير على الآخرين.

ولذلك عندما نريد أن نراقب الخط البياني لحركة هذه الجماعة ومسيرتها عبر التاريخ الاسلامي نجد ظاهرة التوسع والانتشار والصلابة والصمود، بالرغم من عمليات القمع ومحاولات الاستئصال التي تعرضت لها هذه الجماعة والكتلة دون أن تضطر إلى اللجوء إلى الاستبطان أو الهروب من الواقع الاجتماعي أو الانزواء في مجاهل البلاد، بل بقيت تعيش في الحواضر الاسلامية وفي مراكز الاشعاع العلمي والديني والثقافي مثل: العراق، وإيران، ولبنان، وسوريا، والخليج، وشبه القارة الهندية (الهند والباكستان)، وأفغانستان، وأذربيجان الشرقية، وبعض مناطق إفريقيا المهمة. كما ضمت قوميات متعددة مثل: العرب، والفرس، والترك، والكرد، والهنود بكل قومياتهم، والبربر، فضلاً عن إفريقيا السوداء وغيرهم من القوميات المعروفة. ولعل الأئمة عليهم السلام كانوا يشعرون من هذا المنطلق أنه لم تكن هناك حاجة ملحة لأتباعهم أن يقوموا بالمزيد من الدعوة والعمل التبليغي في أوساط الناس، لأن العقيدة الصحيحة بنفسها يمكنها أن تؤدّي هذا الدور بمجرد طرحها وعرضها على الأمة. فقد روى الكليني بسنده عن ثابت بن سعيد قال: « قال لي أبو عبد الله عليه السلام: يا ثابت مالكم وللناس، كفّوا عن الناس، ولا تدعوا أحداً إلى أمركم، فوالله لو أن أهل السماء وأهل الارض اجتمعوا على أن يضلوا عبداً يريد الله هداة ما استطاعوا، كفّوا عن الناس ولا يقول أحدكم أخي وابن عمي وجاري، فإن الله إذا أراد بعبد خيراً طيّب روحه، فلا يسمع بمعروف إلا عرفه، ولا بمنكر إلا أنكره، ثم يقذف الله

في قلبه كلمة يجمع بها أمره^١.

ولا شك أن الامر بالكف والنهي عن الدعوة إنما هو بلحاظ المخاصمة واللاحاح، كما ورد في حديث آخر للكليني: «ولا تخاصموا بدينكم الناس، فإن المخاصمة ممرضة للقلب، فإن الله عز وجل قال لنبيه صلى الله عليه وآله: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾»، «أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين»^٢. كما أن التأكيد في الروايات على تشخيص دعائم الدين وبالخصوص النص على الولاية. وكذلك على التمييز بين الاسلام والكفر، والاسلام والايمان، كما جاء لتحديد معالم هذه العقيدة الصحيحة.

ثانياً: الاطار التشريعي الصحيح: ذلك أن قضية الالتزام بالوصول إلى الحكم الشرعي من مصادره الأصلية، وكذلك الحصول على الموقف الشرعي للفصل في الخصومات والقضايا المستجدة ومن خلال الانسان الصالح من القضايا الاساسية التي تميزت بها الكتلة الصالحة. فإنه بالرغم من اتفاق المسلمين جميعاً على أن القرآن الكريم والسنة النبوية هما المصدران الاساسيان للشريعة الاسلامية، ولكن أتباع أهل البيت عليهم السلام امتازوا على بقية المسلمين في هذا المجال في عدة نقاط مهمة: -

أ- الرجوع إلى أئمة أهل البيت عليهم السلام في تفسير القرآن الكريم، ومعرفة الناسخ والمنسوخ منه، والمحكم والمتشابه، والخاص والعام، والمجمل والمبين، وأسباب النزول، وغير ذلك مما له علاقة بفهم القرآن وشرحه وتفسيره. وقد أجمع المسلمون على أن علياً وأهل بيته عليهم السلام هم أعلم الناس بالقرآن من غيرهم من علماء الاسلام.

ب - الرجوع إلى أهل البيت في التعرف على السنة النبوية، ذلك أن السنة النبوية تعرضت لمشاكل وتزوير وغموض بسبب عمليات النقل والتفسير غير الآمنة، وبسبب عمليات الوضع والاختلاق والكذب على رسول الله صلى الله عليه وآله، الأمر الذي أدى إلى تشويش واضطراب واسع في فهم الشريعة الاسلامية. وقد امتاز أهل

البيت عليهم السلام على غيرهم من المسلمين بالرجوع إليهم وحدهم^١ في أخذ السنة النبوية وكذلك شرحها وفهمها ومعرفة الناسخ والمنسوخ منها، والمطلق والمقيد، والخاص والعام.

ج - الانضباط في عملية الأخذ في حدود المجتهد العادل، سواء في الفتوى أو في القضاء وتحديد الموقف الشرعي من القضايا والخصومات والالتزام بفتوى المجتهد الحي^٢ الذي يمكنه أن يعيش الحدث من ناحية. ويمكن للناس أن يتعرفوا على مواصفاته وخصوصياته من ناحية أخرى. وهذه النقاط هيأت فرصة لأتباع أهل البيت أن يكون تحرّكهم ضمن الاطار التشريعي الصحيح ولا يتعرّضوا للمشاكل الفتوى التي تعرّض لها جمهور المسلمين بحيث أدت إلى تباين واختلاف، ومن ثم نزاعات في الفتاوى والاحكام والمواقف. ولعل هذا هو السر الذي جعل النبي صلى الله عليه وآله يؤكد على أهمية مرجعية أهل البيت عليهم السلام في قضايا الشريعة، إلى جانب أهمية ولاية الامر والخلافة. حيث ورد عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم بشكل متواتر التأكيد على ذلك كما هو مضمون حديث الثقلين: «إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي أبداً، ولن يفترقا حتى يردا علي الحوض»^٣. وكذلك تأكيد أهل البيت عليهم السلام على هذه المرجعية في أحاديث كثيرة وواضحة، بحيث ربّوا شيعتهم على هذا الالتزام، وحذّروهم من الوقوع في الانحرافات أو الاعتماد على الظنون والاستحسانات في معرفة الحكم الشرعي.

(١) يأخذ أتباع أهل البيت عن كل نفة يروي عن المعصوم، سواء كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم أو الأئمة الاطهار، ولذلك يأخذون الرواية عن الثقة حتى لو كانوا على مذهب آخر غير مذهب أهل البيت، ولكن بشكل واقعي يأخذون عن أهل البيت وحدهم باعتبار أنه لم يتم لديهم صحة روايات أخرى إلا بشكل محدود وذلك في الروايات المعروفة بـ «النوي» والتي اشتهرت بين المسلمين، وتداولوها جيلاً عن جيل عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم. وإن بعض العلماء يتوقف أيضاً في مثل هذه الروايات لعدم وضوح صحة سندها.

(٢) هذا الامر وإن كان موضع خلاف في مدرسة أهل البيت عليهم السلام إلا أن الغالبية العظمى من المجتهدين في العصور المتأخرة على الأقل تلتزم بهذا الامر. (٣) الفدير ١: ٢١.

وقد كان الخط الذي يميز هذه العقيدة السليمة في الكتلة الصالحة هو موضوع الايمان بولاية علي والأئمة المعصومين من ولده (الأئمة الاثني عشر) عليهم السلام، حيث رُبِطت العقيدة السليمة بهذه الولاية في بعض الروايات الواردة عن أهل البيت عليهم السلام.

عن زرارة عن أبي جعفر عليه السلام قال: بني الاسلام على خمسة أشياء: على الصلاة، والزكاة، والحج، والصوم، والولاية.

قال زرارة: فقلت: وأي شيء من ذلك أفضل؟ فقال: الولاية أفضل لأنها مفتاحهنّ والولي هو الدليل عليهن، قلت: ثم الذي يلي ذلك في الفضل؟ فقال الصلاة، قلت: فثم الذي يليها في الفضل؟ قال: الزكاة لأنه قرن بها، وبدأ بالصلاة قبلها، قلت: فالذي يليها في الفضل؟ قال: الحج، قلت ماذا يتبعه؟ قال: الصوم. الحديث^١.

وفي رواية أخرى رواها الصدوق في أماليه عن أبي حمزة الثمالي عن علي بن الحسين عليه السلام، قال سلمان الفارسي رحمه الله عليه: كنت جالساً عند رسول الله إذ أقبل علي بن أبي طالب عليه السلام، فقال له: يا علي ألا أبشرك؟ قال: بلى يا رسول الله، قال: هذا حبيبي جبرئيل يخبرني عن الله جل جلاله أنه قد أعطى محبيك وشيعتك سبع خصال: الرفق عند الموت، والانس عند الوحشة، والنور عند الظلمة، والأمن عند الفزع، والقسط عند الميزان، والجواز على الصراط، ودخول الجنة قبل سائر الناس من الامم^٢.

وقد وضع أهل البيت عدّة معالم ومؤشرات على هذا الحب والولاء كان من أبرزها زيارة الامام الحسين عليه السلام في كربلاء على ماتنصص عليه الروايات.

ثالثاً: الاتصاف بالدرجة العالية من التقوى والطاعة والاخلاص لله تعالى.

إن هذه المزية بالاضافة إلى كونها هدفاً إسلامياً للانسان المسلم تمثل في نظر أهل البيت شرطاً ضرورياً لا بدّ لهذه الجماعة الصالحة أن تتّصف به حتى تتمكّن من القيام

دراسات

بدورها في التاريخ الانساني. حيث أن هذه الدرجة العالية هي التي تكون قادرة على التأثير في حركة التاريخ الانساني، وعلى استنزال النصر والخيرات والبركات الإلهية على المجتمع: ﴿ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض ولكن كذبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون﴾^١.

ولذا نجد أن أهل البيت عليهم السلام يؤكدون على هذه المزية ليس في مقام تربيتهم شيعة فحسب، وإنما في مقام التعريف بهوية هؤلاء الشيعة وشخصيتهم أيضاً. فقد ورد عن الإمام الرضا عن أمير المؤمنين عن رسول الله صلوات الله عليهم: قال: «يا علي طوبى لمن أحببك وصدق بك، وويل لمن أبغضك وكذب بك، محبوك معروفون في السماء السابعة والأرض السابعة السفلى وما بين ذلك، هم أهل الدين والورع والسمت الحسن والتواضع لله عز وجل، خاشعة أبصارهم، وجللة قلوبهم لذكر الله عز وجل، وقد عرفوا حق ولايتك...»^٢.

وفي هذا المجال فقد تم التأكيد في الروايات على عدة خصوصيات ومعالم أساسية:- أ- الزهد والمواظبة على العبادة بجميع أبعادها، فقد ورد في عدة روايات تصوير النموذج الرائع لذلك، منها عن أبي جعفر عليه السلام في رواية أبي المقداد قال: يا أبا المقداد إنما شيعة علي عليه السلام الشاحبون الناحلون الذابلون، ذابلة شفاههم، خميصة بطونهم، متغيرة ألوانهم، مصفرة وجوههم، إذا جنهم الليل اتخذوا الأرض فراشاً واستقبلوا الأرض ببجائهم، كثير سجودهم، كثيرة دموعهم، كثير دعاؤهم، كثير بكاؤهم، يفرح الناس وهم محزونون...»^٣.

ومنها رواية الارشاد للمفيد والأمالى للطوسي: «روي أن أمير المؤمنين عليه السلام خرج ذات ليلة قمراء فأم الجبانة، ولحقه جماعة يقفون أثره، فوقف عليهم ثم قال: من أنتم؟ قالوا:

(٢) عيون أخبار الرضا ١: ٢٦١.

(١) الاعراف: ٩٦.

(٣) الخصال ٢: ٥٨.

شيعةك يا أمير المؤمنين. فتفرس في وجوههم ثم قال: فما لي لا أرى عليكم (سيما الشيعه)؟ قالوا: وما سيما الشيعة يا أمير المؤمنين؟ فقال: صفر الوجوه من السهر، عمش العيون من البكاء، حذب الظهور من القيام، خمص البطون من الصيام، ذبل الشفاء من الدعاء، عليهم غبرة الخاشعين^١.

ويمكن أن نفهم هذه المناقبة الرائعة في تصوير هذا النموذج الحي الذي وضعه الامام علي عليه السلام للفرد الشيعي في الصورة الرائعة التي يقدمها الامام عليه السلام في حديثه مع الاحنف بن قيس فيما رواه الصدوق في كتابه صفات الشيعة^٢. وكذلك الصورة الاخرى التي رواها الكراچكي في كتابه (الكنز)^٣ في رواية نوف البكالي عن علي عليه السلام في حديث له مع جماعة من أصحابه منهم همام بن عباد بن خنيم والتي ذكر جانباً منها الشريف الرضي في نهج البلاغة^٤.

ب - التطابق بين ادعاء التشيع والولاء لأهل البيت عليهم السلام والمتابعة العملية لهم والتأسي بهم. فقد ورد عن الصادق عليه السلام أنه قال: ينبغي لمن ادعى هذا الامر في السر أن يأتي عليه برهان في العلانية، قلت وما هذا البرهان الذي يأتي به في العلانية؟ قال: يحل حلال الله ويحرم حرام الله، ويكون له ظاهر يصدق باطنه^٥.

وعنه عليه السلام أيضاً أنه قال: «ليس من شيعتنا من قال بلسانه وخالفنا في أعمالنا وآثارنا ولكن شيعتنا من وافقنا بلسانه وقلبه، واتبع آثارنا وعمل أعمالنا، أولئك شيعتنا»^٦.

وروى الكشي بسند صحيح عن داود بن فرقد قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: إن أصحابي أولوا التهن والتقى، فمن لم يكن من أهل التهن والتقى فليس من أصحابي^٧.

ج - الاخلاص لله تعالى في العمل والالتزام في العلاقات الاجتماعية بمبدأ الحب في

(٢) صفات الشيعة: ١٨٢.

(١) الارشاد: ١١٤، وأمال الطوسي: ٢١٩.

(٣) البحار: ٦٥: ١٩٢.

(٤) نهج البلاغة، الخطبة: ١٩١.

(٥) غيبة النعماني: ٥٦.

(٦) تفسير الامام الحسن العسكري: ٣٣٠.

(٧) البحار: ٦٨: ١٦٦.

الله والبغض في الله، بعيداً عن المؤثرات الاخرى الدنيوية، أو الميول النفسية. فقد أكد أئمة أهل البيت عليهم السلام على هذا الجانب الذي يعبر عن التدين والايمان الحقيقي في الالتزامات العقائدية للانسان المسلم، ووصفوا هذه الصفة أمام شيعتهم كهدف وغاية لابد لهم من السعي إليها من خلال مجموعة كبيرة من الأحاديث التي تصرّح بذلك أو تشير إليه بالالتزامات العملية.

فقد روى الكليني في الكافي بسند صحيح عن أبي عبيدة الحذاء، عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: من أحبّ لله وأبغض لله وأعطى لله فهو ممن كمل إيمانه^١. وفي رواية أخرى عن أبي جعفر الباقر عليه السلام قال: ودّ المؤمن في الله من أعظم شعب الايمان، ألا ومن أحبّ في الله وأبغض في الله وأعطى في الله ومنع في الله فهو من أصفياء الله^٢.

كما ورد التعبير عن الايمان والدين بهذا الحب. فمن فضيل بن يسار قال: سألت أبا عبد الله عن الحب والبغض أمن الايمان هو؟ فقال: وهل الايمان إلا الحب والبغض؟ ثم تأول هذه الآية ﴿وَحَبِّبْ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيِّنْهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهْ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ﴾^٣.

وعن أبي عبيدة زياد الحذاء عن أبي جعفر أنه قال له: يا زياد ويحك وهل الدين إلا الحب؟ ألا ترى إلى قوله تعالى ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾^٤.

رابعاً: القدوة والأسوة الحسنة في السلوك الفردي والاجتماعي العام. فإن هذه المزية من أهم الخصائص التي أكد أهل البيت عليهم السلام على ضرورة اتصاف شيعتهم بها.

(١) وسائل الشيعة ١١: ٤٣١.

(٢) المصدر.

(٣) المصدر: ١٣٥.

(٤) المصدر.

ولعلّ التأكيد على صفة الورع والتقوى والاخلاص والعبادة التي أشرنا إليها سابقاً يمثل جانباً من جوانب هذه المزية. ولكن بالإضافة إلى ذلك نجد أهل البيت عليهم السلام يؤكدون على شيعتهم الاهتمام بجانب الاقتداء والأسوة كفضية ذات علاقة خاصة بدور هذه الجماعة الصالحة في المجتمع الاسلامي، وما يمكن أن يكون لهم من تأثير في تحقيق الاهداف العامة من وراء إيجاد هذه الكتلة. انطلاقاً من الدور العظيم المؤثر الذي تؤديه القدوة الحسنة في المجتمع الانساني، على ما سوف نشير إليه مستقبلاً.

ومن هنا جاءت القدوة والأسوة بعنوانها الخاص كصفة لا بدّ لشيعتهم من الاتصاف بها بل قرنوا هذه المزية ببعض الاحاديث بما يتصفون به أنفسهم من ميزة القدوة.

ففي الحديث عن عمر بن يحيى قال: «سمعت أبا عبد الله يقول: إن أحق الناس بالورع آل محمد وشيعتهم كما تقتدي الرعية بهم»^١.

وفي الكافي بسند صحيح عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام في حديث قال: «فإن الرجل منكم إذا ورع في دينه، وصدق الحديث، وأدّى الأمانة، وحسن خلقه مع الناس، قيل هذا (جعفري) فيسرني ذلك، ويدخل عليّ منه السرور، وقيل هذا أدب جعفر، وإذا كان عليّ غير ذلك دخل عليّ بلاؤه وعاره، وقيل هذا أدب جعفر، والله لحدثني أبي عليه السلام: إن الرجل كان يكون في القبيلة من شيعة علي عليه السلام فيكون زينها، أذا هم للامانة، وأقضاهم للحقوق، وأصدقهم للحديث، إليه وصاياهم وودائعهم، تسأل العشيرة عنه فتقول من مثل فلان، إنه أذا أنا للامانة وأصدقنا للحديث»^٢.

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنّ أصحاب علي عليه السلام كانوا المنظور إليهم في القبائل، وكانوا أصحاب الودائع، مرضيين عند الناس»^٣.

وفي رواية أخرى عن سليمان بن مهران قال: دخلت على الصادق جعفر بن محمد عليه

السلام وعنده نفر من الشيعة وهو يقول: معاشر الشيعة كونوا لنا زيناً، ولا تكونوا علينا شيناً، قولوا للناس حسناً واحفظوا ألسنتكم، وكفّوها عن الفضول وقبح القول»^١.

خامساً: القدرة على تحمّل المسؤولية التاريخية الكبيرة من خلال تكامل الشخصية الانسانية في الالتزام وضبط النفس، وحفظ الاسرار والكتمان، وحسن المعاشرة مع الناس، والوفاء بالعهود وأداء الامانة، والتخلّق بالاخلاق الاسلامية العالية.

وهذه المزيّة من الصفات المهمة التي تحتاج إليها الجماعة الصالحة في بقائها واستمرار وجودها في مواجهة التصفيات الجسدية، والضغط الروحية والنفسية التي يمارسها الاعداء ضد هذه الجماعة. وكذلك في مواجهة التلاطم الاجتماعي والمتغيرات السياسية والمشاكل الاخلاقية والاجتماعية.

ومن هنا نجد أهل البيت عليهم السلام يضعون لشيعتهم أنظمة وقوانين للتقيّة بمختلف أبعادها التي سوف نتحدث عنها. ويضعون إلى جانبها منهجاً للضوابط والاخلاق والمواصفات الضرورية التي يجب أن يلتزم بها المنتسبون لهذه الجماعة من شيعتهم، ويرون أن المحافظة على هذه الضوابط أحد معالم امتحان الانسان الشيعي وتمييزه.

فقد روى البرقي عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «امتحنوا شيعتنا عند مواقيت الصلاة كيف محافظتهم عليها، وإلى أسرارنا كيف حفظهم لها عند عدونا، وإلى أموالهم كيف مواساتهم لآخوانهم فيها»^٢.

وفي رواية أخرى عن أبي الربيع الشامي قال: دخلت على أبي عبد الله والبيت غاص بأهله، فيه الخراساني والشامي ومن أهل الآفاق، فلم أجد موضعاً أقعد فيه، فجلس أبو عبد الله وكان متكياً ثم قال: يا شيعة آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم اعلّموا أنه ليس منا من لم يملك نفسه عند غضبه، ومن لم يحسن صحبة من صحبه، ومخالفة من خالفه، ومرافقة من رافقه،

ومجاورة من جاوره...^١

وفي رواية أخرى عن ميسر قال: قال أبو جعفر عليه السلام: «يا ميسر ألا أخبرك بشيعتنا؟ قلت: بلى جعلت فداك، قال: إنهم حصون حصينة، وصدور أمينة. وأحلام رزينة، ليس بالمذاييع البذر، ولا بالجفاة المرائين، رهبان الليل، أسد النهار»^٢.

وفي رواية أخرى عن أبي جعفر عليه السلام: «شيعتنا المتبادلون في ولايتنا، المتحابون في مودتنا، المتزاوون في إحياء أمرنا، الذين إذا غضبوا لم يظلموا، وإن رضوا لم يسرفوا، بركة على من جاوروا، سلم لمن خالطوا»^٣.

وقد قرأنا في حديث سابق - كما هو في أحاديث عديدة - التأكيد على أداء الامانة. ويتضح هذا النهج بشكل رائع من خلال الاحاديث الكثيرة جداً التي وردت منهم في تأديب شيعتهم وتربيتهم على الاخلاق الفاضلة، كما نجده في الموسوعات الحديثية، خصوصاً في أبواب العشرة والامر بالمعروف، وألفت فيه الكتب المستقلة.

سادساً: إيجاد الكيان الاجتماعي المستقل لهذه الجماعة عن الهيمنة التي كان يفرضها الطواغيت في المجتمعات الاسلامية، وكذلك عن الاوضاع الاجتماعية المتقلبة، والاعتماد في ذلك على التأييد والنصر الإلهي والامكانات الذاتية للجماعة الصالحة.

ويمكن أن نلاحظ هذه الخصوصية عبر التأريخ الاسلامي من خلال بعض المعالم التي سوف نتحدث عنها بشكل أكثر تفصيلاً في الآتي من البحث:

أ- النظام المالي للجماعة الذي يؤمن مصارف الاعمال الدينية العامة في وسطها، والذي يعتمد بصورة أساسية على الحقوق الشرعية وفي مقدمتها (الخمس والزكاة) حيث كان لهذا النظام دور عظيم في حفظ هذه الجماعة واستمرارها.

ب - النظام السياسي المتمثل بنظام: الولاية، والقضاء، والفتيا. حيث يتحمل المجتهدون مسؤولية هذا النظام بإرشاد الأئمة من أهل البيت عليهم السلام لشيعتهم في هذا الجانب، وتحذيرهم من السقوط في الأوضاع السياسية الفاسدة والرجوع إلى الحكام والتحاكم إلى الطاغوت.

ج - المدارس والحوزات العلمية التي يتخرج منها المجتهدون والمبلفون وذوو الاختصاص بالعلوم الشرعية، والتي كانت الحصون المنيعه لتربية هذه الجماعة وحفظها من الانهيار. وقد أكد أهل البيت على وجوب طلب العلم وضرورة بذل العلماء لعلمهم. عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه كان يقول: «أيها الناس اعلّموا أن كمال الدين طلب العلم والعمل به، ألا وإن طلب العلم أوجب عليكم من طلب المال، إن المال مقسوم مضمون لكم، قد قسمه عادل بينكم وضمنه وسيفي لكم، والعلم مخزون عند أهله، وقد أمرتم بطلبه من أهله فاطلبوه»^١.

كما ورد في عدة روايات أن طلب العلم فريضة، ألا إن الله يحب بغاة العلم، وإن الشاخص في طلب العلم كالمجاهد في سبيل الله. وروي عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال: «تذاكروا وتلاقوا وتحذثوا فإن الحديث جلاء للقلوب، إن القلوب لترين كما يرين السيف جلاؤه الحديد».

د - الاهتمام بتأمين الموارد المالية لمجتمع الجماعة من خلال خطّي التجارة والزراعة التي تؤمّن شيئاً من الحماية الاقتصادية بعيداً عن تأثير الطاغوت وقوانينه وممارساته ومطاردته لأفراد الجماعة ومحاصرتهم.

حيث وردت النصوص الكثيرة التي تحث على سلوك طريق التجارة والزراعة، فإن تسعة أعشار الرزق في التجارة.

سابعاً: الانصاف بروح الانصاف والتناصر والتعاقد والمواساة للاخوان كأفضل

طريقة للمحافظة على العلاقات القوية بين أفراد الجماعة، وتحقيق وحدتها وتلاحمها، ومعالجة نقاط الضعف والخلل فيها حيث قد يصاب الافراد - بسبب الظروف الاجتماعية والاقتصادية والسياسية - بالشعور بالعزلة أو المحاصرة أو الضعف.

وقد وردت عن أهل البيت عليهم السلام روايات كثيرة تؤكد على أهمية هذا المبدأ وهذه المزية كحق من حقوق المؤمنين بعضهم على البعض الآخر كما سبق الإشارة إلى ذلك.

ومن هذه النصوص:

عن أبي جعفر عليه السلام قال: «إن من حق المؤمن على أخيه المؤمن أن يشبع جوعته ويواري عورته ويفرّج عن كربته ويقضي دينه، فإذا مات خلفه في أهله وولده»^١.

الخطوط العامة لبناء الجماعة الصالحة.

عندما رسم أئمة أهل البيت عليهم السلام الخطوط العامة لبناء الجماعة الصالحة وضعوا في منظورهم الاهداف العامة لبناء هذه الكتلة من ناحية، والخصائص العامة التي يجب أن تتصف بها هذه الكتلة والجماعة الصالحة من ناحية أخرى. ولذلك نجد أن هذه الخطوط اتّصفت بالشمولية، فكانت مزيجاً من الابعاد والجوانب تتوافر فيه جميع مستلزمات البنيان المرصوص المحكم الذي يؤهله للقيام بهذا الدور التاريخي وهو حفظ الاسلام والأمة الاسلامية والدفاع عنها من ناحية، وتحقيق المثل الصالح للجماعة الانسانية في مسيرة البشرية من ناحية أخرى.

فقد تبادلت هذه الخطوط الابعاد والجوانب الفكرية والعقائدية، والاخلاقية والروح المعنوية العالية، والثقافية، والامنية، والسياسية، والتنظيمية، والشعائرية، والاقتصادية. وسوف نتناول كلّ واحد من هذه الخطوط التسعة بالإشارة والحديث المختصر، علماً بأن

(١) وسائل الشيعة ٨: ٥٤٢، باب: ١٢٢. وفي الباب أحاديث كثيرة نتناول هذا الموضوع.

كل واحد منها يصلح لدراسة مستقلة وثائقية وتاريخية وتحليلية.

أولاً: الجانب الفكري العقائدي:

لقد اهتم أهل البيت عليهم السلام بشكل خاص بهذا الجانب لأنه يعتبر الأساس الذي يمكن أن يقوم عليه بناء أي جماعة بشرية. وبمقدار ما يكون هذا الجانب قوياً وواضحاً ومنسجماً وشمولياً، تكون الجماعة قوية وقادرة على مواجهة المصاعب والمشكلات والظروف المختلفة التي تفرزها حركة التاريخ. ومن خلال هذه الرؤية لدور الجانب العقائدي والفكري نجد القرآن الكريم يهتم بهذا الجانب أكبر الاهتمام، ويعالج في المجتمع الجاهلي القضية العقائدية والفكرية، ويرسخ في المجتمع (الجماعة الإسلامية) هذه القضية.

ويمكن أن نلاحظ في بناء الكتلة الصالحة والجماعة الصالحة الذي أقامه أهل البيت عليهم السلام من خلال هذا البند الفكري والعقائدي، الأمور التالية:

١- الالتزام بطرح الأفكار والعقائد التي يمكن استنباطها من القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة، حيث كانوا دائماً يستشهدون على هذه العقائد بالنصوص القرآنية والاحاديث النبوية، بالإضافة إلى الالتزام بأن يكون الطرح منسجماً مع الفطرة الانسانية السليمة.

٢- مراعاة التكامل المذهبي والعقائدي بين أصول العقائد والفطرة الكلية للكون والحياة وعالم الغيب والشهادة من ناحية، والفروع التي تنفرع عن هذه العقائد من ناحية أخرى، أي التكامل بين النظرية والتطبيق، وبين العقيدة والسلوك، وبين الاصول والفروع. فالمذهب يقوم على أساس العقيدة التي ترى أن أهل البيت يمثلون دوراً يرتبط بالعقيدة في النظرية الكلية، وأن الإمامة لها بُعد إلهي بشدة بُعد الرسالة باستثناء الوحي، لأن الامام منصوب من قبل الله تعالى كما أن الرسول مبعوث ومرسل منه تعالى، وإن السلوك

الانساني يتأثر بهذا الفهم العقائدي حيث يشاهد الربط بين الايمان (بالولاية) وتكامل (الاعمال والسلوك). كذلك الأخذ عن (أئمة أهل البيت) سواء في الاصول أو الفروع إنما هو أخذ عن الانسان الذي يتصف بالعلم الكامل ولكن في المدى الانساني، و(بالعصمة) عن الذنب والخطأ في البيان، و(بحق الولاية)، والامر والنهي في المصاديق والتفاصيل. فلا يكون الأخذ عنهم من قبيل الأخذ عن (الرواة) أو (المجتهدين) الذين يكون دورهم النقل والفتوى، ويرجع إليهم الناس في حدود معرفة الحكم الشرعي من خلال النقل والفتوى دون أن يكون لهم حق الولاية. كما أنهم يعتمدون على الحدس وتعرضون إلى الاشتباه والنسيان في الفهم أو في حفظ النص أو الاستنباط منه. ولذلك لم تتعرض هذه الكتلة إلى حالة الانفصام والتأرجح بين الاوامر التي كان يصدرها الحكام والولاة من منطلقات الانفعال والتأثر بالاهواء والعواطف - أحياناً - أو الظروف السياسية التي كانت تحيط بهم، أو يتعرضون أحياناً أخرى إلى الاشتباه والخطأ، وبين الفتاوى التي كان يصدرها المجتهدون من منطلقات الفهم للنص القرآني والسنة النبوية، أو الرجوع إلى قواعد القياس والاستحسان والمصالح المرسلة وغيرها عندما يعجزون عن الوصول إلى النص الشرعي، أو يصدرون فتاواهم في مقابل هذا النص. كما في موارد الاجتهاد في مقابل النص، حيث كانوا يرونه بعيداً عن مواقع الاستحسان أو المصالح الاجتماعية المرسلة التي كانوا يرونها من خلال فهمهم لحركة المجتمع. كما أن هذه الجماعة لم تتعرض إلى حالة الانفصام بين الكلاميين والفلاسفة المسلمين أصحاب النظريات والمبتنيات العقائدية والتي اختلفوا فيها أشد الاختلاف، وبين الفتاوى التي أفتى بها فقهاء قد لا يلتزمون هذه النظرية أو تلك، بحيث واجهت بعض الجماعات الاسلامية حالة الرجوع إلى فقيه يلتزم بمبتنيات عقائدية وفكرية، يختلف فيها مع مقلده الذي أخذ بالنظريات العقائدية والفكرية من رجال آخرين. ولذلك لانجد بين علماء ومجتهدي الشيعة وأتباع أهل البيت هذا الاختلاف العقائدي والفكري الذي نراه في علماء

٣- الشمولية في الحالة المذهبية والعقائدية. حيث تناول أهل البيت هذا الجانب بالشرح والتوضيح والتفصيل فكان شاملاً لمختلف القضايا العقائدية، ولم يتركوا فراغاً في هذا الجانب يتصرف فيه المجتهدون بأرائهم واجتهاداتهم واستنباطهم. وذلك لأن القضية العقائدية - بخلاف القضية السلوكية الفرعية - خطيرة وتترتب عليها آثار ونتائج حساسة وحادة، وتنعكس على كل تفاصيل البناء الروحي والاجتماعي والسياسي والمستقبلي للحياة الانسانية. ومن هذا نجد أن أهل البيت عليهم السلام لم يقتصروا في طرحهم للجانب العقائدي على أصول العقائد الاسلامية كالوحي، والنبوة، والمعاد، بل شمل المجالات المختلفة مثل قضايا العدل، والامامة، والجبر والاختيار، والقدر، والكفر، والايمان وعلاقتها بالعمل، والعصمة، والعدالة، والموت والحياة، وسنن التاريخ، والابتلاء، والولاء، والحب والبغض، والاخلاق، وظهور المهدي (الحياة في آخر الزمان)، ومعالم الدار الآخرة، كالبرزخ، والبعث، والنشور، والحوض، والسرطان، والرؤية، والحساب، والشفاعة، والجنة والنار، والعذاب والراحة، والخلود في النار والجنة، والحسن والقيح، والوحي الإلهي، والعقل.

إن هذه التفاصيل التي تناولها الأئمة، وعالجوا فيها الجانب الفكري والعقائدي، وقدموا فيها الموقف الناجز كان لها دور عظيم في قوة القاعدة العقائدية وهذه الجماعة الصالحة وتراص صفوفها.

ولذلك نلاحظ أن تاريخ فترة الحضور (أي حياة الأئمة الاثني عشر) شهد اختلافات واسعة في أوساط جماعة أتباع أهل البيت بسبب هذه العقائد. ولكن عندما تمكّن الأئمة من تحقيق هذه السعة والشمول في الطرح العقائدي بدأت تتناقص وتتضاءل هذه الاختلافات حتى أصبحت محدودة إلى حدّ بعيد في زمن (الغيبة الكبرى). مع أن ظروف الغيبة هي أشدّ صعوبة من فترة وجود الأئمة بسبب غيبة الامام وعدم القدرة على

الاتصال به. ولم يكن ذلك إلا بسبب هذا الانجاز الكبير الذي قام به الأئمة في فترة وجودهم، وكان ضمانه عقائدية وفكرية لهذه الجماعة الصالحة. كما أن التاريخ الاسلامي شهد اختلافات عقائدية واسعة ولازال بين الجماعات الاسلامية الاخرى بسبب عدم الاتفاق على مرجع واحد ليكون مرجعاً للمسلمين في هذه التفاصيل، بل يمكن أن نقول بعدم وجوده.

٤- إرساء قواعد المنهج الصحيح في معالجة قضايا الفكر والعقيدة سواء كان ذلك من خلال التأكيد على الحرية الفكرية والعقائدية في المجتمع الاسلامي، أو من خلال التأكيد على ضرورة اعتماد المنطق السليم وتحكيم العقل والوجدان والفترة الانسانية الصافية. أو من خلال التزام الوحي الالهي والنص النبوي الصحيح بعيداً عن الاهواء والانجاهات السياسية الخاصة، وبعيداً عن استخدام الذوق والمزاج والميول، الشيء الذي يسميه أهل البيت والنص النبوي بـ(الرأي). وورد فيه «من فسر القرآن برأيه فقد كفر» أو «إن دين الله لا يدرك بالعقول»... أو من خلال فتح باب الاجتهاد والاستنباط ضمن القواعد والاصول الصحيحة واستنطاق القرآن تجاه كل الظواهر والاحداث التي تواجهها البشرية بروح موضوعية ومنفتحة على جميع الاحتمالات والظروف التي يواجهها الانسان.

وقد كانت هذه الحرية الفكرية، وهذا الالتزام بالحدود الاسلامية للاستنباط (النص القرآني والسنة النبوية)، وهذا الانفتاح والتجديد في الفهم والاستنباط والنظر في معالجة القضايا، وهذا الانسجام مع متطلبات الفترة الانسانية والعقل والوجدان من الخصائص التي اتصفت بها مدرسة أهل البيت وهذه الجماعة الصالحة كما أشرنا إلى ذلك. وهذه الخصائص في نفس الوقت التي تمكنت من أن تبني هذه الجماعة بناءً فكرياً وعقائدياً قوياً ومتطوراً وله القدرة على مواجهة جميع الظروف والاضاع، مكنت هذه الجماعة الصالحة من القيام بمسؤولياتها في الدفاع عن العقيدة الاسلامية والفكر الاسلامي

الاصيل، ليس في مواجهة الاجتهادات الفكرية والعقائدية الاخرى داخل المجتمع الاسلامي والاطار الاسلامي فحسب، بل في مواجهة التيارات الفكرية والعقائدية التي هي خارج الاطار الاسلامي بالكامل.

ثانياً: الجانب الاخلاقي

وتأتي الاخلاق في المرتبة الثانية من الاهمية في بناء الجماعة الانسانية. حيث أنها تمثل القاعدة والاساس الثاني الذي يجب أن يقوم عليه البناء الاجتماعي، وهو الجانب الوجداني والاساس للسلوك الانساني والعلاقات الانسانية التي ترتبط بالعدل والظلم والحسن والقبح والتكامل والتسافل في المسيرة البشرية. وهو ما يعبر عنه الفلاسفة بالعقل العملي في مقابل العقل النظري الذي يمثل الجانب العقائدي والفكري.

ويمكن أن نلاحظ معالم هذا الجانب في بناء الكتلة الصالحة في الامور التالية:

١- التأكيد على دور الاخلاق في المجتمع الانساني وعلاقتها بالارادة الانسانية وتكاملها من خلال إرادة الانسان ومسؤوليته تجاهها. حيث أن هذا الجانب كان من نقاط الاختلاف الحادة في الفكر الاسلامي. وذهب عدد كبير من المفكرين الاسلاميين إلى الجبر وعدم تحمل المسؤولية تجاه الانحرافات السلوكية والاخلاقية، وإن الانسان ليس لديه مدركات أخلاقية، وإنما عليه الالتزام بالحكم الشرعي مع تجريده عن خلقيته الاخلاقية الانسانية. وأكدت مدرسة أهل البيت على قضية إدراك الانسان للحسن والقبح، وإن الحكم الشرعي جاء من أجل أن يكشف ويحدّد للانسان هذا الادراك وينير له الطريق للوصول إلى هذه الحقائق التي فطره الله تعالى عليها. بحيث أصبح الحكم الشرعي الإلهي ليس مجرد إلزام أو قرار يمارس فيه الله تعالى ولايته المطلقة على الانسان، بل هو إلى جانب ذلك يمثل العدل والحكمة الإلهية والغنى المطلق منه تعالى عن أفعال هذا الانسان. فهو يمثل المصالح والمفاسد المرتبطة بحياة هذا الانسان ومسيرته التكاملية في هذه الحياة. فهو ذو بعد أخلاقي.

وبهذا يمكن أن نفهم أهمية المعركة الكلامية التي خاضها أهل البيت عليهم السلام وحدّدوا فيها البعد الاخلاقي في الاحكام الشرعية من خلال قضية الحُسن والقبح في الارادة الانسانية، من خلال طرح (لأجبر ولا تفويض بل أمرين أمرين). وقد استفاد أهل البيت هذا الدور للاخلاق من القرآن الكريم، حيث نجد القرآن حينما يضرب للانسان الامثال التي يؤكّد فيها (الحرية) في الارادة الانسانية كما في مثل قوله تعالى: ﴿ضرب الله مثلاً عبداً مملوكاً لا يقدر على شيء...﴾^١، أو يطرح أمامه التساؤلات مثل: ﴿قل هل يستوي الذي يعلمون والذين لا يعلمون﴾^٢، أو يطرح أمامه مفاهيم (الحسنة والسيئة) مثل: ﴿ولا تستوي الحسنة ولا السيئة﴾^٣، أو العدل والظلم، أو الصدق والكذب، أو البخل والايثار، وغيرها من المفاهيم.

إن القرآن حين يتناول كل ذلك يريد أن يخاطب في الانسان تلك الادراكات الفطرية الوجدانية التي تمثّل الاساس للسلوك الاخلاقي الذي حدّده القرآن ورسمه بشكل تفصيلي، والتي نسميها بالحسن والقبح العقليّين. ولا نريد هنا أن نتناول هذا البحث الكلامي الاخلاقي بقدر ما نريد أن ننّه إلى أهل البيت عندما وجّهوا أتباعهم إلى التزام هذا المذهب، وأصبح أحد أصول مذهبهم هو الالتزام (بالعدل الإلهي) أرادوا بذلك أن يؤسّسوا القاعدة الاخلاقية في البناء الروحي والمعنوي لأتباعهم. ويوجدوا نوعاً من الحصانة النفسية والروحية عن الوقوع في الانحرافات الاخلاقية الكبرى، كالظلم والعدوان أو مناصرتهم أو السكوت عنهما على الاقل.

٢- إعطاء الايمان بالله تعالى -الذي يمثل أهم وأفضل صفة تكاملية في الانسان- بُعداً عملياً، وإخراجه من الحالة العقائدية المجردة والالتزامات النفسية المحضة إلى الممارسة السلوكية والعملية والتطبيقية، وذلك بتفسير الايمان على أساس أنّه حقيقة

وما هيّة تكاملية وذات مراتب ودرجات تتكامل وتتصاعد عن طريق العمل والتطبيق. ويبدو أنّ هذا الموضوع كان من الموضوعات المثيرة للجدل والخلاف في زمن الأئمة، بحيث أنّ بعض العلماء - كما أشرنا - كان يذهب إلى أنه لايتفاوت إيمان الأنبياء مع إيمان إبليس. لأن الإيمان حقيقة مطلقة، إمّا أن تكون موجودة أو لا تكون. وإنّما يختلف الأنبياء عن إبليس في السلوك والعمل.

وكان مذهب أهل البيت الذي تربّى عليه أتباعهم، هو اختلاف درجات الإيمان في المؤمنين. ويتأثر الإيمان إلى حدٍ كبير - صعوداً ونزولاً - بالممارسات العمليّة.

عن عمار بن الاحوص، عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: «إن الله عزّ وجل وضع الإيمان على سبعة أسهم، على البر والصدق واليقين والرضا والوفاء والعلم والحلم، ثم قسم ذلك بين الناس، فمن جعل فيه هذه السبعة الأسهم فهو كامل محتمل، وقسم لبعض الناس السهم، ولبعض السهمين، ولبعض الثلاثة، حتى انتهوا إلى السبعة، ثم قال: لا تحملوا على صاحب السهم سهمين، ولا على صاحب السهمين ثلاثة فتبهضوهم، ثم قال: كذلك حتى تنتهي إلى السبعة»^١.

وعن سدير قال: قال لي أبو جعفر الباقر عليه السلام: «إن المؤمنين على منازل، منهم على واحدة، ومنهم على اثنين، ومنهم على ثلاث، ومنهم على أربع، ومنهم على خمس، ومنهم على ست، ومنهم على سبع، فلو ذهبت تحمل على صاحب الواحدة ثنتين لم يقو، وعلى صاحب الثنتين ثلاثاً لم يقو، وعلى صاحب الثلاثة أربعاً لم يقو، وعلى صاحب الأربعة خمساً لم يقو، وعلى صاحب الخمسة ستاً لم يقو، وعلى صاحب الستة سبعاً لم يقو، وعلى هذه الدرجات»^٢.

وبذلك يصبح إيمان الإنسان مهّداً عندما ينحرف في سلوكه، ويتخلّى عن السلوك

(١) الكافي ٢: ٤٢.

(٢) أي درجات الإيمان، أو هي الدرجات التي ذكرها الله تعالى في قوله: (هم درجات عند الله).

(٢) الكافي ٢: ٤٥.

الأخلاقي. وكذلك يتصاعد ويتكامل إيمانه من خلال الالتزامات السلوكية الأخلاقية. ولا شك أن هذا الفهم للإيمان ولدور الأخلاق فيه، له تأثير كبير وانعكاسات إيجابية على الالتزامات السلوكية والأخلاقية.

٣- التأكيد على أصحابهم وأتباعهم أن يأخذوا دور القدوة في المجتمع الإسلامي وبين أفراد الجماعة المسلمة، والعمل على الوصول إلى المثل الأعلى في ضمن الجماعة. بحيث يكون هؤلاء الأفراد موضع الثقة والطمأنينة بين أفراد المجتمع الإسلامي.

ولا شك أن الأخلاق والمثل والقيم والالتزامات السلوكية المنسجمة معها هي التي يمكنها أن تعطي هذا الدور في المجتمع الإسلامي.

ففي فلسفة التاريخ التي تحدت عنها القرآن الكريم، يشير إلى نوعين من القدوة والأسوة والإقتداء.

أحدهما النوع الحسن (الأسوة الحسنة)، وهي الأسوة التي تقوم على المثل والقيم والالتزامات الأخلاقية، مثل الأسوة بإبراهيم عليه السلام ومحمد صلى الله عليه وآله، والأنبياء والرسل عليهم السلام. قال تعالى: ﴿لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً﴾^١. وقال تعالى: ﴿قد كان لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه﴾^٢ وقال تعالى: ﴿لقد كان لكم فيهم أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر﴾^٣. ثانيهما: النوع السيئ (الأسوة السيئة)، وهي التي تقوم على أساس القوة والقدرة والهيمنة الخارجية، وهي الأسوة بالجبايرة والطفأة وأئمة السوء وأصحاب الجاه والمال. قال تعالى: ﴿بل قالوا إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مهتدون﴾^٤. وقال تعالى: ﴿وقالوا ربنا إنا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلا﴾^٥.

(٢) الممتحنة: ٤.

(٤) الزخرف: ٢٢.

(١) الاحزاب: ٢١.

(٣) الممتحنة: ٦.

(٥) الاحزاب: ٦٧.

حيث أن الإنسان يقع عادة تحت تأثير أحد هذين العاملين الأساسيين في قضية «الأسوة» و«القدوة»، وهما: عامل الفطرة الإنسانية السليمة، ومنايع الحق والعدل والوجدان في النفس الإنسانية، وعامل الهوى والشهوات والخوف والطمع، ومواضع الضعف والنقصان في النفس الإنسانية.

وقد حث أهل البيت عليهم السلام أتباعهم على استنفار العامل الأول والاستفادة منه في الوصول إلى هذا الموضع الاجتماعي والإنساني.

عن الامام علي عليه السلام: «والامام المستحق للإمامة له علامات فمنها: أن يعلم أنه معصوم من الذنوب كلها صغيرها وكبيرها، لا يزَل في الفتيا، ولا يخطيء في الجواب، ولا يسهو ولا ينسى، ولا يلهو بشيء من أمر الدنيا.

والثاني: أن يكون أعلم الناس بحلال الله وحرامه وضروب أحكامه وأمره ونهيه وجميع ما يحتاج إليه الناس، فيحتاج الناس إليه ويستغني عنهم.

والثالث: يجب أن يكون أشجع الناس لأنه فئة المؤمنين التي يرجعون إليها إن انهزم من الزحف انهزم الناس لانهزاهم.

والرابع: يجب أن يكون أسخى الناس وإن بَخُل أهل الأرض كلهم، لأنه إن استولى الشح عليه شح بما في يديه من أموال المسلمين.

والخامس: المعصمة من جميع الذنوب، وبذلك يتميَّز عن المأمومين الذين هم غير المعصومين، لأنه لو لم يكن معصوماً لم يؤمن عليه أن يدخل فيما يدخل الناس فيه من موبقات الذنوب المهلكات والشهوات واللذات»^١.

وعن الامام زين العابدين عليه السلام: «إن أبغض الناس إلى الله عز وجل من يقتدي بسنة إمام ولا يقتدي بأعماله»^٢.

٤- منح العدالة* دوراً مهماً في الحياة الاجتماعية العملية. حيث يشترط مذهب أهل البيت عليهم السلام توافر صفة العدالة في الأشخاص الذين يتصدّون إلى الكثير من المناصب والأعمال، مثل: الحكّام، والولاة، والقضاة، والمفتين، وأئمة الجماعة، والشهود في الخصومات، والشهادة على الطلاق، وغيرها من الموارد التي يجدها المتتبّع في الكتب الفقهية. الأمر الذي يدلّ على إعطاء هذه الأهمية وهذا الدور لهذه الصفة. حتى أصبحت العدالة من حيث الأهمية. مقدمة على «العلم» و«المعرفة». وأصبح لها في ذهنية أتباع أهل البيت وأوضاعهم النفسية والروحية موقع خاص، ولها تأثير عميق على موقفهم من المجتهدين والقضاة والمتصدّين للأعمال السياسية، والنشاطات العامة. وهذا الموقف والفهم للعدالة لانجده في المذاهب الإسلامية الاخرى، ولا في الأوساط الدينية التي تنتسب إليها، حيث تقبل المذاهب الإسلامية - على اختلاف فيما بينها - إمامة الفاسق لصلاة الجماعة، وولايته للحكم، وتسامح في الشهود. ولا شك أن للعدالة مفهوماً أوسع من مفهوم الثقة والاعتماد، ولذلك تأخذ بعداً أخلاقياً واسعاً.

كما أن العدالة التي تُشترط في الشهود تختلف في مستواها بطبيعة الحال عن العدالة التي لا بد من توافرها في الحكّام والولاة والقضاة والمفتين. حيث يجب أن تكون في الصنف الثاني بمستوى عالٍ يتناسب مع أهمية الموقع ومستوى الضغوط النفسية والاجتماعية التي يتعرض لها هذا الموقع.

٥- وضع الخطط والمناهج والأساليب للوصول بالجماعة والكتلة الصالحة إلى المستوى الأخلاقي الرفيع المطلوب.

فلم يترك الأئمة عليهم السلام هذا الخط كمطلب عام يحثون أتباعهم على الوصول إليه،

(٥) التي هي درجة عالية من الإستقامة على جادة الشرع، أو الملكة النفسية التي تمنح الإنسان من الوقوع في المحرمات أو ترك الواجبات، أو تدفعه إلى التوبة من ذلك عند الوقوع في الذنب.

ويطلبون منهم الالتزام به، وإنما وضعوا أمامهم مجموعة من الخطوط العملية التي تمكّنهم - عند الالتزام بها - من الوصول إلى هذا الهدف وتحقيق هذه الغاية والمستوى الأخلاقي الرفيع.

ويمكن أن نلاحظ ذلك - بالإضافة إلى المناهج الإسلامية العامة - في مناهج الدعاء والذكر التي وضعها الأئمة عليهم السلام وتشمل اليوم واللييلة بتمامها، بالإضافة إلى الليالي الخاصة، مثل ليالي الجمعة، والأعياد، والمناسبات الإسلامية (المولد النبوي الشريف، والمبعث النبوي، وعيد الغدير، وليلة النصف من شعبان، ... إلخ).

وكذلك منهج الصلوات المستحبة الخاصة، مثل الصلاة المنتسبة إلى المعصومين الأربعة عشر عليهم السلام. واحداً بعد الآخر، وصلاة جعفر وغيرها. أو الصلوات العامة في ليالي الإحياء، وليالي شهر رمضان، والمناسبات الإسلامية الأخرى.

ومنهج العبادات الأخرى كالصوم والاعتكاف والحج والعمرة، وزيارات النبي صلى الله عليه وآله والأئمة عليهم السلام والصالحين، والأذكار، والإنفاق في سبيل الله، وصلة الأرحام والجيران والمؤمنين، وحتى صلة عامة المسلمين.

كل ذلك في تفاصيل دقيقة يمكن أن نشاهدها في الكتب الحديثية، كأبواب العشرة، والاخوان، والسلوك الأخلاقي. بحيث تكون الحصيلة هي تصعيد الجانب الأخلاقي والالتزامات السلوكية وقوة الشخصية على المستوى الفردي وفي المجتمع الإنساني.

«يتبع»

ثلاثة في تمهيدية

لمؤتمر الجمعية العامة للجمع العالمي لأهل البيت

تمهيداً لإقامة المؤتمر العالمي الثاني لأهل البيت عليهم السلام، انعقدت في طهران جلسة تمهيدية تخص الضيوف الإيرانيين والمقيمين في الجمهورية الإسلامية في إيران.

أعدت هذه الجلسة المصادفة لذكرى الميلاد السعيد لمولى الموحدين أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام بتاريخ ١٣ / شعبان / ١٤١٣ هـ.ق. في فندق «لاله» بطهران وليوم واحد فقط، لغاية إعداد الأرضية المناسبة لإقامة المؤتمر العالمي للجمعية العامة.

ومن الجدير بالذكر أن المؤتمر الأول العالمي لأهل البيت عليهم السلام كان قد أقيم في شهر شوال سنة ١٤١١ هـ.ق. مناسبة مع أيام شهادة الامام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام في طهران أيضاً. والمؤتمر الاول الذي انبثق منه المجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام عُدَّ تشكيل «الجمعية العامة» ركناً من أركان ذلك المجمع.

وفي البيان التأسيسي كلف المؤتمر «المجلس الاعلى للمجمع» بتعيين أعضاء ثابتين للجمعية العامة للمجمع. ومن المقرر أن يجتمع أعضاء الجمعية العامة كل عامين مرة (على الأقل) ليدرسوا أوضاع أتباع أهل البيت عليهم السلام المنتشرين في مختلف بقاع الارض، فيبحثوا عن حلول عملية لمشاكلهم.

وقد تمّ اختيار اغلب هؤلاء الاعضاء، وسيكون لهم اجتماع في أيام ميلاد خاتم المرسلين صلى الله عليه وآله على امتداد اسبوع الوحدة من السنة القادمة في طهران بعون الله العليّ القدير.

وسيدرس هذا الاجتماع - الذي سيكون المؤتمر الثاني العالمي لأهل البيت عليهم السلام، وبالأحرى «الجلسة الاولى للجمعية العامة لأهل البيت عليهم السلام - بدقة أهم مشاكل المسلمين ولا سيما أتباع أهل البيت عليهم السلام، وسيطرح عدة طروحات عملية للحماية الكاملة الشاملة لهؤلاء المظلومين.

أهداف الجلسة التمهيدية :

كان هذا الاجتماع قد أعدّ ليتابع الاهداف التالية :

- ١ - التعرف بين الاعضاء.
 - ٢ - منحهم احكام العضوية.
 - ٣ - بيان الحكمة والهدف من انشاء المجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام وتكاليفه وما قام به حتى اليوم، وبرامجه الآتية.
 - ٤ - بيان التكاليف وما ينتظر من أعضاء الجمعية العامة.
 - ٥ - محاولة الانسجام والاعداد والاستعداد من مختلف الجمعيات والافراد.
- وللمشاركة في هذا الاجتماع دعي إليه جميع الاعضاء الايرانيين وغير الايرانيين المقيمين في الجمهورية الاسلامية في ايران. وبالإضافة إلى أعضاء الجمعية العامة كان قد دعي إليه ممثلو المجمع في خارج البلاد، والاعضاء أمناء الصندوق والمعاونون والمستشارون، والامين العام وبعض المسؤولين التنفيذيين مما كان يزيد في بهاء المجلس وأبهرته.

ولا بد أن نقول إن الحضور النشط والمثمر من قبل المدعويين بما فيهم ممثلو سماحة

السيد القائد والعلماء والباحثون والجامعيون والتجار المعتمدون والمدراء التنفيذيون - وفيهم من كان قد جاء إلى هذه الجلسة من البلدان البعيدة - كان فوق مستوى التوقع والتصور.

البرامج :

بدأت الجلسة في الساعة التاسعة صباحاً بتلاوة آيات من الذكر الحكيم ثم مدائح للإمام أمير المؤمنين عليه السلام، ثم رَحَّبَ آية الله الشيخ الاميني رئيس المجلس الاعلى للمجمع بالمشاركين في الحضور، ثم عدَّد أهداف تأسيس المجمع والدور البناء للجمعية العامة في تحقيق تلك الاهداف. ثم شرح كيفية اختيار الاعضاء في الجمعية العامة ومقاييس اختيارهم.

ثم كان حجة الاسلام والمسلمين الشيخ المعزّي المتكلّم الثاني في الجلسة، حيث ذكر بنتائج المؤتمر الاول العالمي لأهل البيت، ثم قدّم إلى الحضور الكرام مجموعة في ١٤ مجلداً من التقارير عن المؤتمر، ودعاهم إلى الاستفادة من نتائج الاعمال الدؤوبة للذين قاموا بتدوين تلك النتائج للمؤتمر.

وبعد استراحة قصيرة بدأ الحديث حجة الاسلام والمسلمين الشيخ التسخيري الامين العام للمجمع فرفع إلى الحضور الكرام تقريراً موثقاً عن الماضي والحاضر للمجمع العالمي لأهل البيت. وفي مقطع من خطابه تعرّض للبرامج المستقبلية للمجمع، ووصف التحضير للمؤتمر الثاني - الذي سينعقد فيما بعد - بأنه أهم أعمال المجمع. فشرح الاهداف العامة لذلك المؤتمر، وطلب إلى الاعضاء الكرام أن يقوموا بدور نشط في جلساته في المستقبل.

وكان القسم الختامي للبرنامج الصباحي : حوار على مدار ساعة بين الحضور مع هيئة رئاسة الجلسة (آية الله الاميني وآية الله الحكيم، الرئيس ونائب رئيس المجلس الاعلى

للمجمع، وحجة الاسلام والمسلمين التسخيري الامين العام). وفي هذا الحوار الودّي، لخصت في البداية مجموعة الكلمات المطروحة في الجلسة، ثم تليت أسئلة المشاركين الكرام وأجيب عليها. وفي الختام ذكر ما تبقى من مطالب لازمة. وكانت إقامة صلاتي الظهر والعصر بإمامة آية الله السيد مرتضى العسكري مسك الختام للجلسة الصباحية.

وتركت الجلسة بعد الظهر لممثلي المجمع في خارج البلاد كي يصفوا للحضور مشاهداتهم وطروحاتهم لحماية المسلمين في مناطق تمثيلهم، فتقدم ممثلو المجمع في شرقي إفريقيا وغربها والهند وأمريكا اللاتينية ولبنان، بالتقارير - كل على التوالي - عن آخر الأوضاع لأتباع أهل البيت عليهم السلام في مناطقهم، وتحدثوا عن حاجاتهم وعن المساعدات التي هي في إمكان المجمع.

وكانت بعض الكلمات باعثة على تفاعل الحضور بحيث أدّى تذكير رئيس الجلسة للمتكلّم بشأن رعاية الوقت المحدد له إلى ردّة فعل من الحضور الكرام. واختتمت الجلسة التمهيدية للجلسة الاولى للجمعية العامة بنصف ساعة قبل الغروب تقريباً بالدعاء لتعجيل الفرج بظهور ولي العصر والزمان عجل الله فرجه، وطلب الرحمة لروح الامام الخميني قدس سره الشريف، وبالدعاء لدوام الصحة والتوفيقات الإلهية لولي أمر المسلمين آية الله الخامنّي دام ظلّه، وبالدعاء لانتصار أفكار أهل البيت عليهم السلام وثقافتهم على جميع الفرق والاديان.

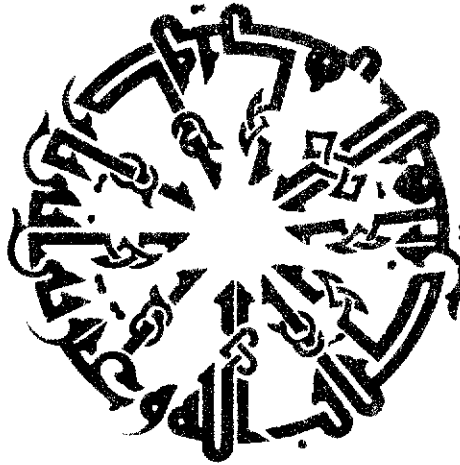
ثم زار الضيوف معرض الكتب والكراريس المنشورة في المجمع، ومعرض الصور عن مختلف المراسيم المقامة، وقُدّمت إليهم كراريس يقفون بها على جزئيات أخبار المجمع بصورة كاملة، ويسدّون بذلك نقص الوقت في برنامج الجلسة.

وفي أثناء إقامة الجلسة قُدّمت أحكام العضوية في الجمعية العامة للمجمع إلى الاعضاء الذين اطلّعوا طوال السنة الماضية على ترشيحهم وأعلنوا استعدادهم لذلك.

ومن أفضل النتائج الحاصلة للجلسة ما تمّ خلالها من لقاءات مثمرة بين المشاركين فيها.

وعلى أيّ حال، فقد رأى المقيمون لهذا الاجتماع المقدّس أن ثماره كانت في المستوى اللائق به، وأن ما تحقق فيه كان باتجاه الاهداف المقررة له، بل كان الحاصل عنه أكثر من المؤمل منه، والحمد لله رب العالمين.

أمانة الجمعية العامة للمجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام.





سَيِّدُ الْإِسْلَامِ الشَّيْخُ مُحَمَّدٌ الْمُؤَمِّنُ

المقصود بعقد الاستصناع : أن يجبي طالب إلى صاحب صناعة ويستملك منه
عدداً مما يصنعه، فيقع العقد بينهما على أن يصنع له العدد المتوافق عليه
بشمن!

(١) ولا بأس بملاحظة الأقوال الواردة حول الاستصناع:

قال الشيخ الطوسي قدس سره في «الخلاف»: استصناع الخفاف والنعال والأواني من الخشب والصفر
والرصاص والحديد لا يجوز، وبه قال الشافعي، وقال أبو حنيفة: يجوز، لأن الناس قد اتفقوا على ذلك. دليلنا
على بطلانه: أنا أجمعنا على أنه لا يجب تسليمها، وأنه بالخيار بين التسليم ورد الثمن، والمشتري لا يلزمه
قبضه، فلو كان العقد صحيحاً لما جاز ذلك. ولأن ذلك مجهول غير معلوم بالمعاينة ولا موصوف بالصفة، فيجب
المنع عنه (الخلاف ٣: ٢١٥).

وقال أيضاً في «المبسوط»: واستصناع الخف والنعل والأواني من خشب أو صفر أو حديد أو رصاص لا
يجوز، فإن فعل لم يصح العقد، وكان بالخيار إن شاء سلّمه وإن شاء منعه، فإن سلّمه كان المستصنع بالخيار إن
شاء ردّه وإن شاء قبله (المبسوط ٢: ١٩٤).

وللشافعي في كتابه «الأم» عبارة ربما يستظهر منها أنه قائل بصحة عقد الاستصناع قال ما لفظه: «ولو شرط
أن يعمل له طستاً من نحاس وحديد أو نحاس ورصاص لم يجز، لأنهما لا يخلطان فيعرف قدر كل واحد منهما،
وليس هذا كالصبيغ في الثوب لأن الصبيغ في ثوبه زينة لا يغيّره أن تضبط صفته، وهذا زيادة في نفس الشيء
المصنوع قال: وهكذا كل ما استصنع (الأم ٣: ١٣١). فان دليله على عدم الجواز إنما هو الجهل بمقدار كل من
جزئي المصنوع فيكون المبيع فاقداً لصفة المعلوماتية، ولازمه أنه إذا كان قدر كل منهما معلوماً كان الاستصناع في
الطست جائزاً وحينئذ فيكون «هكذا كل ما استصنع» كما قال.

وقال السرخسي في مبسوطه: قال: يعني محمد بن الحسن الشيباني صاحب المختصر -: «إذا استصنع
الرجل عند الرجل خفين أو قلنسوة أو طستاً أو كوزاً أو آنية من أواني النحاس، فالقياس أن لا يجوز ذلك لأن
المستصنع فيه مبيع وهو معدوم، ويبيع المعدوم لا يجوز، لئله صلى الله عليه وسلم عن بيع ما ليس عند الإنسان،
ثم هذا في حكم بيع العين، ولو كان موجوداً غير مملوك للعائد لم يجز بيعه فكذلك إذا كان معدوماً بل أولى».

ويتصور له صور: فإن ما يتوافقان عليه تارة أمر شخصي، وأخرى كلي، كما أنه قد يقع عقد تمليك جزمي بينهما، وقد لا يكون بينهما سوى تعهد الصنعة والعرض من جانب وتعهد الاشتراء من جانب آخر.

جهات البحث عن الاستصناع

الجهة الأولى: اتساع دائرة الاستصناع

ان الاستصناع وإن كان في الماضي منحصراً في مثل استصناع الخف والكوز

ولكننا نقول: نحن تركنا القياس، لتعامل الناس في ذلك فإنهم تعاملوه من لدن رسول الله صلى الله عليه وآله يومنا هذا من غير نكير منكراً، وتعامل الناس من غير نكير أصل من الأصول لقوله صلى الله عليه وآله: «ما رآه المسلمون حسناً فهو عند الله حسن». وقال صلى الله عليه وسلم: «لا تجتمع أمتي على ضلالة» وهو نظير دخول الحمام بأجر فإنه جائز لتعامل الناس وإن كان مقدار المكث فيه وما يصب من الماء مجهولاً. وكذلك شرب الماء شرب الماء من السقا بفلس... وفي الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم استصنع خاتماً. واستصنع المنبر فإذا ثبت هذا بترك كل قياس في مقابلته (المبسوط، كتاب البيوع ١٢: ٩-١٣٨).

وقال أيضاً: «وإذا عمله الصانع فقبل أن يراه المستصنع باعه بجوز يبعه من غيره» لأن المقدّم يتعين في هذا بعد، ولكن إذا أحضره ورآه المستصنع فهو بالخيار لأنه اشترى ما لم يره. وقال صلى الله عليه وسلم: من اشترى شيئاً لم يره فهو بالخيار إذا رآه. وعن أبي يوسف قال: إذا جاء به كما وصفه له فلا خيار للمستصنع استحساناً لدفع الضرر عن الصانع في افساد أديمه وآلانه فربما لا يرغب غيره في شرائه على تلك الصفة (المبسوط، كتاب البيوع: ١٢-١٣٩).

وفيه قال: «فان ضرب لذلك أجلاً وكانت تلك الصناعة معروفة فهو سَلَمٌ». في قول أبي حنيفة تعتبر فيه شرائط السَلَم من قبض رأس المال في المجلس ولا خيار فيه لرَبِّ السَلَم إذا أحضره المسلم إليه، وهو عند أبي يوسف ومحمد - رحمهما الله تعالى - استصناع على حاله لأنه بدون ذكر الأجل عقد جائز غير لازم، فبذكر الأجل فيه لا يصير لازماً كمقدد الشركة والمضاربة، وهذا لأن ذكر الأجل ييسر فيه وتأخير المطالبة فلا يتغير به العقد من جنس إلى جنس آخر ولو كان الاستصناع بذكر الأجل فيه يصير سَلَمًا لصار السَلَم بحذف الأجل منه استصناعاً، ولو كان هذا سَلَمًا لكان سَلَمًا فاسداً، لأنه شرط فيه صنعة صانع بعينه وذلك مفسد للسَلَم، وأبو حنيفة يقول: هذا مبيع دين والمبيع الدين لا يكون إلا سَلَمًا كما لو ذكر لفظة السَلَم «انتهى ما أردنا نقله» (المبسوط، كتاب البيوع ١٢: ٤٠-١٣٩).

وقال في كتاب الاجارات - في باب كل الرجل يستصنع الشيء - قال - يعني الشيباني -: «إعلم بأن البيوع أنواع أربعة: بيع عين بشئ، وبيع دين في الذمة بشئ وهو السَلَم، وبيع عمل العين فيه تبع، وهو الاستئجار للصباغة ونحوها، فالمعقود عليه الوصف الذي يحدث في المحل بعمل العامل والعين هو الصيغ يبيع فيه، وبيع عين شرط فيه العمل وهو الاستصناع فالمستصنع فيه مبيع عين» ولهذا ثبت فيه خيار الرؤية والعمل مشروط فيه وهذا لأن هذا النوع من العمل اختص باسم فلا بد من اختصاصه بمعنى يقتضيه ذلك الاسم والاستصناع استفعال من الصنع فعرّفنا أن العمل مشروط فيه. (المبسوط ١٥: ٨٤).

والقلنسوة لعدم اتساع يد الصنعة آنذاك، إلا أنه في أمثال زماننا قد اتسع نطاقه وشاع وتعارف الإقدام عليه في استصناع الآلاف من الأواني المتنوعة والمفروشات والسجادات وغير ذلك مما يستصنعه التجار الكبار والشركات الكبرى من ذوي المكاثر والمصانع. وعليه بناء التجارات والاستيرادات في اقطار العالم، نعم كما يتحقق في هذا المصداق الكثير العدد كذلك يتحقق في قالب التوصية ببناء السفن الحربية الكبرى، فهي سفينة واحدة كما كانت هناك قلنسوة واحدة.

الجهة الثانية: هل الاستصناع عقد برأسه؟

هل الاستصناع عقد ومعاملة برأسه بمعنى أنه كما أن البيع معاملة في مقابل الاجارة، وكلاهما معاملتان في مقابل المزارعة والمضاربة، وجميعها معاملات وعقود في مقابل الهبة والنكاح، وكل منها لها عنوانها الخاص بها، فكذلك عقد الاستصناع عقد ومعاملة في قبال كل من هذه العقود والمعاملات؟ هذا ما يظهر من بعض المعاصرين، كما أن لازم قول أبي حنيفة «بانه سَلَم» أنه من أقسام البيع، وهو صريح عبارة الشيباني في «كتاب الاجارات» حيث عدّه من أقسام البيع وجعله «بيع عين شرط فيه العمل» وهو الظاهر من ذكره له في كتاب البيوع.

والتحقيق أن الاستصناع تعبير عن خصوصية هذا القسم من المعاملة عند العقلاء ودون أن يكون بيعاً في كل موارد أو عقداً غير البيع كذلك، بل هو بيع في بعض ضروبه، وعقد عقلائي في بعض ضروبه الأخر، ومواعدة في ثالث.

صور الاستصناع:

توضيحه: أن الاستصناع في وجوده المتعارف بين الناس خارجاً يتحقق في إحدى

صور ثلاث:

الصورة الاولى من الاستصناع :

فتارة نلاحظ أنه بعد وقوع المقاولات اللازمة بين الطرفين يقع بينهما عقد تمليك يملك فيه الصانع عدداً مما سيصنعه للمستصنع، في قبال قيمته، ويتملكه المستصنع كذلك، بحيث لا يكون في انشائهما لملكية المستصنع لما يستصنعه حالة منتظرة مستقبلية، بل لا يبقى إلا الوفاء بما وقع عليه اتفاقهما، فهذا القسم من الاستصناع - وهو القسم الشائع - بيع بلا إشكال، فإنه لا معنى ولا حقيقة للبيع عند المخاطبين بالخطابات الشرعية - المشتملة على مادة البيع كتاباً أو سنة - إلا تمليك شيء من قبيل الأعيان بعوض من طرف وقبوله وتملكه كذلك من الطرف الآخر.

ولافرق بين هذا البيع الذي عبرنا عنه بالاستصناع وسائر افراد البيوع إلا أن المبيع لم يصنع بعد وشرط المشتري على البائع أن يصنعه ويسلمه، وانضمام هذا الشرط لا يوجب خروج العقد عما هو حقيقته، أعني عن كونه بيعاً، فإن البيع حقيقة واسعة لا يشترط فيها أن تخلو عن مثل هذا الاشتراط. فبعد وقوع العقد بينهما كذلك فليس أمر العقد يبدننا لنعدّه في أي أنواع المعاملات شتاء، بل هذه الحقيقة المعبرة عنها بمبادلة عين بمال ليست إلا بيعاً لا غير، وحينئذ فتجري عليها أحكام البيع ويشترط فيها شرائطه. وسيأتي إن شاء الله تعالى البحث عنها.

الصورة الثانية من الاستصناع :

أن يقع بينهما بعد تلك المقاولات قرار جزمي على أن يصنع الصانع عدداً يتوافقان عليه وعرضه للبيع وأن يشتريه المشتري، بعد أن يعرضه عليه فلا يقع بينهما تمليك وتملك فعلياً إلا أنه مع ذلك ليس مجرد وعد غير جازم، بل يقع بينهما بناء جزمي على أن يعمل كل منهما عملاً في قبال الآخر، فعمل الصانع هو صنع العدد المتوافق عليه وعرضه للبيع، وعمل المستصنع هو الاقدام على شرائه بقيمته، فقد ربطا هذين الوعدين

كلّا بالآخر وعقدا بينهما لكنه لم يشتمل بعد على مبادلة المالكين ولا على تملك وتملك. فهذا القسم من الاستصناع لا يصدق عليه معنى البيع ولا ينطبق عليه مفهومه، فلا يمكن أن تعمّه أدلة الأحكام المترتبة على عنوان البيع لكي تدل على أنه محكوم بحكم البيع ومشروط بشرائطه، إلّا أنه لا ينبغي الريب في أنه مصداق لمعنى العقد وينطبق عليه مفهومه، فإن العقد ليس إلّا الربط بين قرارين ويستلزم تعهداً من جانبين متقابلين على نحو مترابط ويفترق عن الإيقاع بأن الإيقاع إيجاد إنشائي من جانب واحد لم يربط ما أنشأه بقرار من ناحية طرف آخر، وإنما أوجد وأنشأ ما أنشأه بلا ربط إنشائي بين قراره وقرار آخر، وهذا بخلاف العقد فإن قوامه بالربط بين قرارين ومعاملة بينهما، فيكون هذا القسم من الاستصناع مصداقاً للعقد فتعمه أدلة أحكام العقود.

وهذا الذي ذكرناه في معنى العقد هو الذي تدل عليه كلمات علماء اللغة ومهرة الفن^١.

والناظر المتأمل في كلماتهم لا يبقى له أي شك في أن حقيقة العقد هي: إيجاد تلك

(١) ففي «المصباح المنير»: عقدت الحبل عقداً. من باب ضرب - فأنعقد. والعقدة ما يمسكه ويحبسه ويرتقه. ومنه قيل: عقدت البيع ونحوه.

وفي «أقرب الموارد»: عقد الحبل والبيع والعهد واليمين ونحوها... عقداً: أحكمه وشده. وهو نفيض حله. والخيط ونحوه: جعل فيه عقدة وجمع بين أطرافه.

ونقل في «فروق اللغات» للجزائري: العقد والعهد قيل: الفرق بينهما أن العقد فيه معنى الاستيثاق والشّد ولا يكون إلا بين متعاقدين، والعهد قد ينفرد به الواحد فيبينهما عموم وخصوص.

وفي «مفردات» الراغب: العقد: الجمع بين أطراف الشيء ويستعمل ذلك في الأجسام الصلبة كعقد الحبل وعقد البناء، ثم يستعار ذلك للمعاني نحو عقد البيع والعهد وغيرهما.

وفي «التبيان» - للشيخ الطوسي -: العقود جمع عقد، وأصله عقد الشيء بغيره وهو وصله به كما يعقد الحبل إذا وصل به شيئاً، يقال منه: عقد فلان بينه وبين فلان عقداً فهو يعقده. (التبيان ٣: ٤١٤).

وفي تفسير «مجمع البيان» للشيخ الطبرسي: العقود جمع عقد بمعنى معقود، وهو أوكد المهود. والفرق بين العقد والمهد: أن العقد فيه معنى الاستيثاق والشّد ولا يكون إلا بين متعاقدين، والعهد قد ينفرد به الواحد، فكل عقد عهد ولا يكون كل عهد عقداً. وأصله: عقد الشيء بغيره، وهو: وصله به كما يعقد الحبل. (مجمع البيان ٣: ١٥١).

وفي تفسير «الكشاف»: العقد: العهد الموثق، شبه بعقد الحبل ونحوه. (الكشاف ١: ٦٠٠).

العقدة التي توجد في مثل الحبل، وأن اطلاقه على العقد في باب المعاملات الاعتبارية بملاحظة وقوع ربط بين قرارين وعهدين وحلفين، فكل ما كان فيه ربط قرار بقرار آخر وتمهد بتعهد آخر فهو مصداق للعقد مشمول للعقود.

وبالجملة فلا ريب في أن هذا القرار الواقع بينهما بالجزم على أن يصنع الصانع ما طلبه المستصنع ويعرضه للبيع منه وأن يشتريه المستصنع بعد العرض عليه، لا ريب في أنه عقد، إلا أنه مع ذلك ليس بيعاً - كما عرفت - ولا عقداً آخر ذا عنوان خاص مثل البيع والاجارة والمضاربة وغيرها كما هو واضح. وليس لأحد أن يقول ان له عنواناً خاصاً وهو الاستصناع؛ وذلك لأن الاستصناع يعم ذلك القسم الأول الذي قد عرفت انطباق عنوان البيع عليه، فلا محالة يكون الاستصناع عنواناً انتزاعياً كلياً عن أكثر من نوع واحد من العقود، لا يحكي عن نوع واحد منها، نظير نفس عنوان العقد والعهد والمبادلة.

الصورة الثالثة من الاستصناع :

بعد جميع تلك المقاولات يقع بينهما مجرد مواعدة غير جازمة بان يقول المستصنع : اصنع هذا العدد من المتاع كذا لعلني اشتريه منك. ويقبله الصانع. أو يقول الصانع : راجعني بعد شهر مثلاً لعلني اصنع هذا العدد من المتاع واعرضه عليك لتشتريه. ونحو ذلك. فمن المعلوم الواضح أن هذه المواعدة ليست بيعاً ولا عقداً، إذ لم يرتبط فيها قرار بقرار ولم يشدّ فيها ولم يستوثق عهد بعهد، ومع ذلك فهي أيضاً قسم آخر من الاستصناع.

فالحاصل : أن عدّ الاستصناع عقداً برأسه غير صحيح، كما أن عدّه مطلقاً من مصاديق البيع غير متين، بل هو عنوان انتزاعي ينتزع من بعض اقسام البيع تارة، ومن قسم خاص من العقود ثانية، وعن مجرد مواعدة خاصة ثالثة، بتفصيل لاحظناه.

الجهة الثالثة : حكم الاستصناع

لما لم يكن الاستصناع حقيقة واحدة في جميع موارده بل كانت له صور ثلاث،
حقيقته في كل منها غيرها في الأخرى، فلا بد من البحث عن حكمه في كل من صورهِ
مستقلاً فنقول :

حكم الصورة الأولى من الاستصناع :

أما صورته الأولى : التي يقع عقد تمليك جزمي بينهما بثمن، فبعد ما كانت مصداق
البيع فلا محالة يشترط فيها كلما جعله الشارع شرطاً في البيع بعنوانه، سواء كان في
العوضين أو في المتعاقدين، كما يترتب عليها كل ما يكون البيع محكوماً به من أقسام
الخيار وغيره، وهو واضح.

وحينئذ فلا محالة تكون صحتها مشروطة بأن يكون ثمن المعاملة وزمان تسليم
المتاع ومقدار المتاع بأوصافه معلومة، فإن الجهل بكل منها يوجب بطلان البيع وعدم
ترتب الآثار المقصودة منه.

كما أنه قد عُرِفَ أن الاستصناع قد يكون على شيء معين شخصي، وقد يكون على
أمر كلي، ففي هذه الصورة إن كان المستصنع أمراً شخصياً كأن استصنع سفينة كبيرة
صنع الصانع بعضها ولمّا يتم أمر صنعها، فملكها لمن استصنعها بثمن معلوم على سفينة
كاملة، فالظاهر أن حقيقة استصناعها أن يشتري المستصنع هذا الموجود منها ويشترط
على صانعها أن يتم صنعها، فالمبيع هذا الموجود بشرط أن يكملها. ونحوه ما إذا اشترى
سجادة تنسج باليد قبل أن يتم نسجها واشترط على ناسجها تكميل نسجها، فالمبيع هذا
المنسوج وقد اشترط على ناسجها تكميل النسج، فيمكن حينئذ اشتراط تكميل الصنع
والنسج بمادة شخصية معينة، كما يمكن اشتراط تكميلها بما يراه الصانع والناسج بعد أن
كانت الخصوصيات معلومة تخرج به عن الجهالة الموجبة لبطلان البيع.

وإن كان المستصنع أمراً كلياً، فحيث إن المفروض اشتراط الصنع وهو يحتاج إلى مضي مدة، فلا محالة يكون تسليم المتاع بعد زمان لاحق، والبيع الذي يكون تسليم متاعه في زمان متأخر هو بيع السلف والسلم لا غير، فلا بد في صحته أن يراعى فيه جميع ما نشترطه في بيع السلم، من تسليم كل الثمن أو بعضه في مجلس العقد وغير ذلك من الشرائط المقررة في بيع السلم.

لكن حيث أن المتعارف من هذه الصورة هو أن يدفع كل الثمن بعد مضي زمن عن وقوع العقد أو يدفع مقدراً منه نقداً، ويبقى الاكثر منه ليدفعه بعد مضي فترة من الزمان وقد يكون بعد تسليم المتاع، فلا بأس بالبحث عن اعتبار قبض الثمن نقداً واشتراطه في صحة بيع السلم والسلف فنقول :

شرطية قبض الثمن نقداً في صحة السلم :

قال الشيخ في «الخلاف» : من شرط صحة السلم قبض رأس المال قبل التفرق، وبه قال أبو حنيفة، والشافعي. وقال مالك : إن تفرقا قبل القبض من غير أن يكون تأخير القبض شرطاً كان جائزاً وإن لم يقبضه أبداً، وإن كانا شرطاً تأخير القبض، فإن كان ذلك اليوم واليومين جاز، وإن كان أكثر من ذلك لم يجز. دليلنا أنا أجمعنا على أنه متى قبض الثمن صح العقد، ولم يدل دليل على صحته قبل قبض الثمن، فوجب اعتبار ما قلناه^١.
وقد فسر في «المبسوط» بيع السلم واعتبر في مفهومه تسليم الثمن فقال : «السلم هو أن يسلف عوضاً حاضراً أو في حكم الحاضر في عوض موصوف في الذمة إلى أجل معلوم»..
ومع ذلك فقد قال في شرائطه أيضاً : «جملة شرائط السلم ثمانية».. إلى أن قال : «السابع : قبض رأس المال في المجلس»^٢.

وقال أبو المكارم ابن زهرة في «الغنية» : وأما السلم فشرائطه الزائدة التي تخصه

أربعة: ذكر الأجل المعلوم، وذكر موضع التسليم، وأن يكون رأس المال مشاهداً، وأن يقبض في مجلس العقد، بدليل الاجماع من الطائفة^١.

وقال العلامة في كتابه «المختلف»: مسألة: المشهور أن قبض الثمن في المجلس شرط في السَّلَم، ذهب اليه الشيخ وابن أبي عقيل وغيرهما. وقال ابن الجنيّد: ولا أختار أن يتأخر الثمن الذي به بيع السَّلَم أكثر من ثلاثة أيام. وهو يدل بمضمونه على جواز تأخر الاقباض، لأن الأصل بقاء الملك على بايعه... ولأنه يصير بيع دين بدين وقد سبق بطلانه^٢.

وفي «المسالك» عند التعليق على عبارة «الشرايع» عند عداد شرائط السَّلَم: «الشرط الثالث: قبض رأس المال قبل التفرق شرط في صحة العقد» - قال: هذا هو المشهور بل اجماع - وظاهر ابن الجنيّد جواز تأخير القبض ثلاثة أيام، وهو متروك. وعن العلامة في «التذكرة»: فلا يجوز التفرقة قبله، فإن تفارقا قبل القبض بطل السَّلَم عند علمائنا أجمع^٣.

وقال في «كشف الرموز»: شرط الشيخ رحمه الله في كتب الفروع في السَّلَف قبض رأس المال قبل التفرق، وعليه أتباعه، وما أعرف فيه مخالفاً إلا صاحب «البشرى» فإنه توقف فيه مطالباً بالدليل، وانعقد العمل على اشتراطه^٤.

وقد أفتى باشتراط قبض رأس المال قبل التفرق في صحة السَّلَم ابن حمزة في «الوسيلة»، والمحقق في «الشرايع» و«المختصر النافع» وابن ادريس في «السرائر» والعلامة في «الارشاد» وغيره، وغيرهم حتى قال صاحب «الرياض»: «والأصل في شرطيته في صحة السَّلَم اجماع في الظاهر المحكي عن «الغنية» وعن «التذكرة» صريحاً، خلافاً للاسكافي فجوز التأخير إلى ثلاثة أيام وفي «المهذب البارع» و«الدروس» و«المسالك»

(١) الجوامع الفقهية: ٥٨٩.

(٣) المسالك ١: ١٧٠.

(٢) مختلف الشيعة، الفصل التاسع من كتاب التجارة.

(٤) كشف الرموز ١: ٥٢٤.

انه متروك^١. وحتى قال في «الجواهر» - بعد نقل الاجماع عن «الغنية» و«المسالك» - : فلو افترقا قبله - يعني قبل القبض - بطل عند علمائنا أجمع، وهو الحجة فيه بعد شهادة التتبع وانحصار الخلاف في المحكي من قول أبي علي : لا أختار تأخير قبضه أكثر من ثلاثة أيام... نعم عن صاحب «البشرى» التوقف فيه كصاحب «الحدائق» معللاً له في الأخير بعدم النص^٢.

وفي كتاب «الفقه على المذاهب الاربعة» للجزيري ما حاصله : اشتراط القبض قبل التفرق في صحة السَلَم عن أبي حنيفة، والشافعي، وأحمد. والتفصيل بما نقلناه عن خلاف الشيخ عن مالك^٣.

فالحاصل : أن اشتراط صحة السَلَم بقبض الثمن في مجلس البيع مشهور عند الامامية بل ادعي عليه اجماعهم ولم ينقل فيه خلاف إلا عن ابن الجنيّد - فاجاز التأخير الى ثلاثة أيام - نعم توقف فيه صاحب «البشرى» وصاحب «الحدائق» وأما المذاهب الاربعة فثلاثة منها أيضاً تشترط القبض في مجلس البيع ومالك جوز التأخير لا الى أمد إذا لم يشترط في العقد، والى خصوص يوم ويومين إذا اشترطه.

واما الدليل على هذا الاشتراط : فقد استدل عليه الشيخ في «الخلاف» والعلامة في «المختلف» - على ما عرفت - بأنه مقتضى الاصل وهو استحباب بقاء الملك على ملك مالكة إذا لم يكن حائزاً لهذا الشرط. لكن المعلوم أن الاصل لا يصح الاستناد اليه بعد شمول اطلاق ﴿أحل الله البيع﴾ وعموم ﴿أوفوا بالعقود﴾ لبيع يكون فيه الثمن والمثمن كلاهما مؤجلين، ومع وجود الاطلاق والعموم لا مجال لجريان الاصل اصلاً.

ويمكن الاستدلال له بوجه آخر : أحدها ما يظهر من اخبار مستفيضة معتبرة من أن المتبادر من عنوان بيع السَلَم والسَلَف عند العرف والمشرعة هو أن يسلم الثمن الى

البائع. ففي صحيحة الحلبي وسليمان بن خالد عن أبي عبد الله عليه السلام قال : سئل عن الرجل يسلم في الغنم ثنيان وجذعان وغير ذلك الى اجل مسمى ؟ قال : لا بأس إن لم يقدر الذي عليه الغنم على جميع ما عليه أن يأخذ صاحب الغنم نصفها أو ثلثها أو ثلثيها ويأخذ رأس مال ما بقي من الغنم دراهم. «الحديث»^١. بيان الدلالة : أن المذكور في السؤال ليس الا ايقاع السِّلَم في الغنم، فافاد عليه السلام في الجواب : أنه يجوز للمشتري المسلم أن يأخذ بعض الغنم ويأخذ رأس مال ما بقي منها. وفيه دلالة واضحة على أن حقيقة السِّلَم متقومة باعطاء جميع الثمن الذي عبّر عنه برأس المال، حتى يلزمه إذا أخذ بعض الغنم أن يأخذ ما بقي من رأس ماله.

وفي وثيقة عبد الله بن بكير قال : سألت أبا عبد الله عليه السلام عن رجل أسلف في شيء يسلف الناس فيه من الثمار فذهب زمانها «ثمأرها، في التهذيب» ولم يستوف سلفه، قال : فليأخذ رأس ماله أو لينظره^٢ وهي في الدلالة كسابقها بل أوضح منها، فانه لم يفرض في السؤال أزيد من ايقاع بيع السِّلَف وعدم امكان الوفاء به، فحكم عليه السلام في الجواب بانه يأخذ المشتري حينئذ رأس ماله. فقد دلّت بوضوح على أن ايقاع بيع السِّلَف يلزمه أداء ثمنه حتى أنه لو لم يمكن تسليم المبيع يرجع المشتري ويسترد الثمن.

وفي صحيحة اخرى للحلبي عن ابي عبد الله عليه السلام قال : لا بأس بالسِّلَم في الحيوان إذا سميت الذي تسلم فيه فوصفته، فان وفيته، وآلا فانت أحق بدراهمك^٣ وكيفية دالتهما يعلم مما ذكرناه ذيل ما سبقتها.

الى غير ذلك من الاخبار، بل لا يبعد أن يقال : إن المتبادر في اللغة من بيع السِّلَم أو السِّلَف هو ذلك، ولذلك قالوا : إن الانشاء يمكن أن يكون بإيجاب المشتري، بأن يقول :

(١) الكافي ٥ : ٢٢١. التهذيب ٧ : ٣٢. الوسائل، الباب ١١ من ابواب السِّلَم، الحديث ١، ١٣ : ٦٨.

(٢) التهذيب ٧ : ٣١. الوسائل الباب ١١ من ابواب السِّلَم، الحديث ١٤، ١٣ : ٧٢.

(٣) التهذيب ٧ : ٤١. الوسائل، الباب ١١ من ابواب السِّلَم، الحديث ١٧، ١٣ : ٧٣.

أسلفتك أو أسلمتك هذه الدراهم في عروض يوفيهما بعد مدة كذا، فيقول البايع: قبلت، فانه لا معنى لقوله: «أسلمتك هذا المال في هذا الشيء» إلا أنه يسلم المال ويعطيه البايع، كما لا معنى لقوله: أسلفتك هذا المال في كذا، إلا أنه يعطي هذا المال سلفاً ومقدماً على حضور زمان تسليم المبيع، فعنوان الاسلام والاسلاف المأخوذ من السَلَم والسَلَف لا مجال لتصوير مفهومه إلا أن يكون المفروض تسليم الثمن والمال واسلافه واعطائه قبل مجيء زمن لزوم الوفاء من البايع بهذا البيع. ومنه تعرف قوة ما نقله في «الجواهر» بقوله: «بل قد يقال باعتبار تسليم الثمن في حقيقة السَلَم وأنه بدونه منتف حقيقه السَلَم»^١.

والتحقيق: أن غاية ما يستفاد من اللغة والعرف ومن مثل تلك الاخبار المذكورة لا تزيد على أن: قوام حقيقة عنوان السَلَم والسَلَف إنما هو باعطاء الثمن كله في المجلس، وأنه لا معنى للاسلاف في عروض إلا اعطاء ثمنه، فلا محالة يكون قوامه باقباض الثمن وقبضه نقداً. لكنه لا يقتضي إلا أن عنوان السَلَم لا يصدق على ما كان الثمن والمثمن مؤجلين، وأما أن حقيقة البيع والعقد اللازم منحصر في السَلَم فلا، بل كما أن بيع النقد وبيع النسيئة أيضاً بيع، لا يصدق عليهما عنوان السَلَم، وهذا لا يوجب بطلانهما وخروجهما عن اطلاق البيع وعموم العقود، فهكذا الامر في ما كنا فيه فالباع الذي يكون العوضان فيه مؤجلين ليس من السَلَم والسَلَف لكنه مشمول لاطلاق ﴿أحل الله البيع﴾ وعموم ﴿أوفوا بالعقود﴾ فكان اللازم صحته كما لا يخفى.

ثانيها: أن يقال: حيث أن المثنى فيه مؤجل وكلّي على ذمة البايع، فلو كان كل الثمن أو مقدار منه أيضاً كلياً على ذمة المشتري يصير من بيع الدين بالدين الذي قد ورد النهي عنه، فقد روي بطريق صحيح عن طلحة بن زيد - وكتابه من الاصول المعتمدة - عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «لا يباع الدين

بالدين^١ وهو ظاهر بين في بطلان بيع الدين بالدين، وقد عرفت أن العلامة «قده» في كتابه «المختلف» استدلل لاعتبار القبض في المجلس به أيضاً.

ويناقش بأن ظهور الرواية في بطلان بيع الدين بالدين لا ينكر إلا أنها ظاهرة أيضاً في وقوع مبادلة البيع على ما كان ديناً بنفسه، ومع قطع النظر عن البيع، كأن يكون لزيد مثلاً على ذمة أحد وزن من الحنطة ولعمرو على ذمة آخر دراهم فيبعا الحنطة بالدراهم، فهذا بيع الدين بالدين ومشمول للنهي الوارد عن الرسول صلى الله عليه وآله، وأما في المقام فالمفروض أنه ليس واحد من المتعاملين مديناً لصاحبه قبل العقد ومع قطع النظر عنه، فلا يقع البيع على الدين بالدين بل إنه إذا وقع البيع وتم صار كل منهما مديوناً لصاحبه فليس هو من بيع الدين بالدين.

وهذا الذي قلناه هو الوجه لما افتى به شيخ الطائفة قدس سره في «النهاية» فقال : «لابأس أن يبيع الإنسان ماله على غيره من الديون نقداً، ويكره أن يبيع الإنسان ذلك نسيئة، ولا يجوز بيعه بدين آخر مثله»^٢ فترى مع أنه قدس سره منع عن بيع الدين بدين آخر مثله فقد افتى بجواز بيع الدين نسيئة، ففيه دلالة واضحة على أنه لا يرى بيع الدين نسيئة مصداقاً لبيع الدين بالدين، والظاهر أن وجهه ما ذكرناه من أن المفهوم العرفي من بيع الدين بالدين أن يكون العوضان قبل وقوع البيع عليهما ديناً، فلا يعم ما إذا كانت المعاملة سبباً لاشتغال الذمة بشيء وصيرورته ديناً عليها، فما في «السرائر» من حمل هذه الفتوى من الشيخ قدس سره على أنها مجرد نقل خبر واحد بلفظه : لا يعمل به ولا تعتقد صحته، ولذلك فليس مناقضاً لقوله بعدم جواز الدين بدين آخر مثله^٣، ينشأ عن عدم الوصول إلى مغزى كلامه قدس سره.

ثالثها : أنه من بيع الكالئ بالكالئ الذي ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله النهي عنه.

(١) الكافي ٥ : ١٠٠، التهذيب ٦ : ١٨٩، الوسائل، الباب ٨ من ابواب السلف، الحديث ٣، ١٣ : ٦٤.

(٢) النهاية، كتاب الديون والكفالات : ٣١٠. (٣) السرائر ٢ : ٥٥، باب بيع الديون والأرزاق.

فقد ورد في «مستدرک الوسائل» عن «دعائم الاسلام» عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه «نهى عن الكالي بالكالي وهو بيع الدين بالدين» قال : وذلك مثل أن يسلم الرجل في الطعام الى وقت معلوم فاذا حضر الوقت لم يجد الذي عليه الطعام طعاما فيشتريه من الذي هو عليه بدين الى أجل آخر، فهذا دين انقلب الى دين آخر^١ والظاهر أن تفسير بيع الدين بالدين من الراوي وإن احتمل أنه من النبي صلى الله عليه وآله.

وروى الحافظ البيهقي في «السنن الكبرى» بأسانيد عن موسى بن عبيدة أبي عبد العزيز الربذي تارة عن نافع عن ابن عمر : «أن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن بيع الكالي بالكالي» وفي بعض هذه الأسانيد أن نافعاً قال : «وذلك بيع الدين بالدين» وأخرى عن عبد الله بن دينار عن ابن عمر قال : «نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن كالي بكالي الدين بالدين» وفي بعض هذه الأسانيد : «قال أبو عبيدة : يقال هو النسيئة بالنسيئة» مهموز^٢ فيحتمل في خبر عبد الله بن دينار أن يكون تعبير «الدين بالدين» جزءاً من الرواية وهو الظاهر من نفس اللفظ، كما يحتمل فيه أن يكون تفسيراً عن بعض الرواة، كما فسره نافع به، وكما نقل أبو عبيدة أنه يقال : «هو النسيئة بالنسيئة» ويؤيد الاحتمال الثاني أنه روي عن ابن دينار عن ابن عمر بلا زيادة عبارة «الدين بالدين» والله العالم.

وهذا الحديث لم ينقل عن طريق الامامية بطريق معتبر وإنما نقل قوله : صلى الله عليه وآله : «لا يباع الدين بالدين» كما عرفت لكنه من الروايات المشهورة حتى ان ابن ادريس ذكره - ومن المعلوم أنه لا يعمل بالخبر الواحد - في سرائره بحيث ربما يظهر منه الاستناد اليه حيث قال : فأما إن كان (يعني الدين) حالاً فلا يجوز بيعه بدين آخر لا ممن هو عليه ولا من غيره بغير خلاف أيضاً، ونهى النبي عليه السلام عن بيع الكالي بالكالي وهو بيع الدين بالدين، ثم ذكر في شرحه مثل ما مر عن دعائم الاسلام^٣. وقال الفقيه المتبحر

(١) المستدرک، الباب ١٥ من ابواب الدين والقرض، ١٣ : ٤٠٥.

(٢) سنن البيهقي، كتاب البيوع، باب ما جاء في نهى عن بيع الدين بالدين ٥ : ٢٩٠.

(٣) السرائر ٢ : ٥٥ باب بيع الديون والارزاق.

صاحب الجواهر قدس سره في كتابه الثمين : «والمنع من بيع الكالائي بالكالائي وان لم يكن موجودا من طرقنا وإنما هو من طرق أهل السنة، ولكن قد عمل به الاصحاب» .

مفهوم الكالائي:

وأما مفهوم الكالائي فالمستفاد من كلمات العلماء في تفسيره وجهان :
أحدهما أنه مأخوذ من «الكلأ» بمعنى الحفظ والمراقبة، فالكالائي إمّا بمعنى المراقب يطلق على الشخص الدائن بلحاظ أنه يراقب صاحبه المدين له لكي يطالبه ويستعطيّه دينه. وإما اسم فاعل بمعنى المفعول كما في «الماء الدافق» فيطلق على نفس الدين بملاحظة أنه أمر يراقب عليه لكي يُستعطي، فسره به الفقيه الأديب السعيد الشهيد الثاني في «المسالك» في أوّل بحث النقد والنسيئة فقال : واعلم ان البيع بالنسيئة الى تعجيل الثمن والمثمن وتأخيرهما والتفريق أربعة أقسام : فالأول بيع النقد، والثاني بيع الكالائي بالكالائي، ومع حلول المثمن وتأجيل الثمن هو النسيئة، وبالعكس هو السلف، وكلّها صحيحة عدا الثاني، فقد ورد النهي عنه في الاخبار، وهو بالهمز بيع النسيئة بالنسيئة على ما فسره جماعة من أهل اللغة اسم فاعل من المراقبة - كأن كل واحد من المتبايعين يكلاًصاحبه أي يراقبه لاجل ماله الذي في ذمته وفيه حينئذ اضممار اي بيع مال الكالائي بمال الكالائي - أو اسم مفعول كالدافق فلا إضممار.

ونحوه السيد صاحب الرياض في شرحه الكبير على «المختصر النافع» .
والراغب في مفرداته جعله من هذا الاصل والمعنى من غير تفسير فقال : «الكلاءة حفظ الشيء وتبقيته وعبر عن النسيئة بالكالائي، وروي أنه عليه الصلاة والسلام : نهى عن الكالائي بالكالائي» .

فعلى هذا التفسير وان وقع في كلامهم أنه بيع النسيئة بالنسيئة إلا أنّ لقائل أن يمنع

صدق الكالبي حقيقة وبلا تجوز، إلا بعد أن تشتغل ذمة الانسان ويصير مديناً فانه حينئذ يكون الدائن مراقبا له ودينه مراقبا فلا محالة يساوق بيع الكالبي بالكالبي بيع الدين بالدين، كما ورد تفسيره به في كلمات كلا الفريقين بل قد عرفت قوة احتمال أن يكون تفسيراً من النبي صلى الله عليه وآله، وعليه فيكون الكلام فيه هو الكلام في قوله صلى الله عليه وآله: «لا يباع الدين بالدين»، وقد مرّ عدم دلالة على أزيد من المنع عن بيع ما كان ديناً وعلى الذمة قبل انشاء البيع بمثله.

الوجه الثاني: أن يقال أن لمادة «كلأ» معنى آخر غير الحفظ والمراقبة وهو التأخر، فالكالبي هو المتأخر، ففي «المصباح المنير»: كلأ الدين يكلأ- مهموز بفتح الحين أيضا -: تأخر فهو كالبي بالهمز، ويجوز تخفيفه فيصير مثل القاضي. وقال الاصمعي: هو مثل القاضي ولا يجوز همزه، ونهى عن بيع الكالبي بالكالبي أي بيع النسيئة بالنسيئة، قال ابو عبيدة: صورته أن يسلم الرجل الدراهم في طعام الى أجل فاذا حلّ الاجل يقول الذي عليه الطعام: ليس عندي طعام ولكن يعني إياه الى أجل فهذه نسيئة انقلبت الى نسيئة فلو قبض الطعام ثم باعه منه او من غيره لم يكن كالتأ بالكالبي «انتهى» وقريب منه «النهاية» لابن الاثير.

وعلى هذا التفسير فلا يبعد دعوى صدقه على كل كلي بني على تأخير أدائه، فان قوام المفهوم بعنوان التأخر، وإذا بني على تأخير الأداء صدق على المبيع أو الثمن أنه أمر متأخر، فهو شيء كالبي يباع بالكالبي مثله. ولا يتوقف على صدق عنوان الدين الذي قوامه باشتغال الذمة به، لكن حيث أنه لا دليل على تعيين التفسير الثاني بل إرادة المعنى الاول منه محتملة جداً، وهو مقتضى تفسيره ببيع الدين بالدين الواقع في كلمات المشايخ والعلماء الكرام، فلا حجة شرعية على إرادة هذا المعنى العام. ولعله لهذا أو لعدم ثبوت اعتبار سنده عند شيخ الطائفة فدرس سره قد افتى في مبسوطه بمجرد كراهة بيع الدين نسيئة كما مرّ نقل فتواه.

رابعها: أن يستدل بقيام اجماع الطائفة عليه كما ادعاه صاحب «الغنية» و«المسالك»

مِنْ فِقْهِ مَدِينَةِ أَهْلِ الْبَيْتِ

بل «التذكرة» واستند اليه صاحب «الرياض» و«الجواهر» على ما عرفت. إلا أن كشف رأي المعصوم عليه السلام منه هنا مشكل، لاحتمال استناد المجمعين الى بعض الوجوه المتقدمة فلا قيمة للاجماع المدعى، أكثر من تلك الوجوه التي عرفت حالها. فبعد ذلك كله لو قيل بصحة بيع كلّي بكليّ كانا مؤجلين لكان كلاما موافقا للقواعد. والله العالم بحقايق احكامه.

هذا كله في ما إذا وقع بين الصانع والمستصنع تملك جزمي وهو الصورة الاولى.

حكم الصورة الثانية من الاستصناع :

وأما صورته الثانية أعني ما إذا وقع منهما قرار جزمي بان يصنع هذا مقداراً من المتاع المطلوب ويعرضه على المستصنع وأن يشتري المستصنع ذاك المتاع بعد عرضه عليه، فقد عرفت أنه مصداق عنوان العقد وحينئذ فالحق أنه يعمّه قوله تبارك وتعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ ﴾^١ ويدلّ على لزومه ووجوب الوفاء به على كلا الطرفين حتى أنه يجب على الصانع صنع المقدار المتوافق عليه وعرضه على المستصنع، كما يجب على المستصنع أن يشتريه بقيمته العادلة على ما توافقا عليه فلو لم يف واحد منهما بما التزم به وتعاقد فيجبره الحاكم الشرعي ويلزمه بالعمل بعقده والوفاء بالتزامه، كما في سائر موارد العقود والالتزامات.

وقد يعترض على ما قلناه بأن الآية المباركة ناظرة الى العقود المتعارفة التي كانت معهودة زمن نزولها، ولا تعم هذه المعاملات الحادثة في امثال زماننا المشحون بهذه الاختراعات الحادثة والعقود الجديدة.

لكننا نقول :

أولاً: إن ظاهر الآية المباركة في متفاهم العقلاء أن حيثية العقد والقرار المؤكد بينهما هي الموجبة للحكم عليه بوجوب الوفاء، ولذلك فيعم كل ما كان واجداً لهذه الحيثية. وبعبارة أخرى: لا ريب في أن العقلاء يرون العقد بما أنه عقد وقرار مؤكد بين طرفين موضوعاً تاماً لوجوب الوفاء به، فحيثية العقد عندهم هي تمام الملاك للحكم بالصحة ووجوب الوفاء، ولا فرق عندهم في هذا الحكم بين ما كان معهوداً عند السابقين وما حدث بينهم من عقود جديدة، كعقد التأمين، فجميعها بما أنها عقد يجب الوفاء به وترتيب الاثر المقصود عليه، وهذا امر مرتكز عندهم، فاذا ورد عليهم من الشارع الحكيم قوله تعالى: ﴿أوفوا بالعقود﴾ لا يفهمون منه إلا أن الله تعالى أيضاً قد أمضى ما عندهم من العقود وأن كل عقد بما أنه عقد يكون صحيحاً يترتب عليه الاثر المطلوب في الشرع أيضاً، فلا يشذ عن عمومه عقد دون عقد. اللهم الا بدليل يوجب الاستثناء.

وثانياً: إن أصل الاستصناع ليس أمراً حادثاً في مثل زماننا بل كما يعلم من المتون القديمة - كالآم والخلاف - كان أصله معهوداً في الأزمنة السالفة أيضاً والاعتبار أيضاً يشهد بقدمته، غاية الأمر أن المستصنع آنذاك كان مثل الخف والكوزة والقلنسوة مما يصنع في عدد غير كثير ويبد الصانع، وفي زماننا يكون أمثال الاواني الزجاجية وغيرها المصنوعة بالمصانع الحديثة بالملايين. وكما أن بيع الكثير منها بيع مشمول لدالة صحة البيع ولمثل قوله تعالى: ﴿أحل الله البيع﴾^١ فهكذا يكون استصناعها بهذه الصورة الثانية أيضاً مشمولاً لدليل صحة الاستصناع وقوله تعالى: ﴿أوفوا بالعقود﴾.

وهناك اشكال آخر لا بد من الالتفات اليه وهو: أن مقتضى عموم الآية المباركة وان كان صحة الاستصناع في صورته الثانية أيضاً إلا أن هنا اخباراً خاصة صحيحة الاسناد قد وردت عن أئمة أهل بيت الوحي عليهم السلام تدل على أن المعاقدة على اشتراء متاع لا تصح شرعاً إلا إذا كان كل من متعاقدتيها بخيار من أمرهما، فكان صاحب المتاع بعد

مِنْ فِقْهِ مَذْهَبِ سَيِّدِ أَهْلِ الْبَيْتِ

الحصول على المتاع مختاراً في أن يبيعه من معاقده وأن لا يبيعه، وكان صاحب الثمن وطالب المتاع مختاراً في أن يشتري المتاع منه وأن لا يشتريه، فايقاع عقد يكون في مقتضاه تعهد جزمي من كل منهما بالصنع وعرض المتاع للبيع من جانب، وبالاقتراء بعد العرض من جانب آخر. خلاف هذه الاخبار ومحكوم بالفساد والبطلان. واليك نماذج من هذه الاخبار :

ففي صحيحة معاوية بن عمار التي رواها ثقة الاسلام الكليني في «الكافي» والشيخ الصدوق في «كتاب من لا يحضره الفقيه» وشيخ الطائفة في «التهذيب» قال : قلت لأبي عبد الله عليه السلام : «الرجل يجيئني يطلب المتاع الحرير وليس عندي منه شيء، فيقولني وأقوله في الربح والأجل حتى نجتمع على شيء، ثم أذهب فاشتري له الحرير فأدعوه إليه؟ فقال : أرايت إن وجد بيعاً هو أحب إليه مما عندك أيسطيع أن ينصرف إليه ويدعك؟ أو وجدت أنت ذلك أيسطيع أن تنصرف عنه وتدعه؟ قلت : نعم. قال : لا بأس^١.

وفي صحيحة عبد الرحمن بن الحجاج قال : قلت لأبي عبد الله عليه السلام : الرجل يجيئني يطلب المتاع فأقوله على الربح ثم أشتريه فأبيعه منه؟ فقال : أليس إن شاء أخذ وإن شاء ترك؟ قلت : بلى. قال : فلا بأس. قلت : فإن من عندنا يفسده؟ قال : ولم؟ قلت : قد باع ما ليس عنده. قال : فما يقول في السلم (أليس) قد باع صاحبه ما ليس عنده؟ قلت : بلى. قال : فأنما صلح من أجل أنهم يسمونه سَلَمًا؟! إنَّ أباي كان يقول : لا بأس ببيع كل متاع كنت تجده في الوقت الذي بعته فيه^٢ إلى غير ذلك من روايات كثيرة معتبرة الاستناد واضحة الدلالة. فان تعليق الحكم بصحة المعاملة وتفريعه على كون كل من البائع والمشتري مختارين في العمل بما تقاولا عليه وتركه - في الصحيحة الاولى - وعلى كون المشتري مختاراً في الاخذ والترك - في الثانية - فيه دلالة واضحة على أنه لو كان

(١) الكافي ٥ : ٢٠٠، الحديث ٥، التهذيب ٧ : ٥٠، الحديث ٢١٩، الفقيه ٣ : ١٧٩، الوسائل ١٢ : ٣٧٧، الحديث ٧.

(٢) الكافي ٥ : ٢٠٠، الحديث ٤، وسائل الشيعة ١٢ : ٣٧٤، الحديث ٣.

مِنْ فِقْهِ مَذْهَبِ سَيِّدِ أَهْلِ الْبَيْتِ

كلاهما أو واحد منهما ملزماً بالعمل بما قاله وتعاقده صاحبه فالعقد بينهما باطل، وهو خلاف ما استفدناه من عموم قوله تعالى: ﴿أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾ فلا بد من تخصيص هذا العموم بناء على صحة تخصيص الكتاب بالخبر المعتبر السند.

وتعليقاً على هذا الاشكال نقول: ان هذا الذي ذكره وان امكن سبق الذهن اليه بدواً إلا أن ملاحظة عدة أخرى من هذه الاخبار تهدي الى أن المقصود الاصيل من سؤال وجود الخيرة المذكورة هو الاطمينان بعدم تحقق انشاء البيع بينهما الذي لازمه عرفاً وشرعاً سلب هذه الخيرة عنهما، فالمقصود منها هو أنه إن لم يُنشأ عقد البيع بينهما وأُخِّرَ إنشاؤه الى ما بعد أن يشتريه فالمقاولة والقرار لا باس به، وإلا فهو بيع باطل، لأنه من قبيل بيع ما ليس يملكه.

ففي صحيحة منصور بن حازم عن ابي عبد الله عليه السلام: في رجل أمر رجلاً أن يشتري له متاعاً فيشتريه منه؟ قال: لا باس بذلك إنما البيع بعدما يشتريه^١ فان مورد كلام الامام عليه السلام ولعله مورد السؤال ايضاً - وإن صرح فيه بأنه يشتريه بعدما اشتراه من أمره به إلا أنه عليه السلام في مقام الجواب لم يكتف بمجرد قوله: «لا باس بذلك» حتى بينه وعلمه بقوله «إنما البيع بعدما يشتريه» يعني أن ملاك الصيغة هو أن إنشاء البيع والمعاقدة البيعية إنما يكون بعدما اشتراه وصار مالكا، فلا يكون من بيع ما ليس يملكه.

وفي صحيحة محمد بن مسلم عن أبي جعفر محمد بن علي الباقر عليه السلام قال: سألت عن: رجل أتاه رجل فقال: ابتع لي متاعاً لعلني اشتريه منك بنقد أو بنسيئة، فابتاعه الرجل من اجله؟ قال: ليس به بأس إنما يشتريه منه بعدما يملكه^٢ وبيان دلالتها على ما مر يعلم مما ذكرناه ذيل الصحيحة الاولى، وهي اظهر، من حيث التنصيص فيها بقوله: «إنما يشتريه منه بعدما يملكه» فقد بدّل قوله «بعدما يشتريه» بقوله هنا «بعدما يملكه» وفي

(١) التهذيب ٧: ٥٠، الحديث ٢١٨. الرسائل ١٢: ٣٧٧، الحديث ٦.

(٢) التهذيب ٧: ٥١، الحديث ٢٢٠. الرسائل ١٢: ٣٧٧، الحديث ٨.

مِنْ فِقْهِ مَدِينَةِ أَهْلِ الْبَيْتِ

هذا التبديل دلالة واضحة على أن الاشتراء انما اعتبر لمكان أنه سبب حصول الملك وأن العمدة وقوع البيع والشراء قبل الملك أو بعده.

وفي خبر يحيى بن الحجاج قال : سألت أبا عبد الله عليه السلام : عن رجل قال لي : اشتر هذا الثوب وهذه الدابة بعينها اربحك كذا وكذا؟ قال : لا بأس بذلك اشتريها ولا تواجهه البيع قبل أن تستوجبها أو تشتريها^١ وكيفية دلالتها واضحة لا حاجة معها إلى البيان.

وبالجملة فانضمام هذه الاحاديث الثلاثة إلى غيرها مما أو مانا اليه وذكرنا البعض منه، يعطي أن نظر جميع هذه الاحاديث إلى الحظر عن بيع الشيء قبل ان يملكه، وهو محظور خاص بمورد السؤال، وأما الموضوع المبحوث عنه هنا فالمفروض فيه هو عدم تحقق انشاء منهما إلا على القرار الجازم بالإقدام بالصنع والعرض للبيع من طرف والاقدام بالاشتراء من الطرف الآخر، فهو عقد آخر ليس مقتضاه سوى مجرد العمل بالعقد، أعني الاقدام على البيع والاشتراء بعدما صنعه الصانع، فليس هنا ايضا بيع الشيء قبل أن يملكه ولا أي محذور آخر.

فعموم ﴿أوفوا بالعقود﴾ محكم والعمل به لازم. والله العالم، هذا كله في الصورة الثانية.

حكم الصورة الثالثة من الاستصناع :

وأما صورته الثالثة : فهي أن لا يكون بينهما أزيد من مجرد مواعدة على البيع والاشتراء أو مواعدة غير مؤكدة بل مشوبة بعدم الاطمينان، بأن يقول المستصنع : اصنع لي هذا الشيء - او الاشياء - لعلّي اشتريه منك. أو يقول الصانع : اني اصنع هذه الاشياء لعلك تشتريها مني، وامثال ذلك. ولا ريب أن القرار المنعقد بينهما ليس أزيد من مواعدة

(١) الكافي ٥ : ١٩٨، الحديث ٦. التهذيب ٧ : ٥٨، الحديث ٢٥٠. الوسائل ١٢ : ٣٧٨، الحديث ١٣.

غير مشوبة قد نص فيها بعدم الجزم على العمل، ولا دليل شرعي يوجب التعبد بأكثر مما توافقا عليه، ولا تؤثر هذه المواعدة في حق واحد منهما الزاما : فإن شاء صنع وعرضه للبيع، وإن شاء لم يصنع، أو لم يعرض. والمستصنع إن شاء اشتراه بعد الصنع وإن شاء فلا.

خلاصة البحث :

الاستصناع أن يجيء طالب إلى صاحب صنعة فيطلب منه أن يصنع له عدداً مما يصنعه، فيقع بينهما عقد وقرار على ذلك. والاستصناع بيع عند أبي حنيفة، وهو الظاهر من كلمات آخرين.

والحق أن للاستصناع أقساماً ثلاثة : فتارة : يكون في قالب التملك والتملك الجزمين من دون حالة منتظرة. وأخرى : في قالب عقد وقرار جزمي بينهما على أن يصنعه الصانع ويبيعه بعد الصنعة من المستصنع. وثالثة : في قالب مواعدة غير جزمية بأن يقول : اصنع لي كذا لعلني أشتريه منك. أو يقول الصانع : استخبرني بعد شهر مثلاً لعلني كنت قد صنعت ما تريد فأبيعه منك.

فالقسم الأول : ينطبق عليه مفهوم البيع، فلا محالة يشترط فيه جميع شرائط صحة البيع، كشروط العقد أو العوضين أو المتعاقدين، فلو كان المبيع المستصنع أمراً جزئياً مثل استصناع سفينة شخصية قد صنع بعضها، فمآله إلى بيع أمر موجود يشترط فيه ضم أجزاء آخر إليه، وهو بيع صحيح إذا كانت الخصوصيات معلومة كأن اشترط تنميم صنعها بمادة مضبوطة معلومة الأوصاف، كما أنه لو كان أمراً كلياً فلا محالة يكون مصداق بيع السلم - على المشهور - فيشترط فيه جميع الشرائط اللازمة في ذلك البيع. ومن جملة الشرائط هو قبض الثمن قبل التفرق عن مجلس العقد، وقد قال به الامامية إلا القليل منهم، وهو قول أبي حنيفة والشافعي وأحمد، وفصل فيه مالك، ويمكن الاستدلال له

مَنْ فُقِدَ مَدْرَسَةُ أَهْلِ الْبَيْتِ ﷺ

بأخذه في مفهوم السِّلَف والسَّلَم، ويقول صلى الله عليه وآله «لا يباع الدين بالدين» وبأنه صلى الله عليه وآله «نهى عن بيع الكالئ بالكالئ».

لكن التحقيق أنه - وإن لم يصدق عليه عنوان السَّلَم إلا إذا أعطى الثمن قبل التفرق - لكن ذلك لا يوجب بطلان هذه الصورة بعد صدق عنوان البيع عليها، وإطلاق قوله تعالى: ﴿أَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ﴾. كما أن الظاهر من قوله: «لا يباع الدين بالدين» أن موضوعه ما كان ديناً قبل البيع فلا يعم ما نحن فيه مما يصير ديناً بعد البيع. وقد فُسِّر الكالئ - في بعض التفاسير - بما ينطبق على مفهوم الدين، فلا يصح الاستدلال به أيضاً للبطلان. فالقواعد تقتضي صحته بيعاً وإن لم يعط الثمن كله لا في مجلس العقد ولا قبل التفرق عنه.

وأما القسم الثاني: أعني ما إذا وقع بينهما عقد وقرار جزمي على أن يصنعه الصانع وبيعه بعد الصنعة من المستصنع، فهو ليس بيعاً، للتصريح فيه بأن البيع ينشأ بعد الصنع، لكنه مصداق قطعي للعقد فيعمه عموم قوله تعالى ﴿أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾ ولم يقم دليل على تخصيصه، وعليه فيجب على كل من المتعاقدين الوفاء بما عقد عليه والتزم به.

وأما القسم الثالث: الذي ليس فيه سوى مجرد مواعدة من الطرفين من دون التزام من واحد منهما بشيء، فلا ريب في أن القرار المنعقد بينهما مشوب بعدم الاطمينان قد نص فيه على عدم الجزم على العمل من أي من الطرفين، ولا دليل شرعي على الزامهما أو أحدهما بأكثر مما توافقا عليه، فليس بيعاً ولا مشمولاً لمثل ﴿أَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ﴾، كما أنه ليس مشمولاً لعموم ﴿أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾ فلا تؤثر هذه المواعدة في حق كل منهما إلزاماً، فإن شاء الصانع صنعه وعرضه للبيع، وإن شاء لم يصنع أو لم يعرضه على المشتري، كما أن المشتري أيضاً بعدما عرضه عليه بالخيار فإن شاء اشترى وإن شاء لم يشتري.

والله العالم بحقايق أحكامه.

العدل

العدل

إِعْدَادُ هَيْئَةِ التَّجَرُّزِ

قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾^١.

١- عن الرسول الأمين صلى الله عليه وآله: «أول من يدخل النار أمير متسلط لم يعدل، وذو ثروة من المال لم يعط المال حقه، وفقير فخور»^٢.

٢- وعن أبي هريرة وعبد الله بن عباس قالا: خطبنا رسول الله صلى الله عليه وآله قبل وفاته وهي آخر خطبة خطبها بالمدينة حتى لحق بالله عز وجل... فقام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام فقال: بأبي أنت وأمي يا رسول الله، ما منزلة أمير جائر معتد لم يصلح لرعيته ولم يقم فيهم بأمر الله تعالى؟ قال: «هو رابع أربعة من أشد الناس عذاباً يوم القيامة: إبليس، وفرعون، وقاتل النفس، ورابعهم الأمير الجائر»^٣.

٣- وعن علي عليه السلام: «أحسن العدل إعانة المظلوم»^٤.

٤- وعن علي عليه السلام: «جعل الله العدل قواماً للأنام، وتنزيهاً من المظالم والآثام، وتسنية للإسلام»^٥.

٥- وعن الامام موسى الكاظم عليه السلام في قوله تعالى: ﴿اعلموا أن الله يحيي الارض

(٢) البحار ٧٥ : ٣٤٠
(٤) غرر الحكم - للآمدني.

(١) النحل : ٩٠
(٣) البحار ٧٦ : ٣٦٧
(٥) غرر الحكم - للآمدني.

بعد موتها» «ليس يحييها بالقطر، ولكن يبعث الله رجالاً فيحيون العدل فتحيي الأرض، لإحياء العدل، ولإقامة العدل فيه أنفع في الأرض من القطر أربعين صباحاً»^١.

٦- وعن علي عليه السلام : «إذا أدت الرعية إلى الوالي حقه، وأدّى الوالي إليها حقّها عزّ الحقّ بينهم، وقامت مناهج الدين، واعتدلت معالم العدل، وجرت على أذلالها السنن، فصلح بذلك الزمان، وطُمع في بقاء الدولة، ويشتت مطامع الأعداء. وإذا غلبت الرعية واليهما، أو أجحف الوالي برعيته، اختلفت هنالك الكلمة، وظهرت معالم الجور...»^٢.

٧- وعن الإمام الباقر عليه السلام : «كان علي عليه السلام يقول : إنّما هو الرضى والسخط، وإنما عقر الناقة رجل واحد فلما رضوا أصابهم العذاب، فإذا ظهر إمام عدل فمن رضى بحكمه وأعانه على عدله فهو وليّه، وإذا ظهر إمام جور فمن رضى بحكمه وأعانه على جوره فهو وليّه»^٣.

٨- ومن كلام لأمير المؤمنين عليه السلام فيما ردّه على المسلمين من قطائع عثمان : «والله لو وجدته قد تزوّج بالنساء وملك به الإمام لرددته، فإن في العدل سعة، ومن ضاق عليه العدل فالجور عليه أضيق»^٤.

٩- وعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : «من عامل الناس فلم يظلمهم، وحذّتهم فلم يكذبهم، ووعدهم فلم يخلفهم، فهو ممّن كملت مروّته، وظهرت عدالته، ووجبت أخوّته، وحرمت غيبته»^٥.

(٢) نهج البلاغة : الخطبة ٢١٦.

(٤) نهج البلاغة : الخطبة ١٥.

(١) تفسير نور الثقلين ٤ : ١٧٣.

(٣) بحار الأنوار ٧٥ : ٣٧٧.

(٥) البحار ٧٠ : ١.

الظلم

- ١- عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: «ليس شيء أَدْعَى إلى تغيير نعمة الله وتعجيل نقمته من إقامة على ظلم، فإن الله سميع دعوة المضطهدين، وهو للظالمين بالمرصاد»^١.
- ٢- وعنه عليه السلام: «ينام الرجل على الشكل ولا ينام على الظلم»^٢.
- ٣- وعنه عليه السلام: «احذر الحيف والجور، فإن الحيف يدعو إلى السيف، والجور يعود بالجلاء، ويعجل العقوبة والانتقام»^٣.
- ٤- وعن علي عليه السلام: «ظلم الضعيف أفحش الظلم»^٤.
- ٥- وعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «يقول الله عز وجل: وعزتي وجلالي لأنتقم من الظالم في عاجله وآجله، ولأنتقم من رأى مظلوماً فقدر أن ينصره فلم ينصره»^٥.
- ٦- وعن علي عليه السلام: «إذا حدثتك القدرة على ظلم الناس فاذكر قدرة الله سبحانه على عقوبتك، وذهب ما أتيت إليهم عنهم، وبقاه عليك»^٦.
- ٧- وعنه عليه السلام: «أجور الناس من عدّ جوره عدلاً منه»^٧.
- ٨- وعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «للظالم ثلاث علامات: يقهر من دونه بالغلبة، ومن فوقه بالمعصية، ويظاهر الظلّة»^٨.

(٢) غرر الحكم - للآمدي.

(٤) نهج البلاغة: الكتاب ٣١.

(٦) غرر الحكم - للآمدي.

(٨) البحار ٧٧: ٦٤.

(١) نهج البلاغة: الكتاب ٥٣.

(٣) نهج البلاغة: الحكمة ٤٧٦.

(٥) كنز العمال: ج ٧٤١.

(٧) غرر الحكم - للآمدي.

مِنْ عَزِّكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ

٩ - ومن وصية للإمام علي عليه السلام لولديه الحسن والحسين عليهما السلام : «كونا للظالم خصماً وللمظلوم عوناً»^١.

١٠ - وعن الإمام الباقر عليه السلام : «ما يأخذ المظلوم من دين الظالم أكثر مما يأخذ الظالم من دنيا المظلوم»^٢.

١١ - وعن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم : «الظلمة وأعوانهم في النار»^٣.

١٢ - وعنه صلى الله عليه وآله وسلم : «إذا كان يوم القيامة نادى مناد أين الظلمة وأعوانهم، من لاق لهم دواة، أو ربط كيساً، أو مدّ لهم مدّة قلم، فاحشروهم معهم»^٤.

١٣ - وعن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم : «من أعان ظالماً على ظلمه جاء يوم القيامة وعلى جبهته مكتوب : آيس من رحمة الله»^٥.

١٤ - وعن الإمام الصادق عليه السلام : «لولا أن بني أمية وجدوا من يكتب لهم، ويجبي لهم الفية، ويقاتل عنهم، ويشهد جماعتهم، لما سلبونا حقنا»^٦.

١٥ - وعن علي عليه السلام : «العامل بالظلم، والمعين عليه، والراضي به شركاء ثلاثة»^٧.

١٦ - وعن أبي يعفور قال : كنت عند أبي عبد الله عليه السلام إذ دخل عليه رجل من أصحابنا فقال له : أصلحك الله، إنه ربما أصاب الرجل منا الضيق أو الشدة فيدعنا إلى البناء يبنيه، أو النهر يكرهه، أو المسناة يصلحها، فما تقول في ذلك؟ فقال أبو عبد الله عليه السلام : «ما أحبّ أني عقدت لهم عقدة، أو وكيت لهم وكاء، وأن لي ما بين لابتيتها: لا ولا مدّة بقلم، إن أعوان الظلمة يوم القيامة في سرادق من نار، حتى يحكم الله بين العباد»^٨.

١٧ - وعن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم : «من مشى مع ظالم ليعينه وهو يعلم أنه ظالم

(١) نهج البلاغة : الكتاب ٤٧.

(٣) كنز العمال : خ ٧٥٨٩.

(٥) كنز العمال : خ ١٤٩٥٠.

(٧) البحار ٧٥ : ٣١٢.

(٢) البحار ٧٥ : ٣١١.

(٤) البحار ٧٥ : ٣٧٢.

(٦) فروع الكافي ٦ : ١٠٦.

(٨) فروع الكافي ٥ : ١٠٧.

فقد خرج عن الاسلام»^١.

١٨ - وعنه صلى الله عليه وآله وسلم : «من أعان ظالماً سلطه الله عليه»^٢.

١٩ - وعنه صلى الله عليه وآله وسلم : «اتقوا دعوة المظلوم وإن كان كافراً، فإنه ليس دونه حجاب»^٣.

٢٠ - وعن الامام الرضا عليه السلام : «من أعان ظالماً فهو ظالم، ومن خذل ظالماً فهو عادل»^٤.

٢١ - وعنه صلى الله عليه وآله وسلم : «من مشى مع ظالم فقد أجرم. يقول الله : ﴿إِنَّا مِنَ الْمَجْرَمِينَ مُتَقِمُونَ﴾»^٥.

٢٢ - وعنه عليه السلام : «من ظلم نفسه كان لغيره أظلم»^٦.

٢٣ - عن الامام الصادق عليه السلام في أدعية شهر رمضان : «اللهم اني استغفرك وأتوب إليك من كل ذنب تبت إليك منه ثم عدت فيه...فإني أتوب إليك منه، ومن سفك الدم...وأكل أموال اليتامى ظلماً...والاعتداء في الغضب، وركوب الحمية، وعضد الظالم...وظلم أحد من خلقك في أموالهم وأشعارهم وأعراضهم وأبشارهم...»^٧.

٢٤ - وفي دعاء الافتتاح المروي عن الامام الحجة عجل الله فرجه : «...الحمد لله الذي يؤمن الخائفين، وينجّي الصادقين، ويرفع المستضعفين، ويضع المستكبرين، ويهلك ملوكاً ويستخلف آخرين، والحمد لله قاصم الجبارين، مبير الظلمة، مدرك الهارين، نكال الظالمين، صريح المستصرخين...»^٨.

٢٥ - وعن الامام السجاد عليه السلام في أدعية الصحيفة : «اللهم إني أعوذ بك من هيجان

(١) المصدر : خ ٧٥٩٣.

(٢) البحار ٩٦ : ٢٢١.

(٣) غرر الحكم للأمدي.

(٤) مفاتيح الجنان : دعاء الافتتاح.

(٥) كنز العمال : خ ١٤٩٥٥.

(٦) المصدر : خ ٧٦٠٢.

(٧) كنز العمال : خ ١٤٩٥٣.

(٨) الصحيفة الصادقية : ١٢٦ - ١٢٧.

الحرص، وسورة الغضب... أو أن نعصد ظالماً، أو نخذل ملهوقاً^١.

٢٦- ومن دعائه عليه السلام إذا رأى من الظالمين ما لا يحب : «... يا من لا تخفى عليه أنباء المتظلمين، ويا من لا يحتاج في قصصهم إلى شهادات الشاهدين، ويا من قربت نصرته من المظلومين، ويا من بُعد عونه عن الظالمين... فصل على محمد وآله وخذ ظالمي وعدوي عن ظلمي بقوتك، وافلل حدّه عني بقدرتك... اللهم وصل على محمد وآله، ولا تسوّغ له ظلمي، وأحسن عليه عوني، واعصمني من مثل أفعاله، ولا تجعلني في مثل حاله... اللهم فكما كرهت إلي أن أظلم ففني من أن أظلم...»^٢.

٢٧- ومن دعائه عليه السلام في مكارم الاخلاق : «... اللهم فصل على محمد وآله وحلني بحلية الصالحين، وألبسني زينة المتقين، في بسط العدل، وكظم الغيظ، وإطفاء النائرة، وضّم أهل الفرقه...»^٣.

٢٨- وفيه عنه عليه السلام : «... اللهم صل على محمد وآل محمد، ولا أظلمن وأنت مطيق للدفع عني، ولا أظلمن وأنت القادر على القبض مني...»^٤.

٢٩- وفيه عنه عليه السلام : «... اللهم إني اعتذر إليك من مظلوم ظلم بحضرتي فلم أنصره...»^٥.

٣٠- ومن دعاء له عليه السلام : «بسم الله كلمة المعتصمين، ومقالة المتحرزين، وأعوذ بالله من جور الجائرين وكيد الحاسدين وبغي الظالمين...»^٦.

٣١- ومن دعاء له عليه السلام : «... بك استجير يا ذا العفو والرضوان من الظلم

(١) الصحيفة السجادية : دعاؤه في الاستعاذة من المكاره.

(٢) الصحيفة السجادية : دعاؤه إذا رأى من الظالمين ما لا يحب.

(٣) الصحيفة السجادية : دعاؤه في مكارم الاخلاق. (٤) الصحيفة السجادية : دعاؤه في مكارم الاخلاق.

(٥) المصدر. (٦) الصحيفة السجادية : دعاء يوم السبت.

مِنْ عُرْجِكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ

والعدوان...»^١

٣٢ - ومن دعاء له عليه السلام : «...اللهم وأيما عبد من عبيدك أو أمة من إمالك كانت له قبلي مظلمة ظلمتها إياه في نفسه، أو في ماله، أو في عرضه، أو في أهله وولده، أو غيبة اغتبت بها، أو تحامل عليه بميل أو هوى أو أنفة أو حمية أو رياء أو عصبية، شاهد أكان أو غائباً، وحيّاً كان ميتاً، فقصرت يدي وضاق وُسمي عن ردها إليه والتحلل منه فأسألك يا من يملك الحاجات وهي مستجيبة لأرادتك ومسرعة إلى مشيتك أن تصلي على محمد وآله وأن تقضيها عني...»^٢



(١) الصحيفة السجادية : دعاء يوم الأحد.

(٢) الصحيفة السجادية : دعاء يوم الاثنين.

السَّيِّدُ الْكَبِيرُ

السَّيِّدُ مُحَمَّدٌ هَادِيُ الْيُوسُفِيِّ الْفَرُوزِيِّ

من علماء القرن الرابع الهجري في بغداد. ذكره ابن النديم الذي كان معاصراً له في موضعين من فهرسته فقال: ابن المعلم أبو عبد الله محمد بن محمد بن النعمان، في عصرنا انتهت إليه رئاسة متكلمي الشيعة، مقدّم في صناعة الكلام على مذهب أصحابه، دقيق الفطنة، ماضي الخاطر، شاهدته فرأيتُه بارعاً، وله كتب^١. وانتقلت رئاسته هذه التي أشار إليها ابن النديم في «الفهرست» إلى أكبر تلامذته السيد الشريف المرتضى علي بن الحسين الموسوي العلوي (م ٤٣٦ هـ)، ثم إلى تلميذه الكبير الآخر الشيخ محمد بن الحسن بن علي الطوسي الخراساني (م ٤٦٠ هـ). وعلى غرار كتاب ابن النديم كتب الشيخ الطوسي كتاباً سَمَّاهُ «الفهرست» خصّه بكتب المذهب، وذكر فيه شيخه المفيد فقال: أبو عبد الله المعروف بابن المعلم، من أجلّة متكلمي الإمامية. انتهت إليه رئاسة الإمامية في وقته، وكان مقدّماً في العلم وصناعة الكلام، وكان فقيهاً متقدّماً فيه. حسن الخاطرة دقيق الفطنة حاضر الجواب. وله قريب من مائتي مصنّف كبار وصغار، وفهرست كتبه معروف.

ثم عدّ نحواً من عشرين كتاباً، ثم قال: سمعنا هذه الكتب كلها، بعضها قراءة عليه، وبعضها يقرأ عليه وهو يسمع، غير مرة. ولد سنة ثمان وثلاثين وثلاثمائة، وتوفّي لليلتين

(١) الفهرست، لابن النديم: ٢٥٢ و ٢٧٩، ط: مصر.

مِنْ أَعْلَامِ مَدْرَسَةِ أَهْلِ الْبَيْتِ

خَلَّتْنا مِنْ شَهْرِ رَمَضانِ سَنَةِ ثَلَاثِ عَشْرَةٍ وَأَرْبَعِمِائَةٍ، وَكانَ يَوْمَ وَفاته يَوْمًا لَمْ يُرَ أَعْظَمُ مِنْهُ مِنْ كَثْرَةِ النَّاسِ لِلصَّلَاةِ عَلَيْهِ، وَكَثْرَةِ الْبُكَاءِ مِنَ الْمَخالِفِ وَالْمُؤالِفِ.^١

وَتَلمِيزُهُ الْآخِرُ الشَّيْخُ أَبُو الْعِباسِ أَحْمَدُ بْنُ عَلِيِّ النُّجاشِيِّ الْأَسَدِيِّ الْكُوفِيِّ (م ٤٥٠هـ)، تَبَعَ الشَّيْخَ الطُّوسِيَّ فَصَنَّفَ كِتَابًا آخَرَ خَصَّهُ بِاسْمِ «فَهْرَسْتِ مَصَنَّفَاتِ الشَّيْعَةِ» وَاشْتَهَرَ بِهِ «رِجالُ النُّجاشِيِّ» ذَكَرَ فِيهِ شَيْخُهُ الْمَفِيدُ. وَلِغَايَةِ صَرِّحَ بِهَا فِي مَقَدِّمَةِ الْكِتابِ بَلَغَ بِنَسَبِ شَيْخِهِ الْمَفِيدِ إِلَى سَعِيدِ بْنِ جَبْرِ^٢، ثُمَّ إِلَى يَعْرُبِ بْنِ قُحْطانٍ ثُمَّ قالَ : شَيْخُنَا وَاسْتاذُنَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَضَّلَهُ اشْهَرَ مِنْ أَنْ يُوصَفَ فِي الْفِقْهِ وَالْكَلَامِ وَالرِّوَايَةِ وَالثِّقَةِ وَالْعِلْمِ. ثُمَّ عَدَّ لَهُ ١٧٤ كِتَابًا مِنْ كُتُبِهِ.

وَالْمَعْرُوفُ أَنَّ النُّجاشِيَّ شَرَعَ فِي كُتابِهِ بَعْدَ صُدُورِ «الْفَهْرَسْتِ» لِلطُّوسِيِّ، تَصْحيحًا لِمَا كانَ يَخْطِئُهُ فِيهِ. وَعَلَيْهِ فَقَدْ خالَفَهُ فِي تارِيخِ مَوْلِدِ الْمَفِيدِ وَوَفاته فَقالَ : كانَ مَوْلَدُهُ يَوْمَ الْحادِي عَشَرَ مِنْ ذِي الْقَعْدَةِ سَنَةِ سِتِّ وَثَلَاثِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ - وَقِيلَ : مَوْلَدُهُ سَنَةِ ثَمَانَ وَثَلَاثِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ - وَماتَ رَحِمَهُ اللَّهُ لَيْلَةَ الْجُمُعَةِ لثَلَاثِ لِيالٍ خَلَوْنَ مِنْ شَهْرِ رَمَضانِ سَنَةِ ثَلَاثِ عَشْرَةٍ وَأَرْبَعِمِائَةٍ. وَصَلَّى عَلَيْهِ الشَّرِيفُ الْمَرْتَضِيُّ أَبُو الْقاسِمِ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ بِمَعِيدانِ الْأَشْمانِ وَضاقَ عَلَى النَّاسِ مَعَ كِبَرِهِ، وَدُفِنَ فِي دارِهِ سَنِينَ، ثُمَّ نُقِلَ إِلَى مَقابِرِ قَرِيشَ بِالْقُرْبِ مِنَ السَّيِّدِ أَبِي جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ.^٣

كَيْفَ كانَ ابْنُ الْمَعْلَمِ مَفِيدًا؟

ذَكَرَهُ الشَّيْخُ الْفَقِيهَ أَبُو جَعْفَرٍ مُحَمَّدُ بْنُ مَنْصُورِ الْعَجَلِيِّ الْحَلِيِّ الشَّهِيرِ بِابْنِ

(١) الْفَهْرَسْتُ لِلطُّوسِيِّ : ١٨٦ و ١٨٧، ط : النُّجَفُ الْأَشْرَفُ، وَفِي طَبْعَةِ الْمُسْتَشْرِقِ اسْبِرَنْغَرِ فِي الْهِنْدِ، وَبِهِامُشُهُ كِتَابُ «نُضْدِ الْأَبْضاحِ» لِابْنِ الْفَيْضِ الْكاشَانِيِّ : ٣١٤ و ٣١٥.

(٢) سَعِيدُ بْنُ جَبْرِ هَذَا لَيْسَ التَّابِعِيُّ الشَّهِيرَ الَّذِي قَتَلَهُ الْحِجَاجُ بْنُ يَوْسَفَ الثَّقَفِيِّ وَالِي الْكُوفَةِ لَبْنِي أُمِيَّةَ، فَإِنَّهُ كانَ مَوْلَى بَنِي أُمِيَّةَ مِنْ بَنِي أَسَدٍ، كَمَا فِي طَبَقَاتِ ابْنِ سَعْدٍ ٦ : ١٧٨، وَالْمَعَارِفُ لِابْنِ قَتَيْبَةَ : ٤٤٦ ط : دارُ الْكِتَبِ.

(٣) رِجالُ النُّجاشِيِّ : ٣٩٩ - ٤٠٣ بِرَقْمِ ١٠٦٧، ط : جَماعَةُ الْمُدْرَسِينَ.

مِنْ أَعْلَامِ مَدْرَسَةِ أَهْلِ الْبَيْتِ

إدريس (م ٥٩٨ هـ) في كتابه «السرائر الحاوي لتحرير الفتاوي» في باب الزيادات وهو آخر أبواب الكتاب، ذكر فيه ما استطرفه من كتب المشايخ المصنفين، فذكر الشيخ المفيد فقال :

كان هذا الرجل كثير المحاسن، حديد الخاطر، جَمَّ الفضائل، غزير العلوم، وكان من أهل عكبري^١ من موضع يعرف بسويقة ابن البصري. وانحدر مع أبيه إلى بغداد، وبدأ بقراءة العلم على أبي عبد الله المعروف بالجَلِّ^٢ بدرب رباح. ثم قرأ من بعده على أبي ياسر غلام أبي الجيش بباب خراسان^٣.

قال : وكان (المفيد) يعرف ببغداد بابن المعلم.

فقال له أبو ياسر : لم لا تقرأ على علي بن عيسى الرَّمَّاني^٤ الكلام وتستفيد منه؟ فقال : ما أعرفه، ولا لي به أنس، فأرسل معي من يدلني عليه. وهنا ينتقل النص إلى النقل عن الشيخ المفيد..

قال : فأرسل معي من أوصلني إليه. فدخلت عليه والمجلس غاص بأهله، وقعدت حيث انتهى بي المجلس، فكلما خَفَّ الناس قربت منه. فدخل إليه داخل فقال : بالباب

(١) يضم فسكون ففتح فألف مقصورة أو ممدودة، من أعمال بغداد على عشرة فراسخ منها إلى ناحية الدجيل، كما في معجم البلدان ٤ : ١٤٢، ط : صادر.

(٢) هو أبو عبد الله الحسين بن علي الكاغذي البصري البغدادي المتوفى ٣٩٩ هـ تاريخ بغداد ٨ : ٧٣. (٣) أبو الجيش مظفر بن محمد بن أحمد البلخي المتكلم الشهير، ذكره النجاشي وترجم عليه، وعد له ثمانية كتب منها : التكت والأغراض في الإمامة، وكتاب نقض العثمانية على الجاحظ، وكتاب فذك. وقرأ على أبي سهيل النوبختي، وتوفي سنة سبع وستين وثلاثمائة. النجاشي : ٤٢٢.

وأما أبو ياسر غلام أبي الجيش فقد ذكره النجاشي أيضاً ولكنه سماء طاهراً، وقال : كان متكلماً، وعليه كان ابتداء قراءة شيخنا أبي عبد الله (المفيد). النجاشي : ٢٠٨، برقم ٥٥٢.

(٤) قال فيه أبو حيان التوحيدي (م ٤٠٠ هـ) : أما علي بن عيسى فعالي الرتبة في النحو واللغة والعروض، والمنطق والكلام، وعيب بالمنطق إلا أنه أظهر براعة فيه وأفرد صناعته. وقد عمل في القرآن كتاباً نفسياً. هذا مع الدين النخين والعقل الرزين. الامتاع والمؤانسة ١ : ١٣٣، ط : مصر. وتوفي الرماني ٣٨٥ هـ.

وفي كتاب : الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري ١ : ٢٢٥، طبعة مصر، للمستشرق الألماني آدم متز قال : ألّف الرَّمَّاني تفسيراً للقرآن بلغ من قيمته أنه قيل للمصاحب بن عباد : هلا صنعت تفسيراً؟ فقال : وهل ترك لنا علي بن عيسى شيئاً؟

مِنْ أَعْلَامِ مَدْرَسَةِ أَهْلِ الْبَيْتِ

إنسان يؤثر الحضور بمجلسك، وهو من أهل البصرة.

فقال : هو من أهل العلم؟

قال غلامه : لا أعلم، إلا أنه يؤثر الحضور بمجلسك.

فأذن له، فدخل عليه، فأكرمه وطال الحديث بينهما، وقال الرجل لعلي بن عيسى : ما

تقول في يوم الغدير والغار؟

فقال : أما خبر الغار فدراية، وأما خبر الغدير فرواية، والرواية لا توجب ما توجه

الدراية.

وانصرف البصري ولم يحر جواباً يورده. فقلت له : أيها الشيخ مسألة، فقال : هات

مسألتك.

فقلت : ما تقول في من قاتل الامام العادل؟

فقال : يكون كافراً. ثم استدرك فقال : فاسقاً.

فقلت : ما تقول في أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام؟

فقال : إمام.

فقلت : فما تقول في يوم الجمل وطلحة والزبير؟

فقال : تابا.

فقلت : أما خبر الجمل فدراية، وأما خبر التوبة فرواية؟

فقال : أكنت حاضراً وقد سألتني البصري؟

قلت : نعم رواية برواية، ودراية بدراية.

فقال : بمن تُعرف؟ وعلى من تقرأ؟

فقلت : أعرف بابن المعلم، وأقرأ على الشيخ أبي عبد الله الجُعَل.

فقال : موضعك. ودخل منزله، وخرج معه رقعة قد كتبها وألصقها، فقال لي : أوصل

هذه الرقعة إلى أبي عبد الله.

مِنْ غِلَامِ مَدْرَسَةِ أَهْلِ الْبَيْتِ

فجئت بها إليه، فقرأها ولم يزل يضحك هو ونفسه، ثم قال : أيش جرى لك في مجلسه؟ فقد وصّاني بك، ولَقَّبَكَ «المفيد». فذكرت له المجلس بقصّته فتبسّم.^١
وهكذا تغيّرت شهرته من ابن المعلّم إلى المفيد.

مشايخه وأساتذته :

وقفنا حتى الآن على أسماء أربعة من أساتذته الأوائل، فقد قرأنا في حكاية الشيخ ابن إدريس الحلّي : أنه بدأ بقراءة العلم على :
أبي عبد الله المعروف بالجعل. ثم قرأ من بعده على :
أبي ياسر طاهر غلام أبي الجيش. وقد ذكر النجاشي قراءته على المتكلّم الشهير أبي الجيش مظفر بن محمد بن أحمد البلخي.
وقرأنا أن أبا ياسر أرسل معه من يوصله إلى علي بن عيسى الرّماني ليقراً عليه الكلام ويستفيد منه. وهو الذي لقّبه بالمفيد.
وقد عدّوا أساتذته ومشايخه فبلغوا بهم إلى ستين شيخاً، نرى فيهم من يُعرف بوصف « النحوي » ثلاثة مشايخ هم :
أبو الطيب الحسين بن علي النحوي التمار. وأبو الحسن علي بن مالك النحوي. وأبو الحسن محمد بن جعفر بن محمد التميمي الكوفي النحوي.
ومن الادباء والشعراء : أبو عبيد الله محمد بن عمران المرزباني، صاحب كتاب «شعراء الشيعة» مطبوع.
ومن أصحاب القراءات والمقرئين : أبو نصر محمد بن الحسين البصير المقرئ الشهرزوري.

(١) كتاب السرائر ٣ : ٦٤٨ و ٦٤٩ ط : جماعة المدرسين بقم المقدسة. وروى القصة بالفاظها أبو الحسين ورام بن أبي فراس المالكي الاثري المتوفى ٦٠٥ هـ في كتابه : تنبيه الخواطر ونزهة النواظر ٢ : ٣٠٢. وأشار إلى الحكاية العلامة الحلّي في الرجال : ١٤٧، ط : النجف الاشرف.

مِنْ أَتْلَافِ مَدْرَسَةِ أَهْلِ الْبَيْتِ

ومن المتكلمين : أبو الحسن علي بن محمد بن خالد الميثمي ، من أحفاد ميثم التمار صاحب الامام علي عليه السلام.

ومن المحدثين الفقهاء : أبو الحسن أحمد بن محمد بن الحسن بن الوليد الاشعري القمي . وأبو غالب أحمد بن محمد بن سليمان الزراري . وأبو القاسم جعفر بن محمد بن قولويه القمي . وأبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه الصدوق القمي . ومن المحدثين المؤرخين : أبو بكر عمر بن محمد بن سالم ابن الجمابي التميمي البغدادي . وابنه محمد بن عمر .

ومن الشافعية : أبو بكر محمد بن أحمد الشافعي .

ومن السادة الشرفاء الرواة من بني هاشم : أبو محمد أحمد بن محمد بن عيسى الشريف العلوي الزاهد . وأبو محمد الحسن بن حمزة الشريف الطبري الحسيني العلوي ، وابنه محمد قرأ على المفيد وصاهره . وأبو محمد الحسن بن محمد بن يحيى ابن الشريف . وأبو عبد الله محمد بن محمد بن طاهر الشريف . ومحمد بن سهل بن أحمد الديباجي الحسني .

تلامذته والراوون عنه :

ونكتفي من قائمة تلامذته بالإشارة إلى المشاهير منهم : السيد الشريف المرتضى علم الهدى علي بن الحسين الموسوي المتوفى ٤٣٦ هـ . والسيد الشريف الرضي محمد بن الحسين الموسوي المتوفى ٤٠٦ هـ . والشيخ محمد بن الحسن بن علي الطوسي الخراساني البغدادي النجفي المتوفى ٤٦٠ هـ . والشيخ أبو العباس أحمد بن علي النجاشي صاحب كتاب الرجال المتوفى ٤٥٠ هـ . والشيخ الفقيه أبو يعلى سالار بن عبد العزيز الديلمي صاحب «المراسم» في الفقه . والشيخ الفقيه القاضي أبو الفتح محمد بن علي بن عثمان الكراچكي صاحب «كنز الفوائد» . والسيد أبو يعلى محمد بن الحسن بن

من أعلام مدرسة أهل البيت

حمزة الجعفري العلوي صهره وخليفته والجالس مجلسه بعده.

بعض وصفه :

وصفه في خاصة نفسه صهره السيد أبو يعلى الجعفري العلوي الأنف الذكر فقال : ما كان المفيد ينام من الليل إلا أهجة « كانوا قليلاً من الليل ما يهجعون »^١ ثم يقوم يصلي أو يتلو القرآن أو يدرس « ورتل القرآن ترتيلاً »^٢.

حكى ذلك عنه ابن حجر في « لسان الميزان » فقال : كان كثير التقشف والتخشع ، والإكباب على العلم. تخرج على جماعة ، وبرع في مقالة الإمامية حتى قيل : له على كل إمام منة. وقيل : إن عضد الدولة كان يزوره في داره ، ويعوده إذا مرض.^٣

وأما العماد الحنبلي في « شذرات الذهب » فنقل عن ابن أبي طي الحلبلي قال : كان المفيد عظيم الخشوع ، كثير الصلاة والصوم ، خشن اللباس ... وكان شيخاً ربعة نحيفاً أسمر.. من مشايخ الامامية ، رئيس الفقه والكلام والجدل ، ويناظر أهل كل عقيدة ، مع الجلالة العظيمة في الدولة البويهية. وربما زاره عضد الدولة.^٤

وقال الياقعي في « مرآة الزمان » : كان يناظر أهل كل عقيدة ، مع الجلالة والعظمة في الدولة البويهية ، وكان عضد الدولة ربما زاره في داره.^٥

وقال عنه ابن كثير الدمشقي في « البداية والنهاية » : كانت له وجاهة عند ملوك الأطراف ، لميل كثير من أهل ذلك الزمان إلى التشيع .. وكان يحضر مجلسه خلق عظيم من جميع طوائف الاسلام.^٦

(١) الذوايب : ١٧ . (٢) المزمّل : ٤ .

(٣) لسان الميزان : ٥ : ٣٦٨ ، ط : دكن ١٣٣١ هـ وميزان الاعتدال ٤ : ٢٦ - ٣٠ ، ط : الحلبي .

(٤) شذرات الذهب : ٣ : ١٩٩ ، ط : دار المسيرة . والعبر ٢ : ٢٢٥ .

(٥) مرآة الزمان : ٣ : ٢٨ ، ط : الهند .

(٦) البداية والنهاية : ١٢ : ١٥ ، ط : مصر ونحوه في المنتظم لابن الجوزي ٨ : ١١ ، ط : دكن ١٣٥٨ هـ .

وعَلَّقَ عليه العلامة الأميني في «الغدير» قال : هذا ينم عن أنه كان شيخ الأمة الإسلامية لا الإمامية فحسب.^١

ووصفه معاصره أبو حَيَّان التوحيدى الشيرازي (م ٤٠٠ هـ) في كتابه «الإمتاع والمؤانسة» فقال : كان ابن المعلم حسن اللسان والجدل، صبوراً على الخصم، ضئيلاً بالسر، جميل العالنية.^٢

ومع ذلك لم يكن يعدم من يعاديه، فقد ذكر المؤرِّخ الشهير عزَّ الدين ابن الاثير في كتابه «الكامل في التاريخ» في حوادث سنة ثمان وتسعين وثلاثمائة : وفيها وقعت الفتنة ببغداد في رجب، وكان أولها أن بعض الهاشميين^٣ من أهل باب البصرة أتى ابن المعلم فقيه الشيعة في مسجده بالكرخ فأذاه ونال منه، فثار أصحاب ابن المعلم واستنفر بعضهم بعضاً وقصدوا أبا حامد الاسفراييني إلى محلة دار القطن، وعظمت الفتنة.

ثم إن السلطان «بهاء الدولة» أخذ جماعة فسجنهم، وأبعد ابن المعلم من بغداد، فسكنوا. وعاد أبو حامد الاسفراييني إلى مسجده. ثم شفع علي بن مزيد الأسدي (أمير مدينة واسط) في ابن المعلم فأعيد إلى محلّه.^٤

حوادث الشغب في بغداد :

ويؤسف المنصف أن لم تكن هذه الحادثة هي حادثة الشغب الوحيدة في عهد الشيخ المفيد والبرهيين، بل شهدت بغداد مدينة السلام انعدام السلام والوثام والانسجام في أعوام : ٣٣٨ و ٣٤٠ و ٣٤٦ و ٣٤٨ و ٣٤٩ و ٣٥٢ و ٣٦٢ و ٣٦٣ و ٣٦٤ و ٣٨٠ و ٣٨١ و ٣٨٢ و ٣٨٤ و ٣٩١ و ٣٩٣ و ٣٩٨ و ٤٠٦ و ٤٠٨ و ٤٠٩ و ٤١٦ و ٤٢٢ و

(١) الغدير ٣ : ٢٧٨، ط : طهران.

(٢) كان يصطلح على العباسيين يومذاك بالهاشميين.

(٣) الكامل في التاريخ ٧ : ٢٣٩، ط : مصر ١٣٥٢ هـ. والبدية والنهاية ١١ : ٢٣٨ و ٢٣٩، ط : مصر. وتفصيلها في المنتظم لابن الجوزي ٧ : ٢٣٧.

٤٢٤ و ٤٢٥ و ٤٣٢ و ٤٣٧ و ٤٤٠ و ٤٤١ و ٤٤٣ و ٤٤٤ و ٤٤٥ هـ كل ذلك من جزاء الفتن الدينية والنزاعات المذهبية الشديدة. وقد اشتملت كتب التاريخ السنوي على تفاصيل تلك الحوادث والفجائع، أقدمها : تجارب الأمم لابن مسكويه الرازي الاصفهاني المعاصر لتلك الاحداث، ثم المنتظم لابن الجوزي، ثم الكامل في التاريخ لابن الأثير الجزري الموصللي، ثم العبر للذهبي، ثم البداية والنهاية لابن كثير الدمشقي.

ملوك عصره :

قرأنا إن ولادة المفيد كانت في سنة ٣٣٨ هـ، فإذا قارنا هذا بتاريخ دخول معز الدولة البويهى إلى بغداد عام ٣٣٤ هـ كان ذلك يعني أن عهد المفيد كان قد بدأ مع بداية عهد بني بويه في بغداد، وكذلك مع عهد الخليفة العباسي المطيع لله (٣٣٤ - ٣٦٣) هـ. وفي هذا العهد خفّ الضغط العباسي على الشيعة إلى حد كبير، فاستطاع هؤلاء أن يجاهروا بمقائدهم ويدافعوا عنها.

ومع بلوغ المفيد سن الرشد، كانت سنة ٣٥٢ هـ أول سنة يحتفلون فيها بعيد الغدير في الثامن عشر من ذي الحجة، وبشعائر العزاء لذكرى شهادة سيد الشهداء أبي عبد الله الامام الحسين بن علي عليهما السلام في بغداد.

وفي سنة ٣٥٦ هـ، وبعد أربع سنين، والشيخ المفيد في العشرين من عمره توفي معز الدولة ببغداد وخلفه ابنه عز الدولة بختيار.

وفي السنة الخامسة أو السادسة من عهد عز الدولة ٣٦١ أو ٣٦٢ هـ عادت حوادث الشغب مرة أخرى في ثلاث سنين متوالية، وتعاضم أمر سبكتكين أحد القواد الاتراك في الجيش البويهي بعنوان حاجب الخليفة، فاستضعف أمر الامير البويهي عز الدولة، وأدعى الاستقلال بالامر دونه، فكان هذا الامر بنفسه من عوامل الفتنة والشغب ببغداد. وامتزج النزاع السياسي بالنزاع المذهبي، فأصبح أهل السنة يهتفون لصالح سبكتكين،

والشيعة بعز الدولة^١، وأمر وزير عز الدولة أبو الفضل الشيرازي أن يحرقوا الكرخ.
قال ابن الجوزي: وأحصي ما احترق فكان سبعة عشر ألفاً وثلاثمائة دكاناً، وثلاثمائة
وعشرين داراً، أجرة ذلك في الشهر ثلاثة وأربعون ألف ديناراً.^٢
وفي السنة الثانية من هذه الحوادث أي في معمعة الحوادث، رأى الخليفة العباسي
المطيع لله أن يخلع الخلافة عن نفسه ويفوضها إلى ابنه وولي عهده عبد الكريم الطائع
لله (٣٦٣ - ٣٨١) هـ.

وكان عضد الدولة أميراً على أصفهان وشيراز، وكأنه رأى ضعفاً في إدارة عز الدولة،
فأقبل نحو بغداد، وهزم عز الدولة واستولى على الامر سنة ٣٦٧ هـ، ولكنه لم يدم أكثر
من خمس سنين من جبران الكسور بالعمران، حتى توفي عضد الدولة ببغداد سنة ٣٧٢
هـ. وكان من عمرانه تشييد مرقد الامام أمير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام في
النجف الاشرف. فأوصى أن يُنقل جثمانه ليدفن في جواره.

وعليه فوجاهة الشيخ المفيد لدى عضد الدولة، وزيارة الامير وعيادته له في بيته إنما
كانت في هذه السنين الخمس، أي فيما بين الثلاثين والخمس والثلاثين من عمر الشيخ
المفيد. فلعلها هي بداية رئاسته لأهل مذهبه من الشيعة في بغداد.

وخلف عضد الدولة ابنه صمصام الدولة. وفي السنة الرابعة من حكمه نازعه أخوه
شرف الدولة، واضطر صمصام الدولة أن يفوض إليه إمارة بغداد ويخرج منها. ولم يدم
الحكم لشرف الدولة أكثر من ثلاث سنين حتى مات سنة ٣٧٩ هـ، فاستولى على الحكم
أخوه بهاء الدولة، واستوزر لنفسه أبا الحسن ابن المعلم، وكان مستولياً على بهاء الدولة،
فحمله على أن يخلع الطائع بالله العباسي ويستخلف القادر بالله سنة ٣٨١ هـ.

وخرج بهاء الدولة إلى شيراز سنة ٣٨٩ هـ فاستولى عليها، ثم استولى على بغداد
بواسطة قائده أبي علي ابن الاستاذ هرمز عميد الجيوش، وأبي غالب فخر الملك،

وشابور بن أردشير، حتى مات بهاء الدولة سنة ٤٠٣ هـ، فحمل إلى النجف الاشراف أيضاً ودفن فيه بجوار أمير المؤمنين عليه السلام.

المطبوع والمخطوط من كتبه :

عرفنا الشيخ المفيد متكلماً فقيهاً، فكتب في هذين المجالين الكثير، وأكثر ما كتب في الكلام والعقائد أصولاً وفروعاً، وقليل منها في الحديث والتاريخ. فمن مطبوع كتبه الفقهية :

الرسالة المقنعة في الفقه، باری بها كتاب المقنع في الفقه لشيخه الصدوق. طبع الكتاب قديماً طبعة حجرية، وطبع أخيراً طبعة محققة بقم المقدسة في ٨٤٧ صفحة من القطع المتوسط. وشرحه تلميذه الشيخ الطوسي بكتاب التهذيب في عشرة أجزاء.

جوابات المسائل الصاغانية^١، وهي عشر مسائل فقهية يتقدمها شيء من الكلام في جواب التشنيع على النكاح المؤجل «المتعة» طبع في النجف الاشراف.

جوابات المسائل الساروية، الواردة عليه من مدينة ساري في شمال إيران في مواضع شتى. طبعت في النجف الاشراف.

وعد أصحاب الفهارس والتراجم له سوى هذه الكتب الثلاثة ثلاثة وعشرين كتاباً ورسالة فقهية أكثرها أجوبة مسائل استفتي الشيخ المفيد فيها من مدن نوبندگان^٢ وجرجان في شمال إيران، والرقّة من بلاد الشام، وكرمان في شرقي إيران، وعكبري، وقم، وحرّان في الشام، وخوارزم من ما وراء النهر في شرق إيران، والدينور في غرب إيران، وساري في شمال إيران، وشيراز في جنوب إيران، وطبرستان في شمال إيران، ومازندران كذلك، والموصل من شمال العراق، ونيشابور في شرق إيران،

(١) صاغان من قرى مّزو من بلاد خراسان في شرق إيران.

(٢) من نواحي مدينة فسا من بلاد فارس، شيراز في جنوب إيران.

وخوزستان في جنوب إيران.

وقرأنا أنه قرأ في الكلام في بداياته على علي بن عيسى الرماني، وفي قائمة كتبه الكلامية نجد له نقضاً عليه في الإمامة.

وقرأ الحديث على المحدث الفقيه الشيخ الصدوق، ونجد له في كتبه الكلامية كتاباً في شرح رسالة الاعتقادات لشيخه الصدوق، نقد فيه بعض مقالاته بأنها اعتماد على بعض الاخبار التي لا تُعتمد ولا سيما في العقائد. وقد طبع شرحه هذا مع مختاراته في المقالات العقائدية بإسم: أوائل المقالات في المذاهب المختارات، ذكر فيه مختصات الامامية في الأصول والفروع العقائدية، وهو أكبر أثر خالده في الكلام والعقائد. أحكام أهل الجمل، طبع مع النصرة في حرب البصرة له في النجف الأشرف، وأعيد طبعه بالافست في قم المقدسة، وهو قيد التحقيق.

ومثله في خلط التاريخ بالكلام في العقائد: الارشاد إلى معرفة حجج الله على العباد، طبع بطهران والنجف الأشرف، وهو أيضاً قيد التحقيق. وله من الكلام المطبوع:

الإفصاح في إمامة أمير المؤمنين عليه السلام، طبع في النجف الأشرف.

تفضيل أمير المؤمنين عليه السلام على سائر الاصحاب، طبع في النجف الأشرف.

إيمان أبي طالب عليه السلام طبع في نفائس المخطوطات.

تحقيق حديث: نحن معاشر الانبياء، طبع في النجف الاشرف، ويسمى: مسألة ميراث النبي صلى الله عليه وآله.

المسائل العشرة في غيبة الامام المهدي المنتظر عليه السلام، طبع في النجف الأشرف.

وله من المطبوع المنشور في التاريخ:

الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد. في حياة الأئمة المعصومين عليهم السلام.

النصرة في حرب البصرة، طبع مع أحكام أهل الجمل في النجف الأشرف، وأعيد طبعه بالأوفست، وهو قيد التحقيق كما مرّ.

التواريخ الشرعية، طبع باسم (مسار الشيعة) طبعة حجرية قديمة في إيران سنة ١٣١٣، وسنة ١٣١٥ هـ، وأعيد طبعه بالأوفست.

وله في الحديث كتابه المعروف: الأمالي، وهي إثنان وأربعون مجلساً أُمليَ فيها ٣٨٧ حديثاً بأسانيداً عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَأَهْلُ بَيْتِهِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ فِي شَتَّى الْأَبْوَابِ ومختلف الموضوعات. طبع لأول مرة في النجف الأشرف سنة ١٣٦٧ هـ بتقديم المحقق العلامة السيد محمد صادق بحر العلوم، وأعيد طبعه بقم المقدسة بالأوفست، ثم أعيد طبعه بتحقيق الاستاذ حسين ولي وإشراف الاستاذ الفقاري سنة ١٤٠٣ هـ بقم المقدسة.

وله من المطبوع في أصول الفقه: التكت في أصول الفقه، وهي رسالة مختصرة في تسع صفحات أدرجها تلميذه الشيخ أبو الفتح الكراجكي في كتابه «كنز الفوائد». وله في المناظرات كتاب العيون والمحاسن، وقد اختار منه تلميذه السيد الشريف المرتضى علم الهدى فصلاً قال عنها في مقدّمته: إنها فصول جمعها من كتب المولى الشيخ المفيد أبي عبد الله محمد بن محمد النعمان في المجالس... من كتابه المعروف بالعيون والمحاسن.

وفاته ومدفنه وراثته :

أُرِخَ وفاته تلميذه الطوسي والنجاشي في فهرسيهما. فقال الطوسي في فهرسه: إنه توفي لليلتين خلتا من شهر رمضان، سنة ثلاث عشرة وأربعمائة. وكان يوم وفاته يوماً لم يُرَ أعظم منه من كثرة الناس للصلاة عليه، وكثرة البكاء من المؤلف والمخالف^١.

(١) الفهرست: ١٨٦ و ١٨٧، ط: النجف الأشرف.

وقال النجاشي في فهرسه المعروف بالرجال : ومات رحمه الله ليلة الجمعة لثلاث خلون من شهر رمضان سنة ثلاث عشرة وأربعمائة، وصلى عليه الشريف المرتضى أبو القاسم علي بن الحسين بميدان الأشنان، وضاق على الناس مع كبره. ودفن في داره سنين، ثم نقل إلى مقابر قريش بالقرب من السيد الامام أبي جعفر محمد الجواد التقي عليه السلام^١.

وقال ابن عماد الحنبلي : شيعة ثمانون ألفاً^٢.

ورثاه تلميذه الشريف المرتضى بقصيدة قال فيها :

إن شيخ الاسلام والعلم والديـ	من تولّى فأزعج الاسلاما
والذي كان غرّة في دجى الآيـ	سام أودى فأوحش الأيما
كم جلوت الشكوك تعرض في نـ	صّ وحي، وكم نصرت إماما
وخصوم لُدّ ملائهم بالـ	حق في حومة الخصام خصاما
عابنوا منك مصيئاً ثغرة النحر	وما أرسلت يدك سهاما
وشجاعاً يفري المرائر ما كـ	ل شجاع يفري الطلّ والهاما
من إذا مال جانب الدين كا	نت له يداه دُعاما؟
وإذا ازورّ جائر عن هداه	قاده نحوه فكان زماما؟
من لفضلٍ أخرجت منه خبيئاً	ومعانٍ فضضت عنها الختام؟
من لسوءٍ ميّزت عنه جميلاً	وحلال خلّصت منه الحراما؟
من يُثير العقول من بعد ما كـ	من هموداً ويتج الأفهاما؟
من يسمير الصديق رأياً إذا ما	سلّه في الخطوب كان حساما؟
فامض صفراً من العيوب فكم با	ن رجالاً أثروا عيوباً وذاماً؟

(١) رجال النجاشي : ٤٠٣ برقم ١٠٦٧، ط : قم المقدسة. (٢) شذرات الذهب : ٣ : ١٩٩.

مِنْ غِلَامِ مَدْرَسَةِ أَهْلِ الْبَيْتِ

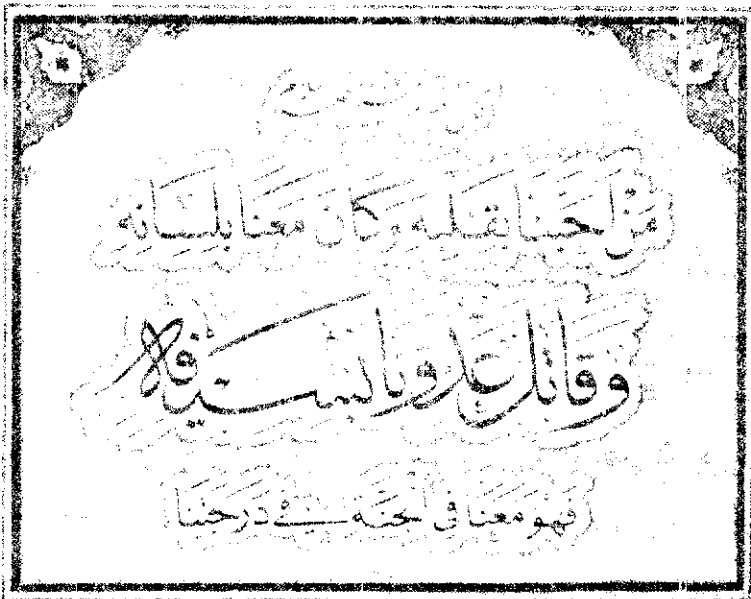
— أوَاتِ إِلَّا تَجَمَّلًا — بِسَامَا¹

لَنْ تَرَانِي - وَأَنْتَ فِي عَدَدِ الْأَمْ

وَرثاه الأديب والشاعر الشهير مهيار الديلمي البغدادي بقصيدة قال فيها:

مَتْنِي وَلَا ظَفَرْتُ بِسَمْعٍ مَعْدَلٍ
قَيْدَ الْجَلِيدِ عَلَى حِشَا الْمَتَمَلِّمِ
دَمَعُ الْمَحْقُوقِ لَنَا مِنَ الْمُتَعَمِّلِ
تَحْتَ الصَّفَائِحِ قَوْلَ حَيٍّ مُرْسِلِ
عَنْ ذِي فَوَازٍ بِالْفَجِيعةِ مُشَقِّلِ
فِي الصَّدْرِ لَا تَهْوِي وَلَا هِيَ تَعْتَلِي
وَإِذَا اللِّسَانُ بِرِيقِهِ لَمْ يُبَلِّلْ؟
يَكْرِ بِكَ افْتُرَعْتَ وَقَوْلُهُ فَيَصِلْ؟
وَفَتَحَتْ مِنْهُ فِي الْجَوَابِ الْمَقْفَلِ؟²

مَا بَعْدَ يَوْمِكَ سَلْوَةٌ لِمَعْلَلٍ
سَوَّى الْمَصَابِكِ الْقُلُوبَ عَلَى الْجَوَى
وَتَشَابَهَ الْبَاكُونَ فِيكَ فَلَمْ يَبْنِ
يَا مُرْسِلًا إِنْ كُنْتَ مُبْلَغَ مَيِّتٍ
فَجَّ الثَّرَى الرَّائِي وَقُلْ «لِلْمُحَمَّدِ»
مَنْ لِلْخَصُومِ اللَّذِّ؟ بُعْدُكَ غَصَّةٌ
مَنْ لِلْجِدَالِ إِذَا الشِّفَاءُ تَقَلَّصَتْ
مَنْ بَعْدَ فَقْدِكَ رَبُّ كُلِّ غَرِيبَةٍ
وَلِفَاسِمْ خَافٍ رَفَعَتْ قَوَامَهُ



الحكومة الإسلامية في نهج البلاغة

« ٢ »

ضرورة تشكيل الحكومة في الاسلام:

سَمَاءُ الشَّيْخِ الْقُرْبِيِّ النَّجَفِيِّ

لقد أكد «نهج البلاغة» بصراحة بالغة ضرورة تشكيل الحكومة ووجودها في الاسلام، كموضوع مفروغ عنه وقطعي من دون أي تردد فيه. فمن موارد هذا التأكيد ما جاء جواباً عن إشكال وشبهة طرحها الخوارج تحت شعار «لا حكم إلا لله» وكانوا يقصدون من ذلك أن الحكومة التنفيذية أيضاً خاصة بالله تعالى.

فأجابهم أمير المؤمنين عليه السلام بقولته المعروفة: «كلمة حق يُراد بها باطل! نعم لا حكم إلا لله، ولكن هؤلاء يقولون: لا إمرة إلا لله، وإنه لا بد للناس من أمير برّ أو فاجر، يعمل في أمرته المؤمن، ويستمتع فيها الكافر، ويبلغ الله فيها الأجل، ويجمع به الفيء ويقاقل به العدو، وتأمين به السبل، ويؤخذ به للضعيف من القوي، حتى يستريح برّ، ويُستراح من فاجر»^١.

وعلى أي حال فإن من الضروري وجود نظام سياسي لتوفير الاستقرار الأمني وتأمين راحة الناس، ومواجهة حملات الأعداء. ويدهي أن المجتمع مادام ذا أهداف يسعى إلى تحقيقها فإن ضرورة تشكيل الحكومة تتأكد من أجل التوصل إلى تلك الأهداف. وفي المجتمع الاسلامي فإن أهدافه السامية تتحقق بتنفيذ أحكام الاسلام ولا يمكن ذلك إلا في ظل حكومة إسلامية. وقد كتب أمير المجاهدين علي عليه السلام إلى معاوية يقول له: «والواجب في حكم الله وحكم الاسلام على المسلمين بعد أن يموت إمامهم أو يقتل -

(١) نهج البلاغة، الخطبة: ٤٠.

ضالاً كان مهتدياً، مظلوماً كان أو ظالماً، حلال الدم أو حرام الدم - أن لا يعملوا عملاً ولا يحدثوا حدثاً ولا يقدموا يداً ولا رجلاً، ولا يبدؤوا بشيء، قبل أن يختاروا لأنفسهم إماماً عفيفاً عالمياً ورعاً بالقضاء والسنة، يجمع أمرهم ويحكم بينهم، ويأخذ للمظلوم من الظالم حقه، ويحفظ أطرافهم، ويجبي فيهم، ويقيم حجتهم، ويجبي صدقاتهم، ثم يحتكمون إليه في إمامهم المقتول ظلماً ليحكم^١.

أكد عليه السلام في بيانه هذا على عدة نقاط جديرة بالاهتمام، فالواجب الاجتماعي والمسؤولية الحتمية لجميع المسلمين هي اختيار الإمام وتعيين الزعيم للمجتمع المسلم، الأمر الذي له الفورية بكل معنى الكلمة، وليس لأي موضوع آخر أي أولوية عليه. وبعد العلم بواجب المجتمع في تعيين القائد والالتفات إلى عمومية هذه المسؤولية في عهدة جميع المسلمين.. يجب أن يُعلم أنه لا يمكن اختيار أحد لمقام الزعامة بحسب الميول والأهواء. وفي الواقع ليس اختيار القائد في نظر أمير المؤمنين عليه السلام حقاً من حقوق الأفراد حتى يعلموا فيه بميولهم، بل إن هذا الأمر المهم تكليف أكثر من أن يكون حقاً من الحقوق، بل هو تكليف ومسؤولية مهمة لاختيار اللائق للقيادة.

والنقطة الأخرى هي أن زعامة الامام عليه السلام كانت مشتملة على تلك الشروط اللازمة، فهي حكومة نابعة من الواجب الاجتماعي للناس، والقائد لاشك من أولى الناس بذلك، فهو نظام مشروع وقانوني يراه ينسجم مع الحق في كل المذاهب والمسالك، فمبدأ الانتخاب والبيعة يعترف به، وكذلك مذهب الوصاية والنصب، ولا تتصور حكومة أقرب إلى القانون والشرعية من حكومة كهذه. وعليه فأيّة مخالفة لها لا يمكن أن تفسر تفسيراً إلهياً هادفاً، بل المحمل الوحيد للمخالفة هو أنها تنشأ من الدوافع النفسانية والجذور الجاهلية؛ وذلك يبيّن بالتالي وهن دعايات وحجج معاوية،

فإنه قد افتنن الناس بحجة الطلب بدم الخليفة المقتول من قاتليه، وقد خطط للوصول إلى أهدافه الخبيثة في ظل الدعايات المسمومة. وأمير المؤمنين عليه السلام يوضح بهذا البيان السبيل إلى حل هذه المشكلة استناداً إلى الحقوق الجزائية في الاسلام. فعلى افتراض أن يُعَدَّ معاوية وليّ الدم أو من أولياء الدم، فإن التحقيق في موضوع القتل من تكاليف الحكومة الاسلامية، وقد فات أوان الانتقام الشخصي أو القبلي في الاسلام، فقد طرد الاسلام النظام الجنائي الجاهلي وطرح عليه البديل الاسلامي.

إن تنفيذ الأحكام الإلهية في الحدود أمر لازم بل واجب، ولكن ليست الواجبات الإلهية سواء، فبعض الواجبات كالصلاة والصيام فردية وعلى أفراد المسلمين، ولكن بعض الواجبات الاخرى كالحدود والقصاص لايمكن تنفيذها بيد الأفراد، بل إن هذا الأمر المهمّ مما تتعهد به الحكومة الاسلامية. فلو أراد أحد أن يكون هو القاضي لإحقاق حقّه، وهو المنفذ للحكم بالقوة، فما هو محل نظام الحكم والادارة السياسية ؟ وما هو التفاوت بينها وبين العهد الجاهلي ؟

وفي الخطبة ٢١٦ أكد عليه السلام على الحقوق المتقابلة بين الزعيم والأمة وعدّها من أعظم الحقوق، إذ منها تنشأ سعادة المجتمع وعزّته، ومنها تحصل الألفة والوحدة بين أفراد المجتمع الانساني:

«وأعظم ما افترض سبحانه من تلك الحقوق: حق الوالي على الرعية، وحق الرعية على الوالي، فريضة فرضها الله سبحانه لكلّ على كلّ، فجعلها نظاماً لألفتهم وعزّاً لدينهم، فليست تصلح الرعية إلا بصلاح الولاة، ولا تصلح الولاة إلا باستقامة الرعية»^١.

تمتاز الحقوق المتقابلة بين المجتمع والقادة بأهمية أكبر من بين الحقوق التي افترضها الله سبحانه، وقد عدّها أمير المؤمنين من أكبرها وأعظمها، وهذه الأهمية نابعة من أن وحدة المجتمع وحفظ حدوده وحقوقه إنما تؤمّن في ظل حكومة الزعماء

الصالحين والمعتدلين، وهي تعدّ الأرضية للمعزة المعنوية والاعتزاز الديني، وبكلمة فهي توفر للناس السعادة الاجتماعية التي هي هدف جميع الأنبياء والمرسلين. والنقطة الاخرى هي أنّ توافر القادة الصالحين شرط لازم للوصول إلى السعادة الاجتماعية، ولكنه ليس الشرط الكافي؛ ذلك أنّه لو لم يكن للناس صبر وثبات في سبيل الوصول إلى الأهداف السامية، فإنه لا يمكن أصلح القادة من تحقيق هذا الهدف السامي في المجتمع. وعليه فالتمتع بزعماء لائقين جديرين لا يكفي لوحده، ويجب أن يكون الناس منسجمين مع أهداف القادة، يتقدمون نحو الأهداف السامية. ولهذا فهو عليه السلام يقول في إحدى خطبه:

«أيتها النفوس المختلفة، والقلوب المتشتتة، الشاهدة أبدانهم، والغائبة عنهم عقولهم، أظأركم على الحق وأنتم تنفرون عنه نفور المعزى من وعوة الأسد، هيهات أن أطلع بكم سوار العدل أو أقيم اعوجاج الحق»^١.

أهداف الحكومة الاسلامية:

ما هو الهدف من هذا التأكيد الكثير على ضرورة تشكيل الحكومة وأهمية النظام السياسي؟ من دراسة السيرة العملية والقولية لأمر المؤمنين علي عليه السلام يتبين لنا أن هناك بوناً أصولياً ومعنوياً بين أهداف الحكومة الاسلامية وبين الحكومات المبنية على رؤية واتجاهات مادية؛ ذلك أن الحكومة المبنية على الرؤية المادية تبحث عن أهداف مادية في ظل نظامها السياسي فحسب. بينما يفكر القادة الإلهيون في قيم أخرى، يقول عليه السلام:

«اللهم إنك تعلم أنه لم يكن الذي كان منا منافسةً في سلطان ولا التماس شيء من فضول الحطام، ولكن لئلا نردّ المعالم من دينك ونظهر الإصلاح في بلادك فيأمن المظلومون من عبادك،

وتقام المعطلة من حدودك^١.

وقد سبق قسم من هذه الخطبة قبل هذا في موضوع الحقوق المتقابلة بين الزعماء والناس، وقد مرّ في ذلك المقطع أنّ إقامة العدل والحق من أهداف الحكومة الإسلامية. وفي هذا المقطع يعدّ عليه السلام أهدافاً أخرى مثل: إحياء آثار الدين، وإصلاح البلاد، وأمن المظلومين من العباد، وإقامة الحدود والأحكام، وعليه فإن أمير المؤمنين عليه السلام يعتبر عنوان إقامة الحق وتنفيذ العدل هدفاً أساسياً للحكم في الاسلام وإلى جانبها الأمن والراحة والاستقرار والرفاه لعموم الناس. على حين يمتاز الأمن والسلام بالأولية في عالمنا المتمدّن اليوم، ولا سيّما في ميثاق الأمم المتحدة في المادة الاولى منه. وجعل الحق في الاسلام هو الأصل والمحور وأهم أهداف الحكومة الإسلامية، وله الأولوية بالقياس إلى سائر القيم؛ قال عليه السلام:

«الذليل عندي عزيز حتى أخذ الحق له، والقوي عندي ضعيف حتى أخذ الحق منه»^٢. فالحق والباطل هما مقياسا العزّة والذلّة، ولا دور للقيم المادية والقوى الظاهرة في ذلك. وهدف الحكومة الإسلامية أن تقيم الحق وتضوّن حقوق أفراد المجتمع. وفي عالمنا اليوم نرى أسفين أن القوة والقدرة هما اللتان توجبان الحقوق، فالقوي هو العزيز وله الحق، ومن لا قدرة له ذليل وباطل أو على باطل.

وبصورة عامة فإن العدالة الاجتماعية من أسمى أهداف الحكومة الإسلامية، والقرآن الكريم يطرحها بصفحتها من أهم أهداف الأنبياء والمرسلين قال سبحانه: ﴿ولقد أرسلنا رُسُلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط﴾^٣. وبالإمكان القول إن الحق والعدل في الثقافة الإسلامية ولا سيّما في «نهج البلاغة» وكلمات أمير المؤمنين عليه السلام مقدّمان على أي قيمة أخرى، وقد أبدى أئمة الاسلام

(١) نهج البلاغة، الخطبة: ١٣١.

(٢) نهج البلاغة، الخطبة: ٣٧.

(٣) الحديد: ٢٥.

تحسّساً أكثر بالنسبة إليهما عمّا سواهما من الأعراف والقيم حتى قيل بشأن أسد الاسلام وقديسه أمير المؤمنين عليه السلام: أنه قُتل في محرابه لشدة عدله.

وقد أشرنا في الفصل الأول إلى إحدى الكلمات الحكيمة عنه عليه السلام يصف فيها العدل وأنه أفضل من الجود. بل لعلنا لانجد قيمة أخرى ذُكرت بأهميّة مشابهة لما عليه الحق والعدل. وقد جاء في دستور الجمهورية الاسلامية تأكيد على هاتين القيمتين استلهاماً من هذه الاهتمامات القيّمة، مما لا مثيل له في دساتير سائر الدول أو أنّهما ذُكرا بغير هذا التأكيد:

«إنّ حكومة إيران هي جمهورية إسلامية، صوّت عليها شعب إيران على أساس العقيدة التليدة بحكومة الحق والعدل القرآنيّين على أثر الثورة الاسلامية»^١.

وتتبع هذين الهدفين الأساسيين أهداف أخرى بعضها كما يلي: استتباب الأمن، واستقرار النظام، والدفاع عن حقوق الناس ولا سيما الضعفاء والقاصرين، والدفاع عن استقلال البلاد والعباد أمام المدّ الثقافي والاقتصادي والسياسي والعسكري للاعداء أشار إليها في بعض الخطبة. وفي عهده عليه السلام إلى مالك الأشتر أكّد عليه السلام على الخط الاستراتيجي للنظام الاسلامي وأساليب النظام العام. فمما قال عليه السلام:

«جباية خراجها وجهاد عدوّها، واستصلاح أهلها، وعمارة بلادها»^٢.

١- جباية الضرائب العامة.

٢- جهاد الأعداء.

٣- التخطيط والبرمجة لأصلاح عامة المجتمع.

٤- عمران المدن والبلدان.

وعلى النظام الاسلامي أن يمهّد الأرضية ويعدّ العُدّة والطروحات اللازمة للوصول

(١) الأصل الأول من دستور الجمهورية الاسلامية في إيران.

(٢) نهج البلاغة، الكتاب: ٥٣.

إلى تلك الأهداف، بالادارة الحكيمة والخبرة والتخطيط.

خصائص القائد:

علمنا أن الاسلام بشكل عام و«نهج البلاغة» بصورة خاصة يرى الأهمية الكبرى للنظام السياسي للمجتمع، ويتحسس له بصورة خاصة، ويرى أن السعادة الاجتماعية - وهي من الأهداف الأساسية للأنبياء والمرسلين - لا تتحقق من دون أن يتمتع المجتمع بحكومة مشروعة هي غاية المطلوب، ويرى في الحقيقة أن الشرط اللازم لوصول المجتمع إلى هذه الهدف هو أن يأخذ بزمام أموره قادة صلحاء وزعماء يليقون للقيادة شرعاً.

وقد أولى القرآن الكريم ثم «نهج البلاغة» عناية خاصة بتوجيه الانظار إلى الخصال السلبية والشيطانية في القائد، وقد فضح القرآن والنهج الصورة السلبية للقائد وسيرته الخطرة. هذا أمير المؤمنين عليه السلام في خطبته «القاصعة» يرفع الستار عن الخطر الذي يدهم السعادة الاجتماعية بل وحياة المجتمع من ناحية هؤلاء، ويحذر الناس عن اتباعهم والذيلية لهم فيقول: «الحذر الحذر من طاعة ساداتكم وكبرائكم»^١.

وندرس الآن هذه الخصائص التي تناط بها صلاحية القيادة بعد شرائط التكليف العامة من البلوغ والعقل والامكان والقدرة.

الفقاهة:

بدهي أن الزعيم والحاكم الاسلامي مفسر لكتاب الله، ومبين لأحكامه ومنفذ لها وحافظ، وعليه صيانة استقلال البلاد والعباد، وإحياء آثار الدين وشعائره، والإشراف على إجراء الحدود والقصاص، وإحقاق حقوق الناس. وقطعي أن شخصاً كهذا لابد من

(١) نهج البلاغة، الخطبة: ١٩٢.

أن يكون مطلقاً على أحكام وقوانين الاسلام، وأن تكون له القدرة العلمية على تطبيق الفروع والجزئيات على الأصول والكتليات، وأن يكون عالماً بمقتضيات عصره وزمانه. وقد استعمل أمير المؤمنين عليه السلام لبيان هذا الأمر كلمات: العلم والعالم والألمية بأمر الله، والعلم بمواضع الحق، والمعرفة بالقضاء والفقه والسنة:

«وما أخذ الله على العلماء ألا يقرّوا على كِظَة ظالم ولا سبب مظلوم»^١.

«قوام الدين والدنيا بأربعة: بعالم ناطق مستعمل لعلمه...»^٢.

«الناس ثلاثة: عالم ربّاني ومتعلّم على سبيل نجاة وهمج رعا...»^٣.

ويلوم بشدة من يتقبّل مسؤولية اجتماعية معيّنة فيتصدّى للحكم أو القضاء من دون صلاحية لذلك، ويصفه بأنه:

«إن أبغض الخلائق إلى الله رجلاً: رجل وكله الله إلى نفسه... ورجل قمش جهلاً، موضع^٤ في جهال الأمة، عاد في أغباش^٥ الفتنة، عم بما في عقد الهدنة، قد سماء أشباه الناس عالماً وليس به...»^٦.

إذن، فعلى العالم الربّاني على حدّ تعبير «نهج البلاغة» مسؤولية اجتماعية، وعلى الناس أن يتفطنوا لذلك فيفيدوا من هؤلاء في أمور مجتمعهم ومايهمهم من أمر دينهم ودنياهم، وعلى العلماء أن يكونوا أوفياء بتعهداتهم الاجتماعية. ولقيادة المجتمع من بين سائر المسؤوليات الاجتماعية مكانة خاصة. فعلى من يكون من بين العلماء الربانيين أجدرهم وأصلحهم لذلك أن يتقبّل هذه المسؤولية:

«ولا يحمل هذا العلم إلا أهل الصبر، والبصر، والعلم بمواضع الحق»^٧.

(١) نهج البلاغة، الخطبة الشقشقية: ٣.

(٢) نهج البلاغة، الكلمة: ٣٧٢.

(٣) نهج البلاغة، الحكمة: ١٤٧.

(٤) قمش: جمع، وأصل القمش جمع المنفرق.

(٥) موضع في جهال الأمة: مسرع فيها بالغش والتفريز.

(٦) أغباش: جمع غبش، وهي بقايا الظلمة (معاني الكلمات في نهج البلاغة). «التحرير».

(٧) نهج البلاغة، الخطبة: ١٧٣.

(٨) نهج البلاغة، الخطبة: ١٧٣.

«إِنَّ أَحَقَّ النَّاسِ بِهَذَا الْأَمْرِ أَقْوَاهُمْ عَلَيْهِ وَأَعْلَمُهُمْ بِأَمْرِ اللَّهِ فِيهِ»^١.

العدالة:

كلمتا العدالة والتقوى من الكلمات التي لها مكانة خاصة في «نهج البلاغة»، وما يفسر به الامام عليه السلام هذين العنوانين جدير بالعناية والملاحظة، وإنهما ليمدّان بأشْتَهُمَا في كلمات هذه الشخصية الكبرى ويجريان منها مجرى الروح في البدن. إن تأمين العدالة الاجتماعية من أهداف الحكومة الإسلامية. فكيف يمكن أن تتوقع ممن لا محل للعدل في عمله وسلوكه وروحه أن يكون حارس العدالة والتقوى في المجتمع ويضمن لهم العدالة الاجتماعية؟

إن الشرط الاول لتطبيق العدالة في المجتمع استقرار العدالة في الحياة الفردية والاجتماعية للانسان. وذلك باجراء العدل بين القوى النفسانية والشهوانية والعقلانية، وهو ما يعتبر عنه علماء الأخلاق بالحكمة.

أما أمير المؤمنين عليه السلام فإنه يقول بشأن الصالحين لقيادة المجتمع:

«قد أخلص لله فاستخلصه، فهو من معادن دينه وأوتاد أرضه، قد ألزم نفسه العدل، وكان أول عدله نفي الهوى عن نفسه، يصف الحق ويعمل به، لا يدع للخير غاية إلا أنها، ولا مظنة إلا قصدها، قد أمكن الكتاب من زمامه فهو قائده وإمامه، يحلّ حيث حلّ ثقله وينزل حيث كان منزله»^٢.

وحينما جاء إلى عثمان سفيراً عن الناس قال له:

«إِنَّ أَفْضَلَ النَّاسِ عِنْدَ اللَّهِ إِمَامٌ عَادِلٌ هَدَى وَهَدَى بِهِ، فَأَقَامَ سُنَّةَ مَعْلُومَةٍ وَأَمَاتَ بَدْعَةٍ

مجهولة»^٣.

(٢) نهج البلاغة، الخطبة: ٨٦

(١) نهج البلاغة، الخطبة: ١٧٣.

(٣) نهج البلاغة، الخطبة: ١٦٣.

ولما هوتب عليه السلام على التسوية في العطاء، ذلك أَنَّ كثيراً من الأشراف لم يتَحَمَلوها، واقترح عليه أن لو أعطى لمعاوية والأشراف شيئاً يُسَكِّتهم به.. قال عليه السلام: «أتأمروني أن أطلب النصر بالجور فيمن وُلِّيت عليه؟ والله لا أطور به ما سمر سمير، وما أتح نجم في السماء نجماً، ولو كان المال لي لسويت بينهم، فكيف وإنما المال مال الله؟ ألا وإن إعطاء المال في غير حقّه تبذير وإسراف وهو يرفع صاحبه في الدنيا ويضعه في الآخرة»^١. وروى الصدوق في الخصال الممدوحة والمذمومة بسنده عن الامام الباقر عليه السلام قال:

«إنّ الامامة لا تصلح إلّا لرجل فيه ثلاث خصال: ورع يحجزه عن المحارم، وحلم يملك به غضبه، وحسن الخلافة على من وُلِّي عليه حتى يكون له كالوالد الرحيم»^٢. إن كل ذلك التأكيد والاهتمام بموضوع الحكومة والنظام السياسي يستدعي حساسية كبرى لكي يتكمن المجتمع من الوصول إلى أهدافه: «من نصّب نفسه للناس إماماً فعليه أن يبدأ بتعليم نفسه قبل تعليم غيره»^٣.

المديرية والتدبير

إنّ التدبير والقدرة على أداء المسؤولية في أيّ ميدان كان من العناصر الأصلية في الصلاحية، وقد قسّم الفلاسفة الحكمة إلى القسمين: النظري والعملي، والثاني يشتمل على مواضع ثلاثة:

١- تهذيب النفس.

٢- تدبير المنزل.

٣- تدبير المُدُن.

ولابد للقيام بالمسؤولية في الأمور الاجتماعية من لياقة وصلاحية خاصة، وعليه فمسؤولية قيادة المجتمع بما فيها من مشاكل وتعقيدات ودقة خاصة بحاجة إلى قدرة وتدبير واطلاع واسع، حتى يتمكن المجتمع من التقدم في سيرته بتخطيط وبرمجة وسياسة صحيحة، فيصل إلى أهدافه ومثابه بأفضل السبل والأشكال. وإن أهمية هذه الصفة المميزة في إدارة الأمور الاجتماعية ليست فرضاً بحاجة إلى تأكيد وإثبات، ولكننا نستشهد هنا بنماذج من كلمات الامام عليه السلام في ذلك:

«إن أحق الناس بهذا الأمر أقواهم عليه»^١.

فلا يكفي عند علي عليه السلام أن يكون قادة المجتمع قادرين على إدارة الأمور، بل لابد أن يقوموا بتنسيق أمور المجتمع على أفضل شكل ممكن، ففي هذه الصورة يمكن أن يصدق عليهم «أقواهم عليه».

«ومكان القيم بالأمر مكان النظام من الخرز يجمعه ويضمه، فإذا انقطع النظام تفرق الخرز وذهب، ثم لم يجتمع بحذافيره أبداً»^٢.

يشير هذا البيان إلى موقعية النظام السياسي ومكانة القيادة فيه، ولكنه أيضاً يؤكد على أهميته والمسؤولية عنه، وعليه بإقرار النظام والانسجام الكافي في قوى المجتمع من أهم مسؤوليات القائد، مما لا يمكن القيام به إلا بالتدبير والمديرية اللازمة. ومعلوم أن من له الدور الفعال والمركزي في تنظيم الأمور وإقرار النظام وتعيين الخط الاستراتيجي لحركة المجتمع، لابد أن يكون له من التدبير والمديرية اللائقة ما يتمكن به من أن يوفق ذلك القوام والاستحكام والتوسعة والنمو المطلوب، وأن يفيد عند اللزوم من طاقات الخبراء الاختصاصيين ذوي التجارب الكافية في مختلف المواضيع، فيضع أصحاب الآراء نظرياتهم تحت تصرفه وعليه هو أن يتخذ القرار الأساسي والمصيري في النهاية:

(١) نهج البلاغة، الخطبة: ١٧٣.

(٢) نهج البلاغة، الخطبة: ١٤٦.

«وشاورهم في الأمر، فإذا عزمْتَ فتوكل على الله»^١.

ونشير هنا إلى بعض كلماته الحكيمة بهذا الصدد، يقول عليه السلام: «صلاح العيش التدبير»^٢.

«حُسن السياسة قوام الرعيّة»^٣.

«من سوء تدبيره كان هلاكه في تدبيره»^٤.

«حسن التدبير ينمي قليل المال، وسوء التدبير يُفني كثيره»^٥.

والواقع أن هذه النقطة مهمة جداً، فإن التدبير والمديرية الصحيحة هي التي بإمكانها أن تدير الأمور بالافادة من إمكانات وفرص قليلة ومع كثرة المشاكل على أفضل شكل ممكن. فهي تُنتج أعظم النتائج من أقل قدر ممكن من الإمكانيات وتتحدى المشكلات على حين لا يحصل مع سوء التدبير من أكبر قدر ممكن من الإمكانيات إلا على أقل من النتائج وبصورة عامة نقول: إن من لا يتمتع بهذه القدرة في إدارة الأمور والتخطيط لمسؤولياته فإنه سوف يضع النقص والقصور على عاتق قلة الإمكانيات، ولهذا يقول علي عليه السلام: «يُستدل على الإدبار بأربع: سوء التدبير، وقبح التبذير، وقلة الاعتبار، وكثرة الاغترار»^٦.

وهذه الأربعة هي علائم الانحطاط والسقوط.

والنقطة الأساسية هي أنه حيث لا مديرية له فإنه سوف يهدر الامكانيات المتوافرة، هو يفرق في مشاكل كثيرة ناشئة عن تدبيره غير الصحيح!

الزهد والبساطة:

الزهد والقناعة والبساطة من أبرز خصائص القادة الإلهيين ﴿رجال لا تلهيهم تجارة

(٢) غرر الدرر: ٤: ١٩٤.

(٤) غرر الدرر: ٩٠٠٩.

(٦) غرر الدرر: ٦٠١٢.

(١) آل عمران: ١٥٩.

(٣) غرر الدرر: ٨٩٩٩.

(٥) غرر الدرر: ٤٨٣٢.

ولا بيع عن ذكر الله ﷻ، والعلائق الدنيوية والدعايات المادية لم تجد لها إلى قلوبهم وأرواحهم أي سبيل. وهو موضوع جدير بالتأمل سيّما في خصوص حياة أسد الاسلام علي عليه السلام ولا سيّما في عهد زعامته الظاهرة، وهو يقول: «يادنيا، يادنيا، إليك عني، أبي تعرّضت؟ أم التي تشوّقت؟ لا حان حينك، هيهات! غريّ غيري، لا حاجة لي فيك، قد طلّقتك ثلاثاً لا رجعة فيها»^١.

وليس هذا المقال منه عليه السلام بشأن الدنيا حينما كان قائداً عسكرياً في الحروب مع أعداء الاسلام، أو حينما كان في المدينة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كفّالاً بسيط يشتغل بالعمل والعبادة أو بالتربية والتعليم فقط.

وما أكثر من عاشوا حياتهم زاهدين، قد أغمضوا أبصارهم عن المجتمع ومسؤولياته، بل قد دحروا الدنيا بأرجلهم.

ولكنّ أهمية هذا الكلام في أنه عليه السلام قد بيّن هذا عن نفسه حينما كان على رأس قيادة المجتمع الاسلامي، تحت تصرّفه كل الامكانات المعنوية والمادية والمتع الدنيوية من دون أيّ حدود، سوى خوف المعبود.

ويقول في موضع آخر: «أفنع من نفسي بأن يقال: هذا أمير المؤمنين، ولا أشاركهم في مكاره الدهر، أو أكون أسوة لهم في جشوبة العيش، فما خلقت ليشغلني أكل الطيبات». وهي من كتابه إلى عامله على البصرة عثمان بن حنيف الأنصاري وقد بلغه أنه دُعي إلى وليمة قوم من أهلها فمضى إليها. وقال فيه: «ألا وإن لكل مأموم إماماً يقتدي به ويستضيء بنور علمه، ألا وإن إمامكم قد اكتفى من دنياه بطمريه ومن طعمه بقرصيه، ألا وإنكم لا تقدّرون على ذلك ولكن أعينوني بورع واجتهاد وعفة وسداد، فوالله ما كنت من دنياكم تبرأ، ولا ادخرت من غنائمها وفراً، ولا أعددت لبالي ثوبي طمراً، ولا حزت من أرضها شبراً»^٢.

وفي الخطبة القاصعة وهي من الخطب التعليمية والمريّة في «نهج البلاغة» يحذّر

المجتمع شر الشيطان والقادة الشيطانيين والمتكبرين والكذابين والمستبدين الذئاب، وطبقة الأشراف الفاسدين والمتعصّبين، وينبه إلى أخطار القادة الأشرار، ثم يعرّج على أوصاف وخصائص القادة الإلهيين والأنبياء والمرسلين عليهم السلام فيقول فيهم: «ولكن الله سبحانه جعل رسله أولى قوة في عزائمهم، وضعفة في ما ترى الأعين من حالاتهم، مع قناعة تملأ القلوب والعيون غنى، وخصاصة تملأ الأبصار والأسماع أذى»^١.

ومن التعاليم العالية في هذا الشأن سيرة الرسول الاكرم صلى الله عليه وآله وسلم وأحاديثه، وكذلك سيرة أمير المؤمنين عليه السلام ثم سائر الأئمة المعصومين عليهم السلام والأنبياء والأولياء والقادة الإلهيين. ومن الخطب الرائعة بهذا الشأن ما جاء في بيان أوصاف النبي الاكرم وسائر الأنبياء في خطبتي ١٠٩ و ١٠٦.



بِإِسَارَةٍ خَلْفَاءُ

بِمَنَاسِكَتِهِ بِنَادِ الْأَمَامِ الصَّادِقِ

إِزَامِيٍّ حَمَادٍ سَوِيٍّ

إِذَا لَمْ تُخَالِطْ طَهْرَهَا الْأَوْشَابُ
وَبِفَضْلِهَا اكْتَحَلْتَ لَهُ أَهْدَابُ
وَالْعَرُشُ - مُتَنَصِّبًا - هُوَ الْمَحْرَابُ
عِجْرُ الْبَيْتَانِ وَقِصْبُ الْإِعْرَابِ
هَلْ طَاطَأَتْ لِبِرَاكِمُ الْأَطْلَابُ؟
فَسُبُورِكُمْ تَتَجَمَّعُ الْأَسْبَابُ
مَا فَازَ مِنْ بَحْدِثِهَا يَرْتَابُ
طَهَّرْتَ بِكُمْ أَرْدَانَكُمْ وَفِيَابُ
مُخْتَارُهُ فَيَتَقَدَّسَتْ أَعْتَابُ
قَدْ أَسْرَعَتْ بِفَضَائِلِهَا الْأَكْوَابُ
أَنْتُمْ قُرْبَى الْكُونَ إِذَا تَنَسَّابُ
نَصْرُ الرَّسُولِ وَبَايَعُ الْأَصْحَابِ
قَبِلُوا اجْتِهَادًا غَابَ عَنْهُ صَوَائِدُ
قَدْ أَخْطَأَتْهَا سُنَّةٌ وَكُتَابُ
بُشْرَاكُمْ بَعْدَ الْغِيَابِ إِيَابُ

زَكَتِ الْبَطُونُ وَطَابَتِ الْأَصْلَابُ
مَنْ قَبْلَ آدَمَ شَعِثَتْ أَنْوَارُكُمْ
لِيَتَجَدَّ اللَّهُ الْعَظِيمُ تَحْفِيتُهُ
يَا آلَ طَبِيعَةِ قَدَرٍ وَنَبُوتٍ لَمَدَّ جُكُمُ
هَلْ فِي الْكِرَاكِبِ مِنْ سَمَا لِمَكَائِكُمْ؟
إِنْ يَسْرُفِي قِمَمُ الْفَضَائِلِ وَالْعُلَى
وَحِجَاكُمُ الرَّثِّ الْكَرِيمِ بِوَصْمَةِ
مَعْصُومَةِ أَقْوَالِكُمْ وَفِعَالِكُمْ
وَجُعِلْتُمْ سُفْنِ النُّجَبَاءِ لِأُمَةِ
مَأْمُونَةٍ دَرَّتْ سَلَكُكُمْ فَجْهًا
إِنَّ التَّرِيكَلَ فِي السَّمَاءِ لِسَمَائِنَهَا
وَكَذَا الْخِلَافَةُ فِيكُمْ مَحْضُورَةٌ
إِنْ زَحَزَحَ الْكَرَارَ عَنْهَا عُصْبَةٌ
أَوْ خَبَّبَ الْحَسْبَيْنِ هَضْبَةٌ أُمَةٌ
أَوْ خَبَّبَ الْمَهْدِيَّ جَوْرٌ مَلُوكَهَا

فُنُونٌ وَأَدَابٌ

قَلْبٌ يُؤَمِّصُ وَحَيْرَةٌ تَتَابُ^١
ولقد صدقت القومَ فيما ارتابوا^٢

إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فَيَا لَهُمْ
قد كان ذلك من بَيَانِكَ «جعفر»

فِي مَهْرَجَانِكَ يَلْتَقِي الْأَحْبَابُ
ضَحَكَتْ بِهِ الدُّنْيَا فَلَيْسَ يُرَابُ
وَيُمَثِّلُهَا لِلْمُعَقَّدِ تَمَّ نَصَابُ
أَنْوَارُهُ وَالْفَيْضُ مِنْهُ عَجَابُ
وَأَمَامَ وَحْدَتِنَا وَفِيكَ ثَنَابُ^٣
لَوْلَا جَوَائِكَ مَا اسْتَقَامَ جَوَابُ
لَوْلَا لِسَانُكَ سُدَّتِ الْأَبْوَابُ
أَمَجَادُنَا وَتَزَاوَحَ الْخُطَابُ
حَيًّا فَلَا تُصَبِّ وَلَا أُرْبَابُ
وَلَطَالَمَا قَعَدُوا وَكَانَ عِتَابُ
وَلَطَالَمَا قَامُوا فَكَانَ شِعَابُ^٤
وَتَحَرَّرَتْ أَفْهَامُهُمْ فَأَجَابُوا^٥
إِنَّ الْعَبِيدَ قُبَاعَةٌ وَهَبَابُ^٦
هَمَّ الرِّجَالِ لِيُنْقَذَ الْمَحْرَابُ

فِي إِلَيْكَ يَا سَبْطَ النَّبِيِّ تَحِيَّتِي
قُدِّسَتْ أَنْفُسًا وَقُدِّسَ مَوْلَدُ
وَنُظِمَتْ فِي عَقْدِ الْإِمَامَةِ سَادَسًا
فَمَتَّصَعَتْ أَزْهَارُهُ وَتَلَالُثُ
يَا سَادِسَ الْخُلَفَاءِ أَنْتَ وَلَيْنَا
لَوْلَا جَهَادُكَ مَا اسْتَقَامَتْ شِرْعَةٌ
لَوْلَا بَيَانُكَ مَا سَمَتْ أَفْهَامُنَا
لَوْلَا عَزَائِمُكَ الْكَرِيمَةُ مَا ازْدَهَتْ
أَنْتَ الَّذِي أَبْقَيْتَ دِينَ مُحَمَّدٍ
فَلَطَالَمَا نَادَيْتَ فِيهِمْ قَائِمًا
وَلَطَالَمَا هَادَيْتَ فِيهِمْ قَاعِدًا
طَرِبَ الَّذِينَ تَشَفَّنَتْ جِبْهَاتُهُمْ
أَمَّا الْعَبِيدُ فَلَيْسَ يُطْرِبُهُمْ نَدَى
لَا زَالَ صَوْتُكَ هَاتِفًا مُسْتَهْضًا

(١) يُؤَمِّصُ: يُوَجِّعُ وَيُؤَلِّمُ.

(٢) جعفر: أي يا جعفر، وهو الإمام الصادق عليه السلام.

(٣) سَادِسُ الْخُلَفَاءِ: الإمام الصادق عليه السلام بنص حديث النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، (راجع: صحيح مسلم).

(٤) شِعَابُ: الاضطراب وهيجان الشر.

(٥) ٣: ١٤٥٢.

(٦) الْهَبَابُ: الهباء.

(٥) تَشَفَّنَتْ: أَصْبَحَتْ كَشَفَاتِ الْبَمِيرِ.

فَتُونٌ وَأَدَابٌ

يَا أُمَّةَ الْإِسْلَامِ أَنْتُمْ قُدُورَةٌ
وَالطَّنْهُزُ فِي أَنْوَابِكُمْ وَقُلُوبِكُمْ
يَا أُمَّةَ الْإِسْلَامِ أَنْتُمْ مَعْمَدٌ
يَا أُمَّةَ الْإِسْلَامِ أَنْتُمْ قَادَةٌ
قَدْ طَالَ لَيْلُ النَّاسِ فِي ظُلُمَاتِهِ
لَوْ عِيَادُ فَيْكُمُ شَرَعُ طَهْ لَانْجَلَى
يَا أُمَّةَ الْإِسْلَامِ أَنْتُمْ دَاوُّهَا
يَا أُمَّةَ الْإِسْلَامِ أَنْتُمْ بُرُؤُهَا
لَوْ لَاحَ فَيْكُمُ هَذِي آلِ مُحَمَّدٍ
وَتَبَطَّلَعَ الْمُسْتَظْعَمُونَ لَدَيْنِكُمْ
وَتَقَدَّمُوا لِلزَّحْفِ تَحْدُوهُمْ مُنَى
وَمَعَ السَّوَاعِدِ كُلِّ سَيْفٍ صَارِمٍ
وَعَلَى الْجَبَاهِ تَرَقَّعَ وَتَوَاضَعَ
وَتَبَرَّاجَعَ الْمُسْتَكْبِرُونَ بِذِلَّةٍ
فَإِذَا الزَّمَانُ قَدْ اسْتَدَارَ كَأَمْسِهِ
تَصَفُّو الْحَيَاةَ وَتَتَضَيَّ أَكْدَارُهَا
وَالْأَرْضُ كَمَطْلَعِ كُلِّ مَا فِي أَجَوَافِهَا
وَسَمَاوُهَا تَسْهَمِي بِوَابِلِ قَطْرِهَا
يَلْكُمُ تَرَانِيمُ النُّبُوَّةِ صَاغَهَا

الْخَيْرُ فِي أَعْطَافِكُمْ وَثَابٌ
عِطْرٌ يَسْفُوحُ وَمَنْظَرٌ جَذَابٌ
لِلْعَالَمِينَ وَكُلُّهُمْ طُلَّابٌ
لِسُفِينَةِ الدُّنْيَا وَهَيْمُ رُكَّابٌ
طَالَ الْمَدَى وَتَطَاوَفَتْ أَحْقَابُ
لَيْلِ الشُّعُوبِ وَتَبَرَّتِ الْأَعْرَابُ
وَدَوَّاهُنَا لَوْ ظَلَمَةُ تَنْجَاتُ
وَشَفَاوُهَا هَلْ فَيْكُمُ مَرْتَابٌ؟
صَحَّتِ الْعَيُونُ وَمَا خَبَتْ أَرَابُ
تَزْهَوُ بِنَسَبِ الْأَقْبِلَامِ وَالْكَتَابُ
وَلَهُمْ أَمَانٌ طِيَّاتٌ عِدَابُ
وَعَلَى الْمَنَابِكِ رَايَةٌ وَكُتَابُ
وَعَلَى الشِّفَاهِ تَبَسُّمٌ وَرَضَابُ
وَتَكْشَرْتُ أَسْيَافُهُمْ وَجَرَابُ
الْحَقِّ أَبْلُجُ وَالضُّيَاءُ إِهَابُ
وَالنُّورُ يَسْطَعُ وَالظُّلَامُ يُذَابُ
مَنْ نَسَعَةٍ فَعَطَاوُهَا تَسْكَابُ
وَتَسَابَعَتْ خَيْرَاتُهَا تَسَابُ
لِلشُّمْرِ قِلْتُ وَلِزُؤِهِ اسْتَعْدَابُ



(١) أُمَّةُ الْإِسْلَامِ: الْأُمَّةُ مِنَ أَهْلِ الْبَيْتِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، بِنَاءٌ عَلَى تَفْسِيرِ آيَةِ الْكَرِيمَةِ: ﴿وَمَنْ خَلَقْنَا أُمَّةً يَهْدُونَ بِالْحَقِّ﴾ (الأعراف: ١٨١)، حَيْثُ وَرَدَ فِي تَفْسِيرِهَا عَنِ النَّبِيِّ ﷺ عَلَى اللَّهِ عَلَيْهِ وَآلِهِ أَتَاهَا هِيَ عَلَى عَلَيْهِ السَّلَامُ وَالْأُمَّةُ الْمُعَصِّرِينَ مِنْ بَعْدِهِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ. «رَاجِعْ شَوَاهِدَ التَّنْزِيلِ ١: ٢٠٤، وَالدَّرَ الْمَشْهُورُ ٣: ٢٢٧»

المدرسة الاستشراقية

(١)

المدرسة الاستشراقية الفرنسية

الشيخ فؤاد كاظم القلادحي

«مدخل» :

لقد أصبح من الواضح لدينا أن حقيقة الاستشراق والتعريف الدقيق له هو : أنه حركة ذات جذور ودوافع أوسع وأعمق من المدعى المعلن له من أنه : عمل علمي محض يُعنى باللغات والآداب والعلوم الشرقية، أو أنه اتجاه علمي لدراسة الشرق الاسلامي وحضارته. بل إن هذا الادعاء لا يعدو كونه ظاهراً يُخفي تحته أهدافاً غير معلنة هي الواقع الحقيقي من ورائه. وقد تجلّت هذه الاهداف شيئاً فشيئاً في القرنين الاخيرين حتى بان - بشكل لا يدع مجالاً للشك والتردد - أن الاستشراق قد استوعب في حركته أغلب التطلعات الحضارية لأوروبا، ومهد لحركتها الاستعمارية في الشرق.

وتأكد هذا المعنى عند استعراضنا لنشأة الاستشراق وتبلوره ضمن مسير حركته الأولى، وسيؤكد لنا أكثر عند تقييمنا للجهد الاستشراقي المطروح ضمن مراحل تكوّنه وصيرورته إلى عصرنا الحاضر. وتمهيداً لذلك نعرض عدّة خلفيات في واقع المستشرقين استلّت من خلال قسمي البحث السالفين لنسلط من خلالها الضوء على منهجية التقييم والمراحل التي مرّ بها :

الخلفية الأولى : بلحاظ نشأة الاستشراق واقتترانه بالتبشير بصبغته الاستعدادية التي

بدأ بها بهدف اختراق المسلمين ثقافياً، لدحرهم باستلاب مواطن قوتهم وإخمادها في واقعهم، نجد أن أوائل المستشرقين كانوا مبشرين نصاري، وكان طابع احتقار الاسلام والمسلمين السمة البارزة في اتجاهاتهم الفكرية والثقافية، مما انعكس بشكل كبير على ما استهدفوا دراسته من الاسلام وواقع المسلمين، فجاءت تلك الدراسات والأبحاث مشوهة ناقصة مملوءة بالمثالب والإفتراءات التي لا تستند إلى دليل، فهم لا يرون لغير مذهبهم فضلاً وحقاً في الوجود. يقول هنري جيسب المستشرق والمبشر الأمريكي: «المسلمون لا يفهمون الأديان ولا يقدرونها قدرها...إنهم لصوص، وقتلة، ومتأخرون، وإن التبشير سيعمل على تمدينهم»^١. إن هذا المعنى الذي أشرنا إليه يعتبر جزءاً أساسياً من التفكير الأوروبي، وغريزة موروثه، وانطباعاً راسخاً فيهم منذ سقوط الأندلس.

وقد اتخذت المواجهة للاسلام شكلاً جديداً بعد الحروب الصليبية، حيث انتهجت أسلوب الغزو الفكري المبرمج للمسلمين بهدف فصلهم عن الأسس والمضامين الحية لدينهم، والتي يكمن فيها سر قوتهم، مما خلف تأثيرات بالغة في عقول الأوروبيين استثمارتها المؤسسات السياسية، ووضفتها في عملية خلق الأرضية الفكرية والثقافية للقيام بغزو شامل للشرق وإحكام السيطرة الاستعمارية عليه.

الخلفية الثانية: إن المستشرقين الذين كرّسوا حياتهم لدراسة كل ما يتعلق بالاسلام ببعديه الايديولوجي والحضاري قد تركّز في أذهانهم اعتقاد ثابت بأن الاسلام الأصيل يشكل خطراً حقيقياً يقف سداً منيعاً أمام كل التطلعات الاستعمارية - لدولهم الأوروبية - في الشرق، بل إنه يحمل في واقعه النقيض الشامل لمدارسهم الفكرية وكيانهم الحضاري، ويهدّد بالزوال كل وجودهم القائم على أساسها لما يملكه من عمق وواقعية وشمولية منحتهم وتمنحه القدرة الفائقة على التغيير والامتداد إلى أي مجتمع إنساني يجد

(١) د. خالد د. د. فروخ - التبشير والاستعمار في البلاد العربية : ٣٧.

طريقاً للنفوذ إليه. وإلى هذا يشير لورانس براون بصراحة في كتابه الذي أصدره عام ١٩٤٤م قائلاً: «إن الخطر الحقيقي كامن في نظام الاسلام وفي قدرته على التوسع والاختضاع وفي حيويته. إنه الجدار الوحيد في وجه الاستعمار الأوربي». ويضيف براون في مناسبة أخرى قائلاً: «إذا اتحد المسلمون في امبراطورية أمكن أن يصبحوا لعنة على العالم وخطراً... أما إذا بقوا متفرقين فإنهم يظلون حينئذ بلا وزن وتأثير»^١.

وبنفس المضمون نشرت مجلة العالم الاسلامي The Muslim World - الاستشراقية التي تصدر في لندن - في عددها المؤرخ في حزيران سنة ١٩٣٠م ما نصّه: «إن شيئاً من الخوف يجب أن يسيطر على العالم الغربي، ولهذا الخوف أسباب منها: أن الاسلام منذ أن ظهر في مكة لم يضعف عددياً، بل هو دائماً في ازدياد واتساع، ثم إن الاسلام ليس ديناً فحسب^٢، بل إن من أركانه الجهاد. ولم يتفق قط أن شعباً دخل في الإسلام ثم عاد نصرانياً»^٣. ولعلّ المستشرق الألماني كارل بيكر كان أكثر صراحة حينما قال: «إن هناك عداءً من النصرانية للاسلام، بسبب أن الاسلام عندما انتشر في العصور الوسطى أقام سداً منيعاً في وجه انتشار النصرانية ثم امتد إلى البلاد التي كانت خاضعة لوصولها»^٤.

الخلفية الثالثة: إن منهجية البحث الاستشراقي ومنطقه عبارة عن محاكاة المادية الوضعيّة ومنهج العلمانية الضاربة في صميم الوجود الغربي، وإن رؤيته متزعة من بيئة تلك المنهجية الغربية. لذلك فقد كانت الدراسات الاستشراقية بعيدة كل البعد عن

(١) 48 - 44 : Islam And Missions, C F Brown, 37 عن د. خالدي، مصطفى ود. فروخ، عمر - التبشير والاستعمار في البلاد العربية: ٣٧.

(٢) يقصد - حسب عقيدتهم - أن الدين هو الذي ينحصر في إطار الكنيسة والطقوس المقررة من قبلها فقط، لا كما نعتقد من أن الدين - كما هو الاسلام - عقيدة ونظام شامل لكافة أبعاد الحياة وجوانبها.

(٣) عدد يونيو سنة ١٩٣٠م تحت عنوان «الجغرافية السياسية للعالم الاسلامي».

The Political Geography Of The Mohammadan World.

(٤) راجع د. محمد البهي في «الفكر الاسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي»: ٥٢٧. وراجع أيضاً جريدة البلاغ الكويتية العدد ٥٨: ١٢. وراجع أيضاً مجلة البعث الاسلامي الهندية العدد ٩، السنة الثامنة.

المسلك الإلهي والمنطق العقلي الذي تتميز به المدرسة الإسلامية، إن لم نقل إنها جاءت مشبعة بالروح المادية التي تتحكم في طريقة تفكير تلك المجتمعات، وبهذا الصدد يرى دينيه^١ مثلاً: «إنه من المتعذر إن لم يكن من المستحيل أن يتجرد المستشرقون عن عواطفهم وبيئتهم ونزعاتهم المختلفة...، وإنهم لذلك قد بلغ تحريفهم لسيرة النبي والصحابة مبلغاً يخشى على صورتها الحقيقية من شدة التحريف فيها. ورغم ما يزعمون من اتباعهم لأساليب النقد البريئة ولقوانين البحث العلمي الجاد فإننا نلمس من خلال كتاباتهم محمداً صلى الله عليه وآله يتحدث بلهجة ألمانية إذا كان المؤلف ألمانياً، ولهجة إيطالية إذا كان الكاتب إيطالياً، وهكذا تتغير صورة محمد صلى الله عليه وآله بتغير جنسية الكاتب. وإذا بحثنا في هذه السيرة عن الصورة الصحيحة فإننا لنكاد نجد لها من أثر. إنَّ المستشرقين يقدمون لنا صوراً خيالية هي أبعد ما تكون عن الحقيقة. إنها أبعد عن الحقيقة من أشخاص القصص التاريخية التي يؤلفها أمثال «وولتر سكوت»^٢، و«الكسندر دumas»^٣. وذلك أن هؤلاء يصورون أشخاصاً من أبناء قومهم، فليس عليهم إلا أن يحسبوا حساب اختلاف الأزمنة. أما المستشرقون فلم يمكنهم أن يلبسوا الصورة الحقيقية لأشخاص السيرة، فصوّروهم حسب منطقهم الغربي وخيالهم العصري»^٤.

إنَّ من الأمور التي باتت واضحة اليوم هي ارتباط المنهج - كروية فكرية وطريقة للعمل - بالموقف الفكري والثقافي من حيث الانتماء والهوية، وهذه العلاقة لا تستثنى في حقل دون حقل، ولا في طريقة دون أخرى.

(١) هو «ألفونس اتبان دينيه»، وهو عالم مستشرق درس الشرق ونتاجه دراسة عميقة حتى اهتدى إلى الاسلام واعتنقه وأصبح سيقاً من سيوفه يدافع عنه وبرذ الشبه والمكائد التي يثيرها أعداؤه «من بحث للدكتور شوقي أبو خليل».

(٢) سكوت (وولتر) : (١٧٧١ - ١٨٣٢) م، شاعر وروائي اسكتلندي من أشهر رواياته «آيفنهو» و «ابنة الجراح» (موسوعة المورد ٩ : ١٠).

(٣) دumas (ألكسندر) : روائي فرنسي (١٨٠٢ - ١٨٧٠) م، وضع عدداً كبيراً من الروايات التاريخية. من أشهر رواياته : «الفرسان الثلاثة» و «الكونت دي مونت كريستو» (موسوعة المورد ٤ : ٧).

(٤) دينيه «محمد رسول الله». المقدمة : ٢٧ و ٢٨، ٤٣ و ٤٤.

فخلاصة الخلفيات السالفة الذكر هي : أن جهود المستشرقين وثمرات حركتهم تصدر جميعاً وفق أهدافٍ مشخصة سلفاً، وتقع - عند التأمل - على نسق واحد يتمثل في موقفهم الفكري والثقافي وما يلزمه من دفاع عن الهوية الأوربية بصورة عامة. ولهذا السبب نجدهم قد جانبوا الحق، فأوقعوا الكذب والاختلاف في دراساتهم، فكانت أساليبهم لا تنبئ عن أمانتهم وصدقهم في مجالات البحث العلمي مترسمين هدفهم الراسخ أولاً وقبل كل شيء وهو : تمهيد الأرضية لعالمية أوربا وسيطرتها كقاعدة تأسست عليها الحركة الاستشراقية العالمية.

المدارس الإستشراقية :

عندما نريد أن نشخص الاهداف الحقيقية للاستشراق كحركة لها مراحلها وأدوارها، لا بد من استقراء الواقع الميداني الفعلي لها ضمن خلفياته التاريخية ومناطق نموه التي وُلد وترعرع في أحضانها. وعليه فقد ارتأينا أن نصنّف الاستشراق إلى مدارس تعتمد أولاً على جنسية المستشرق وانتمائه إلى وطنه الأم. وثانياً على مراكز التنظير والجهد الاستشراقي، وذلك لما لهما من تأثير على الطرح الاستشراقي للمدرسة المعنية. وسوف ينعكس تقييمنا للجهد الاستشراقي من خلال :

١ - استعراض أبرز الشخصيات التي عملت في هذا الحقل، وكانت بحق من الرواد الحقيقيين لتلك المدرسة.

٢ - المصنّبات الموضوعية الأساسية التي وقع الجهد الاستشراقي عليها.

٣ - نماذج مختارة من الجهد الموسوعي للمستشرقين، والتي تعتبر من المصادر العلمية المهمة عند الكثير من الباحثين المؤرخين. مع أننا سوف نبين الخلط والابتعاد عن الروح العلمية في أغلب الموارد التي تعرّضت لها هذه الموسوعات. ويمكن أن نقسّم المدارس الاستشراقية إلى نوعين :

الأول : المدارس الرئيسية ذات التأثير المستقل الفاعل على الدراسات والبحوث الاستشراقية العالمية، والتي لم تكن نشاطاتها تقتصر على الجوانب العلمية فحسب، بل امتدّت لتشمل الجوانب السياسية والاقتصادية والاجتماعية، ورسمت الكثير من الخطوات على طريق الأحداث والتغيرات السياسية وملحقاتها في العالم.

الثاني : المدارس الثانوية التي لم يكن لها الثقل المهم في مجمل الحركة الاستشراقية، أو التي انحصرت نشاطاتها في فترات زمنية محدودة، أو كانت لها نشاطات مشتركة مع إحدى المدارس الرئيسية، بحيث كانت تأثيراتها تصبّ ضمن أهداف تلك المدرسة.

إن اختيارنا للمدارس يجب أن يتمّ بشكلٍ يحقق الغرض من ملاحظتها ودراستها، وهو الإحاطة بكافة الأبعاد الأساسية للجهد الاستشراقي لهذه المدارس كلاً على حدة، مما يقودنا إلى الانتخاب وفق الضرورة الموضوعية التي تُبرز الأهم والأخطر والأكثر عمقاً من بين هذه المدارس.

القسم الأول : مدارس الاستشراق الرئيسية :

إنّ تعييننا لهذه المدارس وتبسيط الضوء عليها سيكون منسجماً مع الهدف من دراسة الاستشراق، وهو كشف دوره في حركة الاستعمار الأوربي للشرق الاسلامي، وإنّ الأسلوب الذي اعتمدناه في طرح المدارس سيحدد هذا الدور الخطير ببعديه الفكري والميداني، وتزامنه مع حركة الاستعمار العسكري وغزوه الحضاري لهذه المنطقة، والذي من أبرز معالمه جملة من النظريات والاطروحات المستحدثة التي تلبّست بالقومية أو الوطنية تارةً، وبالتمدّن والتحديث تارةً أخرى، وبالدفاع عن حق الشعوب تارةً ثالثة. وعلى الرأس من هذه وتلك زرع الكيان الصهيوني الغاصب في قلب العالم الاسلامي، وجعله بؤرة للقلق والاضطراب في المنطقة، ومركزاً لتحقيق الأطماع

الاستعمارية والطموحات الاستكبارية.

ويمكن ذكر المدارس الرئيسية بشيء من التفصيل حسب التسلسل التالي :

١ - المدرسة الاستشراقية الفرنسية :

يمكن القول إن المعالم الرئيسية للمدرسة الاستشراقية الفرنسية قد بدت واضحةً بعد فشل الحروب الصليبية التي شنها الغرب المسيحي على المسلمين، والتي كان لفرنسا الحظ الأوفر في اندلاعها وقيادتها قرابة ثلاثة قرون انتهت بطرد الافرنج تماماً من الأراضي العربية الاسلامية على يد المماليك في أواخر القرن الثالث عشر. ولعل ما نادى به لويس التاسع^١ بعد فشله في إحدى الحملات الصليبية^٢ دليل على أنها كانت أرضاً خصبة لنمو الاستشراق مما ساعد على تأسيس مدرسة كان لها الدور الكبير في رفق الحركة الاستشراقية العالمية. وليس من باب المصادفة أن تكون أول ترجمة للقرآن الكريم قد تمت في فرنسا، وبقيت محفوظة في دير كلوني بجنوبي فرنسا حتى سنة ١٥٤٣ م، ولا بدون قصد أن تبدأ مرحلة التنظيم الفعلي لحركة الاستشراق من فرنسا في مطلع القرن الثامن عشر، وأن يعقد أول مؤتمر عالمي للمستشرقين في باريس عام ١٧٨٣ م. كما أن أول جمعية للمستشرقين تأسست في باريس باسم جمعية باريس الآسيوية Societe Asiatique De Paris في سنة ١٨٢١ م، والتي أصدرت دوريتها تحت اسم «المجلة الآسيوية» Asiatique Journal في سنة ١٨٢٢ م.

المميزات الأساسية للمدرسة الفرنسية للاستشراق :

من الواضح لمتتبعي شؤون الحضارات الإنسانية أن لأوروبا حضارة خاصة تتميز بها

(١) لويس التاسع، (١٢١٤ - ١٢٧٠) م أشهر الملوك الفرنسيين، قاد الحملتين الصليبيتين : السابعة والتي وصل فيها إلى دمياط عام ١٢٤٩ م، وأسر في معركة المنصورة عام ١٢٥٠ م، وانقلب إلى فرنسا بعد أربع سنوات. وقاد الحملة الصليبية الثامنة ولكنه مات بالطاعون في تونس بُعيد مغادرته فرنسا عام ١٢٧٠ م. «المنجد في الأعلام، وموسوعة المورد ٦ : ١٤٦».

(٢) راجع القسم الثاني من الموضوع المنشور على صفحات العدد الثاني من المجلة.

عبر تاريخها الطويل، إلا أن الذي نريد أن نضيفه هنا أو نؤكد عليه هو أن لبعض الشعوب الأوروبية - خصوصاً الكبيرة منها - بعض الخصائص الحضارية التي تتميز بها عن غيرها من شعوب أوروبا تدفعنا لأخذها بنظر الاعتبار ضمن المؤثرات الإيديولوجية على موضوع دراستنا للاستشراق، وبعبارة أخرى: إن منهج دراستنا للمدارس الاستشراقية التي برزت على سطح الواقع الميداني سيتم على ضوء تشخيصنا المسبق للخصائص الإضافية لبلد ومجتمع المدرسة الاستشراقية التي نشأت فيه وترعرعت في أجوائه الحضارية. إذن فالتمييز بين مدرسة استشراقية وأخرى سوف لا يلحظ في جانبه الميداني جغرافياً فقط، بل يلحظ في جانبه الميداني حضارياً أيضاً، والمدرسة الفرنسية للاستشراق ممّن ينالها نصيب بارز من هذا اللحاظ. وباستقراءنا للنماذج البارزة من المستشرقين الفرنسيين في إطار التاريخ الفرنسي يمكننا استخلاص المميزات الأساسية التالية لهذه المدرسة:

(١) العداوة والحقد للإسلام كدين وللحضارة الإسلامية بمختلف معطياتها وانعكاساتها وامتداداتها الزمانية والمكانية: ويعزى ذلك إلى الصراع الطويل الذي كان محتدماً بين الطرفين إثر استيلاء فرنسا بشكل خاص، وأوروبا بشكل عام على صوت الإسلام والدعوة الإسلامية، حيث كانت غارقة في وحشة القرون الوسطى والحروب القبلية، والصراعات بين الأمراء والنبلاء والملوك، وحيث تحكم الكنيسة بأفكارها الخرافية وسيطرتها على مراكز القرار، وابتداع أساليب الظلم والجور باسم الدين المسيحي. في هذه الفترة المظلمة جاء الإسلام بمثابة حافز ومنبّه عظيم لايقاظ الفرنسيين بالخصوص، لأن الدولة الإسلامية أصبحت قريبة ومجاورة للجسد الأوربي «في أسبانيا والبحر الأبيض المتوسط وجنوبه» وهي تحمل فكراً جديداً وعقيدة ساطعة. فلم يكن من الكنيسة وملوك فرنسا إلا أن يشحنوا الفرنسيين بالعداء للمسلمين على أنهم كفرة برايرة يجب مواجهتهم بعنف دموي وسحقهم وإبادتهم. وابتدأت المعارك فكانت «بلاط

الشهداء، المعركة الاولى عام ٧٣٢ م التي مهّدت للحروب الصليبية، حتى تمكّن الفرنسيون عام ١٠٩٩ م من دخول القدس بقيادة «غودفري دي بويون»^(١). ولم تكن هذه هي المعركة الوحيدة التي خاضها الفرنسيون ضد المسلمين، فقد قاد الفرنسيون لوحدهم خمس حملات صليبية كان آخرها الحملة الصليبية الثامنة عام ١٢٧٠ م، والتي قادها لويس التاسع، وقد مُنيت بالفشل الذريع.

إن هذا الصراع المرير قد انعكس على كافة الجوانب الحياتية للفرنسيين، حتى امتدّ إلى الحياة الأدبية والثقافية، وألقت بظلالها الثقيلة على الدراسات والبحوث التي تعالج قضايا الشرق عموماً، والإسلام بشكل خاص. فجاءت العديد من الدراسات محمّلة بالتشويه المتعمّد لصورة الإسلام وشخصيّة النبي الأكرم محمد (صلى الله عليه وآله وسلّم)، كما في كتاب «تاريخ فرنسا» للمستشرق الفرنسي «جوليمين» حيث جاء: «إنّ محمّداً مؤسس دين المسلمين قد أمر أتباعه أن يُخضعوا العالم، وأن يُبدّلوا جميع الأديان بدينه هو، ما أعظم الفرق بين هؤلاء الوثنيين «المسلمين» وبين النصارى؟ إن هؤلاء العرب قد فرضوا دينهم بالقوة وقالوا للناس أسلموا أو موتوا، بينما أتباع المسيح ربّحوا النفوس ببرّهم وإحسانهم. ماذا كان حال العالم لو أن العرب انتصروا علينا؟ إذن لکنّا مسلمين كالجزاريين والمراكشيين»^(٢). وعندما نلاحظ كتابات الفرنسيين نراهم يضعون أنفسهم في أوروبا ثم ينظرون منها، فيعكسون وجهة نظر الغرب إلى الشرق الإسلامي، كما جاء في الدراسة التي أعدها المستشرق الفرنسي اليهودي الأصل «مكسيم رودنسون» تحت عنوان «الصورة الغربية والدراسات الغربية الإسلامية»، نختار منها المقاطع التالية مصداقاً لما أشرنا إليه: «كان المسلمون يشكّلون تهديداً للعالم المسيحي الغربي قبل أن يصبحوا مشكلة بزمان طويل. فقد

(١) غودفري دي بويون (١٠٦٠ - ١١٠٠ م) : أمير فرنسي اشترك في الحملة الصليبية الاولى (١٠٩٦ - ١٠٩٩ م) وأسهم في حصار القدس، أول ملوك المملكة اللاتينية في بيت المقدس (١٠٩٩ - ١١٠٠ م)، توفي بعد أن أصيب بحمّى التيفوئيد في أغلب الظن، عدّته الاساطير المتأخرة «الفارس النصراني الأمثل». موسوعة المورد ٧: ٥.

(٢) جوليمين، «تاريخ فرنسا» : ٨٠ - ٨١.

حدث - في نظر الأوروبيين - تحول في القوى في الأقسام البعيدة من الشرق، وقام شعب هائج هم «العرب أو السراسنة»^١ عرف بالسلب والنهب، وهو علاوة على ذلك شعب غير مسيحي، فاجتاح وخزّب أراضي واسعة، وانتزعها من قبضة المسيحية... ولقد وصلت الكارثة أخيراً إلى أسبانيا والشواطي الإيطالية وبلاد الغال، وكانت موجة البرابرة الغزاة ذاتها هي دائماً المسؤولة»^٢.

(٢) الروح الصليبية النصرانية كانت غالبية على معظم كتابات المستشرقين الفرنسيين : حتى يمكن القول إن المدرسة الفرنسية قد نصبت نفسها حامية للنصارى، رافعة شعار الدفاع عن الشرقيين منهم، مستخدمة بذلك شتى الوسائل والأساليب لتحقيق هذا الهدف، وهذا يفسّر لنا سرّ الإسفاف والسقوط في الافتراء الذي مارسه المستشرقون الفرنسيون لتشويه الحقائق الإسلامية.

ومما يحكي هذه الحقيقة بل هو دليل صريح عليها ما جاء في كتابات المستشرق الفرنسي رودنسون ما نصّه : «لقد برزت صورة الإسلام، ليس كما قال البعض بنتيجة الحروب الصليبية، بقدر ما برزت بنتيجة الوحدة الإيديولوجية التي تكوّنت ببطء في العالم المسيحي اللاتيني. وقد أدّت هذه الوحدة إلى رؤية أوضح لمعالم العدو، كما أدّت إلى تظافر الجهود نحو الحروب الصليبية، وفي القرن الحادي عشر وبنتيجة زيارات الحجّاج المتزايدة في العدد وفي التنظيم للأرض المقدسة «في فلسطين» والتي كانت قد تحوّلت إلى هجمات مسلّحة ضد

(١) السراسنة : هذه الكلمة آتية من الكلمة اللاتينية Saracenus (نقلاً عن اليونانية Sarakenos)، وتطلق على المسلمين. وقد ظهر هذا الاصطلاح للمرة الأولى في مؤلفات كتاب القرن الأول الميلادي، وقصدوا به البدو الذين كانوا يعيشون منذ أزمان طويلة على أطراف المناطق الزراعية ما بين النهرين، ويهدّدون طرق التجارة أو يحملونها بتكليف من القوتين العظميين يومذاك : الرومان والفرس، والكلمة في اليونانية تعني ساكني الخيام، وتستخدم في كتابات الأوروبيين استخداماً يعطي معنى السلب والنهب والتدمير، ولا تطلق إلا على المسلمين. (راجع تراث الاسلام ترجمة د. السهموري، الهامش : ٢٨)

(٢) رودنسون، مكسيم : (تراث الاسلام)، القسم الأول. تصنيف : شاخت وبوزورث، ترجمة : د. السهموري : ٢٧ و ٢٨.

(البدو أصحاب السلب والنهب) «المسلمين»، توطّد لدى الأوروبيين المثل الذي يمكن أن يحتذى للدخول إلى الأرض المقدّسة. كما أنّ القيمة الأخروية للقدس وللقبر المقدّس الذي دَنّسه وجود الكفّار، والقيمة التطهيرية للحج، والفكرة القائلة بأنّه من الواجب تقديم العون للمسيحيين الشرقيين الذين أُذِلّوا، كانت كلها من الأمور التي أدّت إلى جعل الحملة على الأرض المقدّسة واجباً مقدّساً يوضع نصب أعين المؤمنين (المسيحيين) ^١.

(٣) تعميق الروح العنصرية للثقافة الفرنسية في الدراسات الاستشراقية وإبراز التراث والتاريخ الفرنسي بشكل مبالغ به، والتمجيد بحضارة الاغريق التي تنتمي لها فرنسا، والحط من قيمة الحضارة الاسلامية والعربية، والتقليل من شأن اللغة العربية «لغة القرآن الكريم»: وهنا لابدّ من الاشارة إلى نقطة جوهرية وهي: أن الثقافة الفرنسية المعدّة للتصدير، والتي سرت إلى تنظيرات الدراسات الاستشراقية، هي ثقافة نصرانية خالصة، بل هي تجهّز وتعدّ إعداداً خاصاً للتصدير إلى الأمة الإسلامية.

تقول جريدة «لاستامبا» الايطالية النصرانية عن ذلك: «إنّ وطنيّة الرهبانيات الفرنسية في المشرق هي وطنية نقية وغيورة، والثقافة التي تنشرها هي ثقافة مسيحية خالصة وفرنسية واضحة، إنّها قبل كل شيء ثقافة فرنسية، ومن ثم مسيحية، لقد أصبحت فرنسا سيدة...» ^٢. وقد ذكر ذلك الشاعر الباكستاني المعروف محمد إقبال، حيث قال: «إن سحر الافرنج أو فنّه - ثقافته - أذاب الصخور وأسالها ماء» ^٣.

والشواهد كثيرة لبيان تأثير التعصّب للثقافة الفرنسية على المدرسة الاستشراقية الفرنسية، منها كتاب «مجد الاسلام» للمستشرق الفرنسي «جاستون فييت». والذي يلفت النظر في أغلب كتب المستشرقين هذه هو: العناوين البرّاقة لكتبهم

(١) رودنسون، مكسيم «تراث الاسلام»، تصنيف: شاخت وبوزورث، ترجمة: د. السهموري: ٣١.

(٢) مجلة المنتقى، العدد الأوّل، نفاً عن مجلة لاستامبا الايطالية.

(٣) الندوي، أبو الحسن «الصراع بين الفكرة الاسلامية والفكرة الغربية»: ١٧٢.

والتي تخالف المضمون الحقيقي لها بشكل كامل، ولعلها إحدى الأساليب لخداع القراء المسلمين، حيث أن العنوان المتحقق يخفي بين طياته سموماً تعمل عملها في نفسية القراء وأذهانهم. فكتاب «مجد الاسلام» مثلاً الذي أشرنا إليه يبدأ من فصله الأول وحتى نهايته بتريد أفكار مشوهة عن الإسلام، وعن الرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)، وعن التاريخ الإسلامي، طالما قد تكررت في كثير من كتب المستشرقين.

فمثلاً عندما يتحدث الكاتب عن التاريخ الإسلامي لا يذكر إلا الوقائع والحروب فقط، وقيام الدولة الإسلامية وسقوطها، وقد فاتته أن للمسلمين تاريخاً آخر غير هذه السلسلة الطويلة من الوقائع والحروب، فاته تاريخ المجتمع الإسلامي كيف نشأ وكيف قام، وكيف تطوّر وشيّد حضارة امتدّ إشعاعها إلى أوروبا بالذات، في وقت كانت غارقة في ظلمات الجهل والانحطاط. كما لا يتناول تاريخ اللغة العربية، وكيف سارت من الخليج إلى المحيط. فليس بين فصول الكتاب ذكر لنواحي حضارتنا الإسلامية، أو أثر لثرائنا ودوره العلمي في انتشار الإسلام. وكل ما هناك هو أنه يقف في نهاية الكتاب - وهو بيت القصيد - فيقول: «إن الحضارة الإسلامية ركزت لأنها لم تقم على أساس حضارة اليونان»^١. وسنشير فيما بعد إلى أمثال هذه النماذج عند الدخول في تفصيل دراسة الجهد الاستشراقي إن شاء الله.

(٤) - نزعة التعصب الاستكباري التي نجدها مهيمنة على أغلب الدراسات الاستشراقية للمدرسة الفرنسية: وقد أشرنا إلى هذا المعنى سابقاً في باب «هوية الاستشراق» بما كتبه المستشرق الفرنسي «هانوتو» الذي كان يعمل مستشاراً لوزارة المستعمرات الفرنسية حيث قال: «إن شعباً جمهوري المبادئ «شعب فرنسا» يبلغ عدد نفوسه أربعين مليوناً لا مرشد

(١) من دراسة حول كتاب «مجد الاسلام» للاسناذ الدكتور حسين مؤنس، استاذ التاريخ الاسلامي بجامعة القاهرة، نشرت بالملحق الأدبي لجريدة الاهرام «أهرام الجمعة»، وتتضمن عرضاً وتحليلاً ومناقشة للفكر الاستشراقي يبين واقع انتاجه العلمي.

له إلا نفسه، لا عائلات ملوكية فيه يتنازعن الحكم، ولا رؤساء يتناولون الرياسة بطريق الوراثة، هو الذي تقلّد زمام إدارة شعب آخر لا يلبث أن ينمو حتى يساويه في العدد، وهو ذلك الشعب المنتشر في الأرجاء الفسيحة والأصقاع المجهولة، والمتّبع لتقاليد وعادات غير التي نعوّلها ونحترمها... وهو الشعب الإسلامي السامي الأصل، الذي يحمل إليه الشعب الآري المسيحي الجمهوري الآن ملح المدنية وروحها»^١.

ويمكن أن نستطلع رأي مستشرق فرنسي آخر وهو «مكسيم رودنسون» الذي يعتبر أحد أركان مدرسة الاستشراق الفرنسية، والذي يتجلّى بالبزّة العنصرية الاستكبارية بشكل لا يقبل الشك حيث يقول: «وهكذا بعد أن أصبح القتال أكثر تركيزاً وتوجيهاً، كان لا بدّ من إعطاء العدو صفات أوضح وأدق، وكان لا بدّ من تبسيط صورته وإعطائها طابعاً نمطياً. كان «السرّاسة» - يقصد بهم المسلمين - بالنسبة للحجّاج - المسيحيين - مجرد أعداد زائدة لا وجود لها، ومجرد قفّار تافهين، حكماء بحكم الأمر الواقع، يتحرك المرء بينهم بلا مبالاة... وفي الواقع لم تكن لدى أوروبا المسيحية صورة واحدة عن العالم المعادي الذي كانت في صدام معه، بل كانت لديها عدة صور...»^٢.

إن الاستكبار الأوروبي لعب دوراً كبيراً في تحديد طبيعة النظرة الأوروبية إلى الشرق الإسلامي، وخصوصاً بعد منتصف القرن التاسع عشر. يقول المستشرق رودنسون: «لقد كان التفوق الأوروبي من النواحي الاقتصادية والفنية والعسكرية والسياسية والثقافية طاغياً، في الوقت الذي كان فيه الشرق يفرق في التخلف، وأصبحت إيران والإمبراطورية العثمانية - عملياً - محميتين أوريثيتين»^٣.

لقد أرادت فرنسا أن تكون حاملة للواء العظمة الأوروبية في العالم، وانعكست هذه الإرادة على الثقافة الاجتماعية والرأي العام للمجتمعات الشرقية، فأصبح كل ما من شأنه

(١) د. محمد البهي «الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي»: ٣٢.

(٢) رودنسون، مكسيم «تراث الإسلام»، تصنيف: شاخنت وبرزورث: ٣١ و ٣٢.

(٣) مجلة رسالة الجهاد، العدد ٧٠، السنة السابعة: الاستشراق في الميزان: ٥٩.

أن يفتح نافذة التطلّع نحو الإسلام أو العودة إلى تحكيمه، أو دراسة منهجه الأصلي وتأثيره في العالم الإسلامي ضرباً من الجمود والتجبر، ونزوعاً نحو الرجعية والتخلف والتعصب. وهذه هي صورة التطلّعات الإسلامية في نظر المستشرقين الفرنسيين، أو هكذا يصوّرونها للآخرين من خلال كتاباتهم ومناهج عملهم.

فمثلاً، عندما تأسست «حركة الجامعة الإسلامية»^١ في القرن التاسع عشر كردّة فعل للاستعمار الأوروبي، وازدياد نفوذ دوله على حساب الدول الإسلامية، تعالت صرخات الغرب والأوروبيين بشكل خاص في وجه هذه الحركة. وبفعل الوسائل الإعلامية والثقافية كالصحافة والأدب والفنون الأخرى استطاعت هذه الدول الاستعمارية توجيه المجتمع الأوروبي ورأيه العام ضد هذه الحركة. وقد كتب أحد المستشرقين الفرنسيين في ذلك قائلًا: «كانت حركة الجامعة الإسلامية (Pan - Islamism) هي الغول المرعب في ذلك العصر، على نفس الطريقة وفي نفس الزمن اللذين انتشر الرعب فيهما من «الخطر الأصفر»^٢، وكانت هذه الكلمة - حركة الجامعة الإسلامية - نفسها توحى بالتطلّع الإسلامي للسيطرة وبايدولوجية عدوانية، وبمؤامرة على نطاق عالمي»^٣.

نشأة المدرسة الاستشراقية الفرنسية وعوامل نموّها وتطوّرها :

إن تاريخ نشوء المدرسة الفرنسية للاستشراق يرجع في بداياته الأولى إلى الفترة الزمنية التي بدأت بها فرنسا الاحتكاك بالشرق الإسلامي مع بداية ظهور الاسلام في

(١) حركة ظهرت في القرن التاسع عشر، واستهدفت توحيد المسلمين في دولة كبرى على رأسها خليفة قادر على وقف الغزو النصراني للديار الإسلامية، يعتبر جمال الدين الأفغاني أبرز الداعين إليها. وقد رعاها السلطان عبد الحميد الثاني، وشنّ حملة واسعة للتبشير بها، بيد أن أثرها ضعف وتضاءل إثر سقوطه عام ١٩٠٩ م. وهي غير الجامعة الإسلامية المحدثة التي تأسست بعد الحرب العالمية الثانية. (عن موسوعة المورد ٧ : ١٩٨).

(٢) يُزعم أنه ناشيء عن تعاطف قوّة العرق الأصفر بملايينه التي تفوق الحصر، وقد يطلق على العرق الأصفر نفسه بوصفه مصدر هذا الخطر. (عن موسوعة المورد ١٠ : ١٨٥).

(٣) CF, J - J. Wardenburg, L' Islam Dans Le Miroir De l' Occident (Paris - The Hague, 1963), PP. 102 - 6.

شمال إفريقيا، ثم أعقبته المداخلة الميدانية في أسبانيا بعد إسقاط الدولة البيزنطية وتأسيس دولة الأندلس في نفس الفترة الزمنية التي ابتدأ بها القساوسة والرهبان الأوروبيون يتجهون صوب دراسة وترجمة الفكر والثقافة الإسلامية، مجتدين لهذا الهدف العديد من العلماء والمفكرين الأوروبيين، كالذي قام به بطرس الموقر رئيس رهبان كلوني^١ (١٠٩٤ - ١١٥٦) من أجل الحصول على معرفة علمية موضوعية عن الدين الإسلامي، منطلقاً من موطنه فرنسا لنقل هذه المعرفة إلى كل أوروبا، تلك المعرفة التي حصل عليها بطرس الموقر بصورة مباشرة أو غير مباشرة قد تأتت من خلال نشاطاته وزياراته لأديرة رهبنته في أسبانيا - عندما كانت تحت الحكم الإسلامي - عن القضايا الإسلامية ونشاط الترجمة. ومما زاد من تشبّثه بمشروعه هو اهتمامه بمحاربة الهرطقات «حسب رأيه» المتمثلة باليهودية والإسلام «وإن يكن ذلك بجذية ومحبة أزاء الأفراد «الضالين» بما ينسجم مع شخصية رئيس رهبان كلوني^٢». ويسبب أنه كان مدركاً بعمق الأخطار التي كانت تواجهها الكنيسة في عصرٍ تميّز بالاضطراب الفكري والانشقاق، لذلك فقد رغب أن يسّـلح الكنيسة ضدّ هذه الأخطار منطلقاً من اعتقاده الشخصي أنه رئيس لرهبنة مكرّسة لهذا الهدف. ويبيّن بطرس الموقر الهدف من مشروعه - الاستشراقي - الذي كرّسه ضد الإسلام في معرض ردّه على بعض من اقترح عليه عدم جدوى عمله حيث يقول: «إذا كان عملي يبدو عديم الفائدة لأن العدو يبقى منيعاً ضد مثل هذه الأسلحة، فإني أجيّب أنه في بلاد ملك عظيم تكون بعض الأشياء من أجل الحماية، وأخرى للزينة، وأخرى أيضاً للغرضين معاً. لقد صنع سليمان المسالم أسلحة

(١) كلوني: مدينة في شرق فرنسا أسس فيها الدير المعروف باسمها سنة ٩١٠م، وهو من أشهر الأديرة والريمانية في التاريخ الأوروبي الوسيط في منطقة الصون - اللوار في فرنسا - وانطلقت من هذا الدير حركة إصلاح دينية رهبانية امتدّت في القرن الحادي عشر والثاني عشر من فرنسا إلى كل المسيحية الأوروبية وقد لعب هذا الدير دوره في التحريض على الصليبيات وفي إيصال عدد من رهبانه إلى سدة البابوية - «تراث الاسلام»: ٣٧.

(٢) رودنسون، مكسيم - تراث الاسلام ق ١: ٣٧.

للحماية، لم تكن هناك حاجة إليها في أيامه، وقام داود بإعداد الزينة للمعبد، وإن كان استعمالها متعذراً في أيامه... وهذا العمل كما أراه لا يمكن أن يقال إنه عديم الفائدة. فإذا تعذر هداية المسلمين «الضالين» به فإن العلماء الذين يفارون على العدالة يجب أن لا يفوتهم تحذير أولئك الضعفاء من أفراد الكنيسة الذين يروعون أن يثاروا عن غير ما قصد بالقضايا الثافهة^١. وامتدت نشاطات الموقر من فرنسا إلى أسبانيا حيث شكّل جماعة من التراجمة يعملون تحت إشرافه، وترجموا القرآن الكريم عام ١١٤٣ م، ومجموعة من النصوص العربية الأخرى، وأعدوا مؤلفاً لتعليمات بطرس الموقر نفسه.

على أن هناك قولاً آخر يورّخ النشوء مع بدايات الصراع العسكري الصليبي، والحملات الصليبية ضد المسلمين، وبالذات بعد الصرخات المعادية التي أطلقها لويس التاسع سنة ١٢٥٠ م. ورغم ما يمكن أن يقال من أن هذه البدايات والظواهر لا تختص بالمدرسة الفرنسية وحدها، بل هي بدايات وظواهر مشتركة في قيام جميع المدارس الاستشرافية ونشوتها، إلا أنه يمكننا أن نجعل الخصوصية هنا للمدرسة الفرنسية في أن أول كرسي للعربية تأسس عام ١٥٣٩ م، واقترب بأوج ما وصلت إليه الحروب الصليبية، كان في «الكاليج دو فرانس» في باريس، والتي كانت قد تأسست حديثاً، وشغل هذا الكرسي المستشرق الفرنسي غليوم بوسيتيل^٢، العالم المستنير - حسب وصف رودنسون - الذي درّب تلاميذ عديدين من أمثال «سكاليجر» الذي كانت مكاتبه في مجال الاستشراق لا يستهان بها^٣.

إن الحروب الصليبية وتأثيرات التحريض الكنسي العنصري، مضافاً إليها التطلعات

(١) انظر 2 - 651 Migne; Patrologia Latina, CL XXXIX و انظر أيضاً الكتاب السابق الذكر CF. Domj. Leclercq, Pierre La Venerable (A bbaye St. Southern, PP - 38 FF Wandrille, 1946) PP. ZHZF.

(٢) بوسيتيل غليوم (١٥١٠ - ١٥٨١) م. مستشرق ورخالة فرنسي ألف كتاباً في أبجديات اثنتي عشرة لغة، منها اللغة العربية - المنجد في الاعلام.

(٣) روبنسون، مكسيم - تراث الاسلام ق ١ : ٦٢.

الاستكبارية الفرنسية، وانهيار الدولة الإسلامية - لأسباب كثيرة كان أهمها تعرّضها لتلك الهجمات الوحشية التي قادتها أوروبا وخصوصاً فرنسا - أدّى إلى ظهور الاستشراق الفرنسي بصورته الحقيقية العنصرية، وبمواقفه العدائية تجاه العالم الإسلامي. حتى أنه كان في بعض الفترات - إن لم نقل معظمها - يداً قوية للاستعمار الفرنسي، كما سيتوضّح ذلك في محله إن شاء الله.

لقد أفادت المدرسة الاستشراقية الفرنسية من الحروب الصليبية أيما فائدة، حيث إنّ الثمار الايجابية لأوروبا وفرنسا التي تمخضت عن هذه الحروب أعطت دفعة وزخماً للاستشراق الفرنسي، لأن دور هذه الحروب لم يقتصر فقط على ساحات القتال، بل تجاوز إلى ميادين أخرى ثقافية وتبشيرية وأخلاقية على طريق الكثير من المؤسسات والجامعات التي مارست نشاطاً استشراقياً واضحاً، سيما وأن الحروب الصليبية كانت تمرّ في بعض الأوقات بفترات هدنة وسلام كانت فرصة مواتية استثمارها الفرنسيون لصالحهم بقصد تدمير البناء الإسلامي من الداخل، وتخريب المجتمع الإسلامي بزرع الخلافات وإذكاء أوار الصراعات الداخلية التي أخذت تنهش في أوصاله.

إن الدراسات الشرقية التي شاعت في أوروبا زوّدت الفرنسيين بكنوز من المعلومات سخرت لخدمة المصالح الفرنسية، فكان كل شخص في أوروبا يرغب في التعرف بشكل وافٍ على لغات المشرق الأدنى وحضاراته يتوجّه إلى مدرسة اللغات الشرقية الحية في باريس التي أسستها حكومة المؤتمر الثورية «الكوفانسيون» في مارس سنة ١٧٩٥ م بإيعاز من المستشرق «لانجليز»^١.

إن المدرسة الفرنسية بلغت أوج عظمتها في بعض الفترات، فلمعت فيها بعض الشخصيات الاستشراقية التي كان لها دور كبير في تطوير الاستشراق الأوروبي، فأصبحت

(١) مستشرق فرنسي (١٧٦٣ - ١٨٢٤) م. تعلّم على المستشرقين الفرنسيين كوسان دي برسفال، ودي ساسي. ترجم قسماً من ألف ليلة وليلة، ورحلات العرب والفرس إلى الصين والهند في القرن العاشر - المنجد في الأعلام.

باريس القبلية التي يؤمها جميع المستشرقين الأوروبيين الذين يرغبون في التخصص بدراسة الشرق الأوسط، ومن هذه الشخصيات «سلفستردو ساسي» الذي لُقّب بأستاذ جميع المستشرقين الأوروبيين في زمانه، وبقي أسلوبه في العمل حتى يومنا هذا هو الأسلوب نفسه الذي يتبعه عدد كبير من المستشرقين. وفي عهده كانت مدرسة باريس للغات الشرقية - التي أشرنا إليها والتي قامت في أوج حماسة فرنسا الثورية - النموذج لمؤسسة الاستشراق العلمي والعلماني. ومن جزاء ذلك ظهرت كلمة مستشرق *Orientaliste* في فرنسا عام ١٧٩٩ م. وأدرجت كلمة الاستشراق *Orientaliste* في قاموس الأكاديمية الفرنسية عام ١٨٣٨ م. وأخذت فكرة إيجاد فرع متخصص من فروع المعرفة لدراسة الشرق تلقى المزيد من التأييد. ولم يكن هناك حتى ذلك الوقت إخصائيون بأعداد تكفي لتأسيس مجلات أو جمعيات تهتم حصراً ببلد واحد أو بشعب واحد أو منطقة واحدة في الشرق. وبدلاً من ذلك كان نطاق المجلات والجمعيات يمتد ليشمل عدّة مجالات، وإن لم تحظ جميعها بدرجة العمق نفسها في البحث^١.

ويمكن أن نقول بأن الاستشراق الفرنسي بشكل خاص قد نما وترعرع عندما جاءت مبادراته الميدانية نتيجة للأحداث المتعلقة بالشرق الإسلامي، من حيث التغيرات السياسية والنظرة الأوروبية التي كانت تعتبر الشرق الإسلامي من المشاكل العظمى التي تواجه السياسة الأوروبية بالخصوص في القرن التاسع عشر.

المستقبل الإسلامي

لشعوب ودول آسيا الوسطى الإسلامية

الاستطلاع أسلوب نتجول من خلاله في عالم الواقع والافكار، يتم فيه تجميع موضوعي للمعلومات واستفهام عام للآراء في مسائل محدّدة، يهدف إلى إثارة اهتمام أبناء الاسلام ورجاله بما يجري حولهم من أحداث، وما يتداول في أوساطهم من أفكار وأدوار، لتظهر حصيلة ذلك على صفحات هذه المجلة؛ إرساء للصحة الاسلامية العالمية وسيراً بها على طريق ذات الشوكة.

وقد استطلعت المجلة في عددها الاول آراء قرائها الكرام عن المستقبل الاسلامي لشعوب دول آسيا الوسطى، فأرسل بعضهم دراسة تناولت بعض أو أكثر أبوابها، وقد حازت اثنتان منها على القبول، ولأن إحداهما تكمل الاخرى فنحن نشرهما معاً في هذا العدد. «التحرير»

الشعوب الإسلامية لدول آسيا الوسطى

أحمد الواسطي . الدوحة

يسكن المسلمون في جمهوريات آسيا الوسطى في اوزبكستان، وطاجيكستان، وتركمانستان والقرغيز وقازاخستان وأذربيجان. وتعتبر هذه الجمهوريات إتحادية في نظام الإتحاد السوفيتي المنحل.



إنّ الجذور الأولى للوعي الإسلامي في هذه الجمهوريات يرجع إلى أواسط القرن السادس عشر الميلادي عند ما واجهت المجاميع الجهادية الإحتلال القيصري، وذلك على مرحلتين :

الأولى : دفاعية، حيث اهتمت بالدفاع عن السيادة الإسلامية والحفاظ على الهوية

إِسْتِظْلَاع

الإسلامية لهذه لشعوب.

الثانية : العمل على تقويض دعائم الفكر الإلحادي الشيوعي بعد سقوط القيصرية الروسية ومجي البلاشفة إلى الحكم. حيث برزت جمعيات إصلاحية دينية ناهضت الثورة البلشفية عام ١٩١٧ م.

وقد تطوّرت عملية الوعي إلى ظاهرة تأسيس الحركات والأحزاب الإسلامية، مثل «حزب النهضة الإسلامية» الذي أنشئ عام ١٩٩٠، وكان له الدور الواضح في التغيير والوعي في «أوزبكستان» و«القرقيز» و«طاجكستان».

وقد جاء في آخر الدراسات الاجتماعية أنّ ٨٠ ٪ من المسلمين في هذه الجمهوريات ما زالوا يعتقدون بالدين الإسلامي، وأنهم يمارسون التقاليد والشعائر الإسلامية في الزواج والدفن والختان والأعياد الإسلامية، وهذا يدلّ على حيوية الإسلام، وأنّه هو الأساس في التعامل بين مختلف القوميات والمجتمعات هناك.

ويبلغ عدد المسلمين في جمهوريات آسيا الوسطى قرابة ستين مليون نسمة، يشغلون مساحة جغرافية تقدّر بـ (٣٩٥٢٢٠٠) كم^٢. ويتوقع الإحصائيون وصول عدد المسلمين في هذه الجمهوريات إلى مائة مليون نسمة في نهاية القرن الحالي، وتقدر نسبتهم الآن بحوالي ٧٥ ٪.

وإنّ النشاط الإسلامي في هذه الجمهوريات يتم توجيهه وتنفيذه من قبل الإدارات الدينية لمسلمي آسيا الوسطى. ويتمثّل هذا النشاط بالإشراف على إصدار جميع المطبوعات الإسلامية، وإعداد العلماء، وتسجيل الطلاب الراغبين في تعلّم القرآن الكريم لغرض إرسالهم إلى المدارس الخاصة. هذا بالإضافة إلى استقبال المبلّغين الذين يفدون إلى جمهوريات آسيا الوسطى من مختلف بلدان العالم الإسلامي.

كما تأتي المساجد والمدارس الدينية في المرتبة الأولى من حيث إهتمام المسلمين هناك. وتنتشر المساجد في جميع جمهوريات آسيا الوسطى، أمّا المدارس الدينية

إِسْتِظْلَاح

فكثيرة ومتنوعة، وتتمتع بنشاطات واسعة، خصوصاً في مجال تعليم القرآن والعلوم الإسلامية. وتبلغ آخر إحصائية للمدارس القرآنية في آسيا الوسطى ٣١٤٧ مدرسة عام ١٩٩١م، بينما كان عددها ٨٣ مدرسة عام ١٩٨٥م.

وقد أخذ النشاط الإسلامي في هذه الجمهوريات يتعاظم بعد إنهاء الاتحاد السوفيتي نتيجةً للعمل الجادّ والعزم المتين النابعين من الإيمان بالإسلام، والمتجهين لتعزيز علاقات هذه الجمهوريات مع الدول الإسلامية المجاورة. وذلك لأنّ الشوق واللهفة للإسلام يغمران مشاعر أبنائها ويملآن قلوبهم، ولتعلم اللغة العربية أيضاً والتعرف على القرآن الكريم، والتعبد في المساجد. وقلما نجد إماماً غير منهمك في بناء مسجد أو تعميره أو توسيع بنائه. ولقد صرح أحد العلماء هناك قائلاً: إنّ في مدينتنا ٩٥ ألف نسمة وثلاثة مساجد رسمية ومائتي مسجد على إمتداد المدينة.

لذا فإنّ الدول الإسلامية مدعوة اليوم لتقديم الدعم الفكري والمعنوي لمسلمي هذه الجمهوريات الذين عانوا من دكتاتورية البروليتاريا، وللحيلولة دون تحقيق الأهداف الغربية والأمريكية منها بالخصوص من خلال الدور الذي تلعبه الدول المنفذة لسياساتها في المنطقة.

التعريف بدول منطقة اسيا الوسطى الإسلامية:

جمهورية أوزبكستان:

المساحة: (٤٤٩/٦٠٠) كم^٢.

العاصمة: طشقند (٢/١٢٤/٠٠٠) مليون نسمة.

النفوس: (١٩/٨٠٨/٠٠٠) مليون نسمة.

الدين: الإسلام والمسيحية.

اِسْتِظْلَاع

اللغة : الروسية والتركية.

تأريخ الإستقلال : (١٩٩١)

يمتاز الشعب الأوزبكستاني بخصوبة مجتمعه لنمو الإسلام. وقد كانت ولا تزال فيه مجموعات تعمل صادقة من خلال فهمها ووعيتها للإسلام، رغم ظروف القهر الشيوعي الذي كانت تعانيه.

فقد تعرّضت سمرقند وبخارى للمسح الديني نتيجة لتمرکز الكثير من العلماء فيها على يد الشيوعيين بعد الثورة، وقتلوا كل من له علاقة بالإسلام، وهدموا الكثير من المساجد، ممّا أدّى إلى انفصال الناس عن الإسلام والعاملين به مدة طويلة من الزمن، ولكنهم ظلّوا على حبهم وولائهم للإسلام رغم إبتعادهم ذلك. بينما أصبح عدد النصارى الأوربيين في طشقند نصف عدد سكّانها، ومعظمهم من الروس الذين كانوا يمثلون رموز السلطة الشيوعيّة. وتجدر الإشارة إلى أنّ الروس يسكنون كافّة المدن الإسلاميّة، وتزداد نسبتهم في المدن الكبيرة، وكلّما يتواجدون في القرى والأرياف.

وتوجد في أوزبكستان منطقة تسمّى «فرغانة» تضمّ مدناً رئيسيّة هي «أنديجان» و«نامانجان» و«قوقند». وكانت هذه المدن تحظى بمعاملة خاصّة على الصعيد الديني من قبل السلطات الشيوعيّة، حيث كان الحجاب علنيّاً في الشوارع، وكانت السلطات تتحاشى منعه في هذه المدن نظراً لتمعّ أهاليها بالتدين الشديد.

ويوجد في أوزبكستان مساجد كثيرة أشهرها مسجد عطاري في بخارى، ومسجد بهي خانم في مدينة سمرقند الذي يعود بناؤه إلى عام ١٣٩٩ م. ومسجد كلان في بخارى يعود إلى سنة ١٦٢٠ م.

كما أنّ هناك إدارة دينيّة في طشقند تشرف على النشاطات الإسلاميّة والمدارس الدينيّة في البلاد.

إِسْتِظْلَاح

جمهورية قازاخستان:

المساحة: (٢/٧١٥/١٠٠) كم^٢.

العاصمة: ألما آتا (١/١٠٨/٠٠٠) مليون نسمة.

النفوس: (١٦/٤٦٣/٠٠٠) مليون نسمة.

الدين: الإسلام والمسيحية.

اللغة: الروسية.

تأريخ الإستقلال: ١٩٩١ م.

تعتبر هذه الجمهورية من أكبر جمهوريات الاتحاد السوفيتي السابق بعد جمهورية روسيا. وقد تأسست عام ١٩٢٠ م.

يبيدي المسلمون في قازاخستان إهتماماً خاصاً بالإسلام والتعليم، فحتّى سنوات قريبة كان عدد المساجد قليلاً، إلّا أنّه تمّ مؤخراً إنشاء وافتتاح العديد من المساجد في كافة أنحاء البلاد، إضافة إلى تجديد وترميم المساجد القديمة منها والموزعة في أماكن متعدّدة من الجمهورية. وقد ألحق العديد من المدارس الإسلامية بتلك المساجد لتعليم أبناء المسلمين العلوم الإسلامية والقرآن الكريم.

وتوجد في جنوب قازاخستان مقاطعة تسمّى سايرام، وفيها مدينة نشأت على انقاض مدينة «اسنجاب» القديمة تسمّى «تشيمنكنت». وفي هذه المدينة يوجد مسجد كبير تتقدّمه مساحة مترامية الأطراف زُرعت بأصناف رائعة من أشجار الزينة والأوراد، وهذه المساحة هي صحن للمسجد، وتكتظّ في أيام الجمعة بالمصلّين كباراً وصغاراً لأداء فريضة الصلاة، والاستماع إلى قراءة القرآن قبل الصلاة وبعدها، حيث يصفون إليها بخشوع ولهفة، ثم يقوم خطيب المسجد بشرح معانيها.

والمسلمون القازان شأنهم شأن جميع مسلمي جمهوريات آسيا الوسطى يقدّرون علماء الدين ويحترمونهم ويجلّونهم. وتعتبر المساجد في قازاخستان أماكن مقدّسة

إِسْتِظْلَاح

يعتني بها المسلمون هناك عناية فائقة ويولونها اهتماماً متزايداً.
ويشكل المسلمون هناك قوميات مختلفة منهم، القازاق، والأوزبك، والتتار،
والشيخين وغيرهم.

جمهورية طاجكستان:

المساحة: (١٤٣/١٠٠) كم^٢.

العاصمة: دوشنبه (٥٨٢/٠٠٠) نسمة.

النفوس: (٥/٠٩٠/٠٠٠) مليون نسمة.

الدين: الإسلام والمسيحية.

اللغة: الروسية والفارسية.

تاريخ الاستقلال: (١٩٩١) م.

يرتبط ماضي الشعب الطاجيكي ارتباطاً وثيقاً بتاريخ شعوب آسيا الوسطى القاطنين
في البلدان الأخرى كالأوزبكين والقرغيزين والتركمان. غير أن الطاجيكي يختلفون
بلغتهم الفارسية الأصل. وأجداد الطاجيكي الأوائل «السفديون» و«الساكيون» الذين
ترددت أسماءهم كثيراً في الكتب الإسلامية القديمة. ورغم اختلاف الطاجيكي باللسان
إلا أن ثقافتهم الإسلامية القديمة منها والحديثة إما متشابهة أو متقاربة غاية التقارب مع
ثقافات شعوب جمهوريات آسيا الوسطى الأخرى، وذلك لإمتياز الصلات بينهم في
جميع عصورها بالمعانة المبنية على الروابط الإسلامية وهي علاقات تعطي مثلاً رائعاً
للعلاقات الأخوية الإسلامية بين الشعوب. وهم في ذلك يشكرون الإسلام الذي جمع
كلمتهم وحفظ لهم تراثهم الفكري والمقائدي.

إِسْتِظْلَاحٌ

جمهورية آذربيجان:

المساحة: (٨٦/٦٠٠) كم^٢.

العاصمة: باكو (١/٧٤١/٠٠٠) مليون نسمة.

النفوس: (٧/٠٢٠/٠٠٠) مليون نسمة.

الدين: الإسلام.

اللغة: الروسية والتركية والأذرية.

تاريخ الاستقلال: (١٩٩١) م.

تقع هذه الجمهورية شرقي ما وراء القوقاز، وتحدها إيران من الجنوب.

تبلغ نسبة المسلمين من أتباع أهل البيت في آذربيجان ٧٠ ٪ وينشغل المسلمون الآذريون بصراع حدودي مع أرمينيا التي تطالب بإقليم «ناغورني قره باغ»، وهو إقليم تبلغ مساحته (٤٤٠٠) كم مربع، يشكل الأرمن ٨٠ ٪ من سكانه.

وقد تأثر الآذريون بالثورة الإسلامية وتعاطفوا معها، مما أدى إلى قيامهم بثورة ضد الحكم البلشفي السابق قبل حوالي سنتين، الأمر الذي دفع الجيش السوفيتي إلى قتل الكثيرين منهم. وقد قادت «الجهة الشعبية» التمرد ضد السلطة وتحالفت مع منظمة إسلامية تسمى «منظمة توبة» وهي منظمة تدعو إلى العودة إلى الإسلام وتعاليمه والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وللمسلمين الآذريين مراكز إسلامية يشرف عليها علماء الدين، وفي باكو مسجدان لإقامة صلاة الجمعة، ويقال: إن في آذربيجان كلها (١٦) مسجداً فقط.

مستقبل جمهوريات آسيا الوسطى:

يمكن التحدث عن مستقبل دول آسيا الوسطى التي استقلت عن الاتحاد السوفيتي «المنحل» حيث إنها رفضت المركزية واختارت الاستقلال والتخلص من براثن الحكم

اِسْتِظْلَاع

الشيوعي الذي هيمن على مقدراتها ومواردها طيلة ثلاثة أرباع القرن.

تعيش هذه الدول مرحلة انتقالية، وتفسّر لنا طبيعة هذه المرحلة المصاعب الكثيرة التي تواجه هذه الجمهوريات المستقلة. فهي تعيش صعوبات ومشاكل اقتصادية وسياسية، وأزمة في العلاقات بين القوميات، وأزمة ثقافية، وأزمة ثقة بين الشعوب المختلفة التي تعيش داخل هذه المجموعة.

وهذا الوضع ناتج من أن هذه الجمهوريات كانت عبارة عن مجموعة شعوب في نسج دولة واحدة.

كما أن هناك مشكلة تواجه هذه الجمهوريات وهي مشكلة الحدود، نظراً لعدم وجود حدود واضحة بين هذه الجمهوريات سابقاً، كما أن هذه الحدود لا تتسجم مع الماضي التاريخي لهذه الشعوب.

وتجدر الإشارة إلى أن هناك حركة تهدف إلى جمع الشعوب التركية كلها على الأسس الثقافية والحضارية والدينية. فهناك حركة علمانية تركية تحاول الجمع بين هذه الشعوب على أسس علمانية. وهناك حركة تدعو إلى جمع الشعوب تحت مظلة تركيا التي تلعب دوراً كبيراً في هذه المرحلة من خلال تأييد الغرب العلني للنفوذ التركي.

ويجب أن لا يهمل العامل الديني الذي يلعب دوراً نشطاً في جمع بعض هذه الجمهوريات وبعض القوى السياسية، فهناك حزب إسلامي يسمى «حزب النهضة الإسلامية» تكوّن قبل إنبهار الإتحاد السوفيتي، ويدعو إلى إنشاء دولة إسلامية.

ولقد حاولت وما تزال الدول الغربية إحتواء جمهوريات آسيا الوسطى من خلال إقامة العلاقات معها أو دفع الدول المرتبطة بها إلى التحرك في هذا الاتجاه. كما تحركت بعض الدول العربية مثل السعودية في محاولة للتغلغل في أوساط هذه الشعوب، ولكن ليس بالشكل الذي تحركت به تركيا والدول الغربية.

فالدول الإسلامية في آسيا الوسطى تنظر إلى تركيا باعتبارها الدولة التي تحتل المركز

إِسْتِظْلَاع

القيادي في السعي لتشكيل «سوق تركية مشتركة» على غرار «السوق الأوروبية المشتركة». وفي هذا الصدد يقول وزير خارجية تركيا «حكمت تشيتن»: «إنّ الجمهوريات التي ترتبط مع تركيا بعلاقات تاريخية وثقافية ولغوية ودينية، تنظر إلى تركيا باعتبارها نموذجاً يحتذى، في السعي نحو الديمقراطية والإقتصاد الحر». وإنّ هذا التصرُّو هو الذي دفع الدبلوماسيين ووزارة الخارجية التركية إلى إتخاذ القرار ليس بالإعتراف بإستقلال «أوزبكستان» فقط، وإنما الإعتراف بإستقلال كافّة الجمهوريات الإسلامية التي انفصلت عن الإتحاد السوفيتي المنحلّ.

ولكن يبقى الإسلام هو العامل الوحيد والوسيلة الفعّالة للقيام بدوره المؤثّر في التقارب بين جمهوريات آسيا الوسطى الإسلامية، لأنّ الدين هو العامل القويّ لتوحيد الشعوب، كما أثبتت ذلك التجارب التاريخية القديمة والمعاصرة، فهو أقوى بكثير من هرطقات النزعات القومية التركية.

والنجاح الذي أحرزته الجمهورية الإسلامية في تعاملها مع شعوب الجمهوريات الإسلامية في آسيا الوسطى هو خير دليل على ذلك. هذا النجاح الذي أثار حفيظة الغرب والولايات المتّحدة بصورة خاصّة ودفعها للوقوف بوجه التيار الإسلامي المتصاعد في هذه الجمهوريات، ووضع العقبات أمام التحرك الإسلامي الذي بدأ يقترب من مرحلة قطف الثمار.

مستقبل المسلمين في دول آسيا الوسطى

عَبْدُ السَّلَامِ الْعَبْدَاللّٰهِ

شهد العالم أخيراً سقوط الإتحاد السوفيتي وتفكّكه إلى دولٍ مستقلّة، بعد أن كان يمثل القوّة العظمى في الشرق مقابل القوّة العظمى الغربية وهي الولايات

إِسْتِظْلَاع

المتحدة الأميركية.

ولكون الإتحاد السوفيتي «السابق» يمثل خليطاً غير متجانس من الشعوب والأديان والمعتقدات، فإن سقوطه كان سريعاً بدرجة أدهشت المراقبين، بالرغم من إدعاء الحكام الشيوعيين السابقين بأنهم صهروا المعتقدات في بوتقة واحدة هي بوتقة الإيمان بالأنكار الماركسيّة الإلحادية.

إن السقوط السريع عجل بانهيار صرح فكري واقتصادي شغل العالم قرابة ثلاثة أرباع القرن، وتكتل العالم فيه إلى كتلتين شرقية وغربية، أو إلى معسكرين هما المعسكر الاشتراكي والمعسكر الرأسمالي.

ونحن إذ نلج باب الإستطلاع الذي ارتأته - المجلة الغراء - مجلة «رسالة الثقلين» فإننا نسير وفق الإطار الذي حدّدته من أجل فهرسة موضوعية، ويشمل المحاور الخمسة التي حدّدتها مبتدئين بالمحور الأول وهو: إنهيار الماركسيّة.

أولاً: انهيار الماركسيّة :

أقامت الماركسيّة أسسها على مبادئ أهمّها :

أ - التفسير المادي للتأريخ : حيث اعتبرت العامل الاقتصادي هو علة العلل لكل حوادث التأريخ، لذلك فإن اتجاهات البشر تتبع طريقة الإنتاج، وإن الإنسان تابع لحاجاته إذ ليس له روح أو قيم أو دين. فليس هو إلا آلة جميلة تحتاج إلى وقود، فهو إذن تابع لمصلحته وإشباع غرائزه الحيوانية ليس إلا، كما تعتبر الماركسيّة حركة المجتمع كالفكر تخضع للقوانين الأربعة للديالكتيك :

١ - التغير والتطور : باعتبار أن المجتمع البرجوازي لا بد أن يتغير فهو ينقلب بالضرورة إلى مجتمع اشتراكي.

٢ - التفاعل : «كل شيء يؤثر في كل شيء» حيث أن المجتمع يأتي نتيجة للأوضاع التي

إِسْتِظْلَاع

سبقتة.

٣ - التناقض : «كُلُّ شَيْءٍ يَحْمِلُ نَقِيضَهُ فِي دَاخِلِهِ» فالرأسمالية تحمل نقيضها في داخلها وهي الاشتراكية.

٤ - التغير الفجائي : «إِنَّ التَّغْيِيرَ الْكَمِّيَّ سَوْفَ يَنْقَلِبُ إِلَى تَغْيِيرٍ كَيْفِيٍّ» ومثال ذلك : عندما تتفاعل القوى المتعارضة وتتصارع وتشتعل الحرب، يكون هناك تغير فجائي على أساس ذلك، حيث عن طريق إستخدام القوة العنيفة سوف تزول قوى البرجوازية^١ ويستبد العَمَال «البروليتاريا». وفي ذلك يقول لينين : «إِنَّ دِكْتَاتُورِيَّةَ الْبُرُؤِلِتَارِيَا هِيَ أَكْثَرُ حُرُوبِ الطَّبَقَةِ الْجَدِيدَةِ بِطُولِيَّةٍ وَعِنَاداً ضِدَّ عَدُوٍّ أَكْثَرَ قُوَّةً، ضِدَّ الْبُرْجُؤَازِيَّةِ»^٢.

بهذا التفسير المادي للكون والحياة وعلاقة الإنسان بالمجتمع تكون الماركسية قد سدّت جميع الأبواب الأخرى عدا المادّة. وبذلك تكون قد ارتطمت بفطرة الإنسان التي جُبِلَ عليها، وأوجدت منطقة فراغ يعيشها الفرد، دون أن تستطيع أن تسدّ هذا الفراغ بما أوجدته من تبريرات وتفسيرات.

والى ذلك يشير «الإمام الخميني» رضوان الله عليه حيث يقول : «إِنَّ الْمَارْكِسِيَّةَ لَا تَلْبِي شَيْئاً مِنْ حَاجَاتِ الْإِنْسَانِ الْحَقِيقِيَّةِ، فَهِيَ مَذْهَبٌ مَادِّيٌّ، وَمَحَالٌّ أَنْ تَسْتَطِيعَ الْمَادِيَّةُ إِنْقَازَ الْبَشَرِيَّةِ مِنَ الْأُزْمَةِ الَّتِي خَلَقَهَا فَقْدَانُ الْإِيمَانِ بِالْمَعْنُؤِيَّاتِ، الَّذِي يُمَثِّلُ الْعَلَّةَ الرَّئِيسِيَّةَ لِمَا تَعَانِيهِ الْمَجْتَمَعَاتُ الْبَشَرِيَّةُ شَرْقِيَّةً كَانَتْ أَوْ غَرْبِيَّةً»^٣.

وهنا وبعد أن استمرّ الشيوعيون بتطبيق أفكارهم منذ عام ١٩١٧ م وحتى الأُمس القريب، لم يفلحوا في حلّ الأزمات المستعصية التي تَلَفَ الشعوب السوفييتية، بل زادت من محتهم، وتحوّلت دكتاتوريّة البروليتاريا إلى مصادرة حرّية الفرد بالمرّة ومنحها للمجتمع، ثم سلبها من المجتمع وإعطائها إلى الحزب الشيوعي، الذي يدّعي لينين أنّه

(١) الفكر الإسلامي، مواجهة حضارية.

(٢) مجلّة البصائر : العدد ٢ - تشرين الأوّل ١٩٨٤.

(٣) رسالة الإمام الخميني إلى غورباتشوف، مجلّة «رسالة الثقلين»، العدد الأوّل.

إِسْتِظْلَاع

«المدافع عن العمّال والفلاحين» ومن ثم سلبها من الحزب لأشخاص معدودين ممثلين باللجنة المركزية، ينعمون بكلّ مظاهر الرفاه، بينما يكون الآخرون ضحية الفاقة والحرمان، هذا من ناحية الفكر.

ب - أمّا من الناحية التطبيقية : فإنّ الدولة التي أنشأتها الماركسيّة ممثلة بالإتحاد السوفيتي إنتهجت طريقاً في السياسة الدوليّة لا يختلف بأيّ شكلٍ من الأشكال عن الدول الإستعماريّة «بالرغم من ادّعائها الدفاع عن حقوق الشعوب ضدّ مُضطهديها» فتحوّلت بمرور الزمن إلى دولة هيمنة وتسلطٍ وقهر، وتجلّى ذلك من خلال :

١ - إقامة حكومات عميلة لها في كثيرٍ من البلدان، وقمع أيّ محاولةٍ لشعوب هذه الدول للتخلّص من نير الإستعمار المبطن، كما حدث في «هنغاريا» عام ١٩٥٦ م، وكما حدث في «چيكوسلوفاكيا» عام ١٩٦٨ م.

٢ - إقامة القواعد العسكريّة في الكثير من الدول التي تقع تحت نفوذها.

٣ - التواجد البحريّ في كلّ أنحاء العالم.

٤ - إقامة الأحلاف العسكريّة، ولعل «حلف وارشو» خير دليلٍ على ذلك.

٥ - غزو البلدان الأخرى وفرض الحكومات الشيوعيّة على شعوبها بالقهر والقوّة كما حدث في «أفغانستان».

يبدو من خلال ذلك أن الأفكار التي نادى بها الماركسيّة ذهبت هباءً من خلال ما تبين من أهدافٍ أثناء التطبيق، فلا فلسفة صحيحة، ولا شعارات واقعيّة، وإنّما هو تسلطٌ على مقدّرات الشعوب واستغلالٌ لثرواتها.

إنّ كثيراً من الدول إنتهبت أخيراً إلى هذه الحالة فانسلخت عن جسد الكتلة الشرقيّة، والذي كان المقدّمة الاولى لانحيار الإتحاد السوفيتي ككيان، والماركسيّة كفكر. وقد تنبّه «الإمام الخميني» رضوان الله عليه إلى هذه الحالة قبل أن تبدأ، فقال في رسالته التي وجهها إلى الزعيم السوفيتي «غورباتشوف» : «إنّ الدول الحليفة لكم التي تخفق قلوبها لمصالح

إِسْتِظْلَاع

بلدانها وشعوبها، لن تكون على إستعداد بعد الآن لأن تهذد ثرواتها الوطنية بكلا نوعيها الظاهري والخزين، من أجل إثبات نجاح الشيوعية، بعد أن وصل صرير تهشم عظام الشيوعية إلى أسمع تلك البلدان»^١.

ثانياً : التاريخ الديني لشعوب الاتحاد السوفيتي :

إن دخول الإسلام وانتشاره في بلدان الاتحاد السوفيتي السابق قديم جداً في بعض أجزائه ومتأخر في أجزائه الأخرى، ويمكننا إيجاز ذلك من خلال جولة سريعة :
بعد أن فتح المسلمون بلاد فارس إتجهوا شرقاً حيث لم ينته عهد الخليفة الثالث «عثمان بن عفان»، حتى طرق المسلمون أبواب السند وبلاد الأفغان وبلاد ما وراء النهر «جيجون» وبلاد القفقاز، وزالت نهائياً دولة الفرس.

وتوقفت الفتوحات قليلاً بانشغال الإمام علي عليه السلام بإطفاء نار الفتنة، وبعدها تتابعت الفتوحات، فضم محمد بن القاسم بلاد السند، وفتح قتيبة بن مسلم الباهلي بلاد ما وراء النهر وتركمانستان، وهي من أجزاء الاتحاد السوفيتي المنحل.

أما في شرق أوروبا فقد أسلمت القبيلة الذهبية التترية التي كانت تسيطر على شرقي أوروبا وذلك في منتصف القرن السابع الهجري، وأصبح حوض الفولغا ومنطقة القرم مناطق إسلامية، ومنذ ذلك الوقت حمل التتار على عاتقهم الدعوة الإسلامية، حيث انتشرت في غربي سيبيريا وشمال روسيا حيث تقيم قبائل كانت لا تزال على الوثنية.

وعندما جاء العثمانيون نشطت الدعوة في شمال القفقاز فكان أن دخل الشراكس في الدين الإسلامي، وكذلك أبناء منطقة (شيشان انغوش وبلكاي وقبرطاي) وغيرها.^٢
وبعد هذا الإستعراض السريع حول دخول الإسلام في هذه البلدان يحسن بنا أن

(١) رسالة الإمام الخميني إلى غورباتشوف، مجلة «رسالة الثقلين»، العدد الأول.

(٢) د. سارة حسن، جغرافية العالم الإسلامي.

إِسْتِظْلَاح

نستعرض تأريخ السيطرة الروسية على البلاد الإسلامية.

فقد بدأ الغزو الروسي عام ١٥٥٢ م عندما شنّ الروس هجوماً على منطقة القولغا واستولوا على مدينة قازان عاصمة التتار، ثم احتلّوا مواقع أخرى باتجاه سيبيريا، وما أن جاء عام ١٥٩٨ م حتى وضعوا أقدامهم في أرض مسلمة ثالثة هي سيبيريا^١. وفي الربع الأوّل من القرن التاسع عشر كانت آذربيجان جزءاً من أراضي إيران تنازلت عنها تحت وطأة الضغط العسكري الروسي، وهناك حوالي ٧٠ % من شعب آذربيجان من أتباع أهل البيت عليهم السلام. فيما يرتبط أترك آذربيجان بعلاقات قرابة ونسب مع أترك إيران^٢.

في عام (١٨٧٩ - ١٨٨٠ م) بدأت الحرب التركمانيّة الروسيّة، وكان من نتائجها الاستيلاء على القسم الأكبر من تركمانستان ثم أخضع الباقي للحكم الروسي عام ١٨٨٤ م. ومن أشهر مدنها «مرو» التي كانت حاضرة خراسان، ومدينة «عشق آباد» وكان لينين قد وعد سكّانها في بداية حكمه بإجراء إستفتاء بين سكّانها لتقرير مصيرهم، وليختاروا بين البقاء تحت الحكم الروسيّ أو العودة إلى الحرّيّة والاستقلال^٣.

ثالثاً: مفردات المخطّط الغربيّ وأدواته لتحجيم الظاهرة الإسلاميّة:

إن إنبهار الإتحاد السوفيتي وانهاء الحرب الباردة لا يعني بالضرورة أنّ العالم الإستكباري قد أنهى همومه ولم تعد له مشاكل من خلال انفراده بالساحة الدوليّة، وإنّما هناك حالة ما يترقبها الغربيّون بحذر، ألا وهي بروز الظاهرة الإسلاميّة. ويبدو ذلك جليّاً من خلال التصريحات الإيحائيّة التي يطلقها المسؤولون الغربيّون، فقد قال مسؤول كبير في وزارة الخارجيّة الأميركيّة وهو يشير إلى دور واشنطن القيادي في ظل نظام عالمي

(١) بينيغسن، المسلمون في الإتحاد السوفيتي، تعريب: د. إحسان حقّي.

(٢) الوحدة، العدد ١٤٤، ١٩٩٢ م، قراءة في أوراق السياسة الخارجيّة الإيرانيّة، إبراهيم أحمد.

(٣) مجلّة الحوار الفكري والسياسي، أفغانستان، محمّد علي الناصري.

إِسْتِظْلَاع

جديد : «لا أعتقد أن أحداً يدرك بعد مدى النتائج المترتبة على ما يحدث». وقال مضيفاً : «هناك إحساس بأننا لسنا في نهاية مرحلة بل إنها البداية، وتوجد مخاوف كثيرة»^١.

والواقع أن هذه المخاوف التي يتحدث عنها تكاد تنحصر في الصحوّة الإسلاميّة الحاليّة. وبروز عاملٍ جديدٍ هو انفصال الجمهوريّات الإسلاميّة عن الإتحاد السوفيتيّ، والمخاوف من إسقاطاب الجمهوريّة الإسلاميّة الإيرانيّة لها باعتبارها الدولة الوحيدة التي تنتهج النهج الإسلاميّ البعيد عن التأثير بالتيّارات الدويّة.

وهذا الإسقاطاب المذكور آنفاً حين يتمّ سيجعل من الجمهوريّة الإسلاميّة الإيرانيّة قادرة على إيجاد محاور دويّة جديدة مع الصين والهند، ومع دول جنوب شرق آسيا، ومع عددٍ غير قليلٍ من الدول الإفريقيّة^٢.

وهذا ما لا يرضي الأمريكيّان، لذلك فإنّه لا بدّ أن تجد وسيلةً تملأ بها الفراغ القائم في هذه الدول، ومن بين الدول المرشحة للدخول في العمل لصالح الغرب في هذه الجمهوريّات :

(أ) تركيا : حيث بدأت تغلغلها من خلال :

١ - عرض النموذج العلماني والثقافة الغربيّة مستفيدةً من عنصر القوميّة واللغة المشتركة الذي يربطها مع عددٍ من هذه الجمهوريّات^٣، ومحاولة تشجيعها لاستعمال الحرف اللاتيني في الكتابة، وإشاعة الثقافة الغربيّة من خلال البرامج الموجهة عبر الأقمار الصناعيّة^٤.

٢ - تقديم المساعدات والقروض. وحيث أن تركيا تعاني من أزمة إقتصاديّة فإنّها

(١) مجلّة صوت الوحدة الإسلاميّة، العدد ١٤٠، ١٤١٢ هـ، ماذا بعد الإتحاد السوفيتيّ؟

(٢) مجلّة صوت الوحدة الإسلاميّة، العدد ١٤٠، ١٤١٢ هـ.

(٣) كيهان العربي، العدد ٢٥٦٧، ٢٦ تموز ١٩٩٢ م، العلمانيّة التركيّة في خدمة المشروع الصهيوني، محمّد حسين طه.

(٤) الوحدة، العدد ١٤٦، تركيا العظمى وإسرائيل الكبرى، بربر العبادي.

إِسْتِظْلَاع

ستلجأ في ذلك إلى المصارف والشركات اليهودية التي تستطيع مساعدتها مقابل علاقات متطورة مع إسرائيل. وقد أثمر هذا التعاون التركي اليهودي في إقناع أربع دول بإقامة علاقات سياسية واقتصادية مع إسرائيل وهذه الدول هي «آذربيجان، كازاخستان، أوزبكستان، والقرغيز»^١.

(ب) السعودية :

ويمكن للولايات المتحدة والمعسكر الغربي الاستفادة من التغلغل السعودي في هذه الدول، ومحاولته طرح الفكر الوهابي الجامد الذي يمكن من خلاله أن يحرف المسلمين عن المنهج الفكري السليم، وينأى بهم عن الطريق الإسلامي الإصيل. وأخيراً فإن هناك دعوة غربية أطلقت للحد من تنامي الوعي الإسلامي في أوساط الشباب في هذه الجمهوريات، وذلك بالإستعانة ببقايا الشيوعيين عبر مصاهرة قشرية مع العلمانية الأتاتوركية، وبالتالي ضرب الصحة الإسلامية كما ورد في مقال لمجلة «الاكسبرس» الفرنسية^٢.

رابعاً : أساليب مواجهة المخطط الغربي وطريقة ترشيد الظاهرة الإسلامية :

لم يكن الإسلام حالة طارئة في حياة شعوب جمهوريات آسيا الوسطى، وإنما كان جزءاً رئيسياً من هويتها، ويشهد على قولنا هذا ما قدمت مدن هذه البلدان كمرو وبخارى وسمرقند وخوارزم من رجال أفذاذ، ساهموا في رقد الفكر الإسلامي بالعطاء الثر، ولا يزال مديناً لهم بما قدموه من خدمات جليلة لعقيدتهم ودينهم. فليس غريباً أن نرى عودة هذه البلدان إلى حظيرة العالم الإسلامي، وتهافت

(١) كيهان العربي، ٢٥٦٧، العلمانية التركية.

(٢) كيهان العربي، ٢٥٦٩، جمهوريات آسيا الوسطى، جلال الأنصاري.

إِشْتِطَالَاع

الإيديولوجيات التي فرضت عليهم ردحاً من الزمن. وبعد أن أفرغ المستعمرون كل ما لديهم من أفكار وما استعملوا من صنوف الأذى والإضطهاد لكي يبعدوا هؤلاء المسلمين عن دينهم.

ويكفي أن نذكر مثلاً واحداً حول هذه الجهود، فقد ألفت منظمة إلحادية في أوزبكستان سنة (١٩٥١ م) أكثر من عشرة آلاف محاضرة ضد الإسلام، وفي سنة (١٩٦٣ م) ألفت المنظمة ذاتها أكثر من خمسة آلاف محاضرة ضد الإسلام في تركمانستان، إضافة إلى إجبار المسلمين على الإستماع إلى الدعوة إلى الإلحاد وهم في بيوتهم.^١

وبالرغم من الجهود التي قام بها أعداء الإسلام كانت هناك حركات مضادة تعمل في السرّ ضدّ هذا المدّ المعادي ممّا أبقي على الهوية الإسلامية في هذه الدول، ويكفي أن نشير إلى شخصيتين برزتا آنذاك هما :

١ - شهاب الدين المرجاني (١٨١٨ - ١٨٨٩ م) ويعتبر أحد رموز الحركة الإصلاحية وهو من علماء التتار.

٢ - عبد الرشيد إبراهيموف (توفي ١٩٤٢ م) والذي يعتبر من تلامذة السيد جمال الدين الأسدآبادي وأتباع خطّه السياسي والفكري، المعادي لأيّ سلطة أجنبية تفرض نفسها على المسلمين.^٢

إنّ وجود الرغبة في نفوس شعوب هذه البلدان المسلمة يتطلّب العمل سريعاً لملء الفراغ المتولّد نتيجة سقوط الشيوعية وذلك من خلال طرح البديل، ولكي لا تسقط هذه الدول مرّة أخرى فريسة سائغة للإستعمار الغربي بعد أن تخلّصت حديثاً من الإستعمار الشرقي.

(١) كيهان العربي، نقلاً عن (المسلمون في الإتحاد السوفيتي).

(٢) المسلمون في الإتحاد السوفيتي.

إِسْتِظْلَاع

ومن بين الأمور التي يجب على المسلمين تنفيذها هي : التحرك سريعاً لملء الفراغ الفكري والثقافي، وطرح الفكر الإسلامي بعيداً عن المزايدات والخلافات المذهبية والطائفية، وكذلك دراسة المشاكل التي تمر بها هذه الدول خصوصاً المادية، وإيجاد السبل الكفيلة لسماحتهم وتخليصهم من الأزمات التي خلقتها لهم السياسات الإلحادية المنهارة، وتقديم القروض، وإيجاد أطر للتعاون الإقتصادي والصناعي. ولعل من المفيد أن نذكر هنا ربط هذه الدول بمنظمات إقتصادية كمنظمة «الايكو» التي تعتبر الجمهورية الإسلامية عضواً رئيسياً فيها، وبذلك يمكن الإعتماد على البلدان الإسلامية دون الحاجة الى اللجوء الى الغرب الجشع، وكذلك يمكن التوسع في التعاون الثقافي بين هذه الدول والجمهورية الإسلامية، ومن خلال الأطر الرسمية.

خامساً : مفردات الواقع الفعلي الحاكية عن تطلّعات شعوب آسيا الوسطى :

تبدو مظاهر تنامي الصحوة الإسلامية في جمهوريات آسيا الوسطى واضحة للعيان هذه الأيام، ولنا مثال على ذلك من طاجكستان هذا البلد الذي حمل على عاتقه بوادر الوعي الإسلامي في الجمهوريات المستقلة، فقد صرّح زعيم «حزب الصحوة الإسلامية» محمد شريف حكمت زاده في معرض تعريفه لهوية الشعوب المسلمة هناك والردّ على المخاوف الغربية قائلاً :

لا أدري لماذا تخيف هذه «الصحوة الإسلامية» الغرب؟ إنهم يفهمون أنّ «الأصولية» تعني جماعات أو إتجاهات متطرّفة. ولكنها ليست كذلك، فالأصولية هي العودة الى الإسلام الذي جاء به رسولنا محمد صلّى الله عليه وآله. وإذا قيل إنّنا أصوليون فليست بالمفهوم الغربي، وإنّما بمفهوم العودة الى الإسلام الخالص، وهذا بالنسبة لنا شرّف ومجد.^(١)

(١) مجلة التوحيد، العدد ٥٨ : ١٣١.

إِسْتِظْلَاع

وعلى الصعيد الإجتماعي العام فإن الزائر للعاصمة «دوشنبه» يجد المظاهر الإسلامية واضحة حيث الحجاب الإسلامي، ووجود أكثر من ١٢٨ مسجداً يتردد عليه المسلمون، واحتفال المسلمين بالأعياد، وذهاب الآلاف إلى مكة المكرمة لأداء فريضة الحج، بعد أن كان ممنوعاً عليهم ممارسة تلك الشعائر.

وهذا الأمر ينطبق على بقية الجمهوريات الإسلامية، إضافة إلى الجمهورية السابعة التي أُسست حديثاً وهي جمهورية «الشيخان انغوش»، حيث تتشابه جميعها في مظاهر المد الإسلامي وإنبعاث الصحوة، وكما ذكرت صحيفة «دي ولت» الألمانية، إذ قالت: «حيثما يتهاوى المنجل والمطرقة في أنحاء الإتحاد السوفيتي يرتفع بدلاً عنها الهلال رمز المسلمين» وكذلك قالت صحيفة اللوموند الفرنسية: «إن الأغلبية الساحقة في الجمهوريات الآسيوية ترى في الإستقلال أنه العودة إلى الهوية الإسلامية»^١.



المجمع الإسلامي بن محمد بن عبد الله الخميني

« ٣ »

الامام الخميني وبناء الدولة الاسلامية

الاستاذ عبد اللطيف عبادَة، المحاضر

يصعب الإمام في هذه العجالة القصيرة بكل الأفكار الاقتصادية للإمام سواء المتعلقة منها بمضمون النظرية الاقتصادية الاسلامية أو المتعلقة بدحض الرأسمالية والشيوعية. ونكتفي بما عرضناه من مبادئ عامة تقوم عليها السياسة الاقتصادية للحكومة الاسلامية.

كما يصعب الحديث عن الحكومة الاسلامية ذاتها في فكر الإمام خشية أن يطول بنا الحديث. ولا يتسع لذلك حجم بحثنا. وكل ما في الأمر أن الإمام قد أفرد لهذا الموضوع كتاباً مستقلاً. ونكتفي نحن بالوقوف عند بعض الأمور التي شذت انتباهنا.

الحكومة الاسلامية عند الامام

ويأتي في مقدمتها اعتقاد الامام بأن «إقامة الدولة الاسلامية هي صلب مشروع الاسلام للعالم كله بكل خصوصياته الحضارية... وها هي حكومته الاسلامية، حكومة من نوع خاص ونظام خاص، لا نموذج يشبهها في النماذج الحكومية وأصناف الدول التي عرفتها حضارة الطواغيت»^١. يقول الإمام في هذا الصدد: «فهي ليست حكومة مطلقة

(١) د. سمير سليمان. الإمام الخميني. والمشروع الحضاري الاسلامي. قراءة في خطاب الصراع والاستنهاض: ٤٤.

يستبد فيها رئيس الدولة برأيه، عابثاً بأموال الناس ورقابهم. وإنما هي حكومة دستورية، لا بالمعنى الدستوري المتعارف الذي يتمثل بالنظام البرلماني أو المجالس الشعبية، وإنما هي دستورية بمعنى. أن القائمين بالأمر فيها يتقيدون بمجموعة الشروط والقواعد المبينة في القرآن والسنة، والتي تتمثل في وجوب مراعاة النظام الاسلامي وتطبيق أحكام الاسلام وقوانينه. ومن هنا كانت الحكومة هي حكومة القانون الإلهي^١.

وبأتي بعد ذلك تمييز الامام بين الحكم على الظاهر والبدن والحكم على الباطن والقلب.

إن الحكومات الطاغوتية الاستبدادية هي حكومات على الأبدان، ولكنها بعيدة كل البعد عن القلوب. وإذا أراد المسلمون أن يخرجوا من سيطرة الأجانب فعلى حكوماتهم أن تسعى لكسب قلوب شعوبها. فالحكومة على القلوب لذيدة خلافاً للحكومة على الأبدان دون القلوب. والحكومة الاسلامية في إيران هي حكومة على القلوب. وإن قلوب الناس مع الذين يحكمون البلاد، والشعب هو الذي يحكم.

ومثل الامام الأعلى، الحكومة في صدر الاسلام التي كانت حكومة على القلوب. ولذلك فإنهم بعددهم القليل انتصروا على الامبراطوريات العظمى^٢.

ويقف الامام بحزم ضد الايديولوجيات الدخيلة: ضد الرأسمالية وديمقراطيتها البورجوازية، والشيوعية وديمقراطيتها المرتكزة على دكتاتورية البروليتاريا. بل يقف ضد طاغوت اليمين واليسار ويوصينا بأن نسلك الطريق المستقيم وأن تبني ديمقراطية الاسلام التي هي لا شرقية ولا غربية. «فالديمقراطية الصحيحة هي الديمقراطية الاسلامية. وإذا وقفنا فسوف نثبت للشرق والغرب بعدئذ أن ديمقراطيتنا هي الديمقراطية الحقيقية»^٣.

(٢) توجيهاً: ٢٤٢.

(١) الحكومة الاسلامية: ٤١.

(٣) ن. م: ١٩.

وسهب الامام في شرح ولاية الفقيه... الولاية الاعتبارية التي ستعيد ربط فضلاء هذه الأمة وعلمائها وفقهاؤها بشؤون الناس السياسية بعد أن انقطعوا عنها أو أجبروا على ذلك فترة طويلة من الزمن. لذلك رأى الامام من واجب «الفقهاء أن يعملوا فرادى أو مجتمعين من أجل إقامة حكومة شرعية... وفي حالة عدم إمكان تشكيل تلك الحكومة، فالولاية لا تسقط، لأن الفقهاء قد ولّاهم الله، فيجب على الفقيه أن يعمل بموجب ولايته قدر المستطاع»^١.

ويوصي الامام بطرد وعَاز السلاطين وفضحهم لأنهم أعداء الاسلام^٢. كما يوصي بتدمير الحكومات الجائرة بمقاطعة مؤسساتها وترك التعاون معها وجلب النفع لها وتعويض مؤسساتها بمؤسسات بديلة جديدة^٣.

أهداف الحكومة الاسلامية

«ولكن قيام الحكومة - كما يؤكد ذلك الدكتور سمير سليمان - وإلغاء الرق الثقافي والسياسي والاقتصادي ليسا نهاية المطاف في مسيرة المشروع الحضاري الاسلامي، بل هما دائرة ابتدائية من دوائر الكدح إلى الله سبحانه، على طريق بناء الدولة الاسلامية العالمية وتحرير الدنيا بأسرها واقتلاع الظلم بكل أنواعه وتجلياته. فالمسيرة كؤود وطويلة لا ينقطع فيها الجهاد بركنيه»^٤.

يقول الامام: «مادام صوت لا إله إلا الله، محمد رسول الله لم يطبق العالم... فالجهاد قائم»^٥.

وحياة الأمم في تمسكها بالجهاد واعتزازها بالشهادة لدكّ عروش الطواغيت وصروح الاستكبار العالمي وردّ العدوان «إننا نعتبر الشهادة فوزاً عظيماً. وإن شعبنا ليرغب

(٢) الحكومة الاسلامية: ١٤٣.

(٤) د. سمير سليمان. مرجع سابق: ٤٦.

(١) الحكومة الاسلامية: ٥١ - ٥٢.

(٣) ن.م: ١٤٥.

(٥) مختارات ٢ : ٣٠.

بالشهادة بقلبه وروحه. ولا نخشى الحرب ونحن رجال حرب، ولكننا لا نرغب في نشوب الحرب»^١.

ويوصي الامام المبلغين بهذه الوصية التي لا تقدر بثمن «انفخوا روح الجهاد، فيهب الجميع إلى الجهاد... الكل يطلب الحرية والاستقلال والسعادة والكرامة»^٢.

«ضرورة الوحدة الاسلامية»:

من دوائر الحضور كما يسميها مالك بن نبي بعد الوطن الصغير الأمة الاسلامية والعالم الثالث والعالم كله. ويرسم الاسلام للمسلم دوره في كل دائرة من هذه الدوائر. من العمل على وحدة المسلمين، إلى الدعوة والتبليغ، إلى الشهادة على الناس. ويدلي الامام بدلوه في هذا الموضوع. ويمكن تلخيص فكره في هذا المجال فيما يلي:

١- ضرورة الوحدة الاسلامية. يؤكد الامام «أن شعب إيران المسلم لا يملك الوسيلة إلى توحيد الأمة الاسلامية وتحرير أراضيها من يد المستعمرين وإسقاط الحكومات العميلة لهم إلا أن نسعى إلى إقامة حكومتنا الاسلامية، وهذه بدورها سوف تتكفل أعمالها بالنجاح يوم تتمكن من تحطيم رؤوس الخيانة، وتدمر الأوثان والأصنام البشرية والطواغيت التي تنشر الظلم والفساد في الأرض»^٣.

لذلك ينعى على المسلمين فرقتهم وتنازعهم وتكتلاتهم المبنيّة على الأهواء ومعصية الله، وإدراكاً منه أن صبغة الايمان والاسلام هي أساس القوة والنصر وأن الاجتماع في الحق وتوحيد الكلمة وكلمة التوحيد هي منبع عظمة الأمة الاسلامية التي توصل إلى النصر، دعا المسلمين إلى وحدة الصف كما كانوا في صدر الاسلام: «أيها المسلمون وأيها المستضعفون في العالم: تعاضدوا وتوجهوا إلى الله العظيم والجأوا إلى

(٢) الحكومة الاسلامية: ١٢٧.

(١) توجيهات: ١٣٦.

(٣) الحكومة الاسلامية: ٣٥.

الاسلام واتفصوا ضد المستكبرين ومنتهكي حقوق الشعوب»^١. ويؤكد الإمام رضوان الله عليه: «إذا كانت هناك وحدة إسلامية فلم يبق معنى لوجود ما يقارب المليار نسمة من مسلمي العالم تحت ضغط القوى الاستعمارية. فإذا نظمت قوة الايمان ووحدة الكلمة بهذا الشكل، فلن تستطيع أية قوة مهما كانت عظيمة أن تنتصر على المسلمين»^٢.

«وقوة المسلمين في إيمانهم وتمسكهم بالاسلام وفي تصديهم لقوى الظلم والطغيان في بلدانهم وفي العالم أجمع»^٣.

وعلى هذا يجعل الامام على رأس واجبات الحكومة الاسلامية مواجهة الاستكبار وإزالة آثار العدوان الاستعماري الفكري والخلقي^٤.

ويرى أن من أؤكد واجبات المسلمين تبني قضايا المستضعفين في العالم والاضطلاع بتحريرهم. لذلك يوصي المسلمين والمستضعفين بالسير «حثيثاً نحو إقامة دولة إسلامية بنظام جمهوري حرّ مستقل. فبتحقيق ذلك سوف تلقمون مستكبري العالم حجراً، وسوف توصلون كل المستضعفين إلى إمامة الأرض ووراثتها، على أمل تحقق ذلك اليوم الذي وعد به الله تعالى»^٥.

فكر الامام النقدي:

الواقع أن الامام يتميز بفكر نقدي رائع قلماً يتميز به قادة الثورات الذين ينظرون إلى حركاتهم في الغالب بعين الرضى التي تحجب عنهم عيوبها ونقائصها وتحول بينهم وبين علاجها وتقويم اعوجاجها.

(١) توجيهات: ١١٠.

(٢) م. ن: ٣١.

(٣) أنظر الامام الخميني: تجسيد الخلق الاسلامي السالف الذكر: ٦٦.

(٤) الحكومة الاسلامية: ١٣٢.

(٥) الرصية: ٥٨.

موقف الامام من نظرية فصل الدين عن السياسة

الامام فقيه وعالم من علماء الدين، ولكنه كان يتألم لاستسلام بعض المجتهدين والعلماء لبدعة فصل الدين عن السياسة، لذلك شنَّ عليهم حملة رفض واستنكار، وهاجم المقدَّسين لأنهم يتكلَّفون التقدُّس، ودعاهم إلى الرجوع عن غيِّهم. ودعا العلماء إلى نبذ الطمع في حطام الدنيا الفاني وعصيان الظلمة وعدم تزكية أعمالهم. وينمى على بعض العلماء خوفهم، إذ لا يوجد مسوغ للخوف: «فليكن حبساً أو نفيّاً أو قتلاً، فإن أولياء الله يشرون أنفسهم ابتغاء مرضاة الله». ويثور ثورة عارمة على الساكتين من الفقهاء والعلماء «لماذا السكوت؟ هؤلاء يذَّبُّونكم، فاصرخوا في وجوههم - على الأقل - واعترضوا، واستنكروا وكذبوهم... يجب أن يكون لكم صوت مسموع حتى لاتتخذ الأجيال القادمة من سكوتكم مايسوغ أعمال الظلمة سواء تعلق الأمر بقول الائم أو أكل السحت أو أكل أموال الناس بالباطل»^١.

موقف الامام من التقية

وهنا تأتي نظريته الثورية فيما يتعلق بالتقية التي يتذرّع بها البعض لتسويغ صمتهم. فيذكّرهم بأن التقية شُرِّعت: «لحفاظ على النفس أو الغير من الضرر في مجال فروع الأحكام. أما إذا كان الاسلام كله في خطر، فليس في ذلك متسع للتقية والسكوت...»^٢. فالتقية «في مثل هذه الحالة حرام وإن إظهار الحق واجب شرعي...»^٣. إن الامام لم ينتصر للعلماء والفقهاء على الإطلاق، بل انتصر للمخلصين منهم لأمناء الرسل. أمّا وعَاظ السلاطين فالواجب على المسلمين أن يحذروهم على دينهم^٤.

(١) الحكومة الاسلامية: ١٠٨ - ١٠٩.

(٢) ن.م: ١٤٢.

(٣) دروس في الجهاد: ٤١.

(٤) الحكومة الاسلامية: ٥٧.

تصدّي الامام لاحباط الدعايات ضد الاسلام والثورة الاسلامية

إن الامام قائد الثورة الاسلامية في إيران، ولكنه لم يكن مع ذلك يفضّ الطرف عن الانتقادات والدعايات المغرضة والأحاديث الملققة والاشاعات والأراجيف التي كانت تحاك ضد الثورة الاسلامية، بل كان يرصدها بدقة فائقة ويفنّدها بصبر وأناة وحكمة. بعضها مصدره الاستكبار العالمي، وبعضها مصدره أذناؤه، وبعضها مصدره مخلفات العهد الطاغوتي، وبعضها مصدره أجهزة الاعلام الغربية وعملياتها المحلية. وإدراكاً منه لخطورة الصراع الفكري راح يتصدّى لهذه الأراجيف بالتحليل والردّ حتى يحبط مفعولها في أوساط الشعب^١.

وتدفعه روحه النقدية إلى انتظار المزيد من الجهود لاستكمال مسار الثورة الاسلامية من طرف جميع المسلمين والمستضعفين في العالم حتى لايتوانوا في نضالهم ويتكلوا على الأجهزة والدول لتقوم بهذه الأعمال بدلاً منهم^٢. ويتنظر المزيد من الشبان والعمّال والنساء والعلماء والمؤسسات^٣.

بركات الثورة الاسلامية للعالم الاسلامي

إن الثورة الاسلامية الكبرى في إيران هي المؤشر الحقيقي على يقظة المسلمين. لقد هدّدت مصالح الاستكبار العالمي، وزرعت الأمل في نفوس المحرومين والمستضعفين وأتباع الصحوّة الاسلامية، وأصبحت أكبر معادٍ للاستكبار وأكبر مئبّت للاستقلال ضد أطماع الغرب والشرق. وقد استطاعت إسقاط أعنى نظام استبدادي عرفه العالم، فالاسلام والاستبداد ضدّان لا يلتقيان. وقد أظهرت لنا الثورة الاسلامية قيادة حاسمة

(٢) ن.م: ٥٧.

(١) الوصية: ٤٨ - ٤٩.

(٣) ن.م: ٤٠ - ٤٤.

ممثلة في الفقهاء بزعامة الامام، لاتقبل المساومة وأنصاف الحلول، واستطاعت أن تقدم بديلاً عنيداً للرأسمالية والشيوعية. وأظهرت اعتمادها على الشعب بصفته رصيد الثورة وقوتها ومادتها، صاحب المصلحة الحقيقية في الثورة والقادر على الاحتجاج دون كلل أو ملل.

ووقفت الثورة الاسلامية إلى جانب حركات التحرر الوطني وإلى جانب الثورة الفلسطينية بوجه خاص، وقد أثرت حولها أراجيف كثيرة أكدت دمويتها وإجفافها في حق المعارضة، ورجعيتها لتمسكها بتطبيق الحدود، وثيوقراطيتها لارتكازها على الفقهاء وميوعة مركز السلطة فيها وفشلها في حل المشاكل الاقتصادية للبلاد. وينسى أصحاب هذه الأراجيف دموية الطواغيت والاستكبار، وجرائم المعارضة العميلة الذين يتربصون كل على حدة أو مجتمعين بالثورة الاسلامية الدوائر. «إنهم يكيدون كيداً وأكد كيداً فمهل الكافرين أمهلهم رويداً»^١.

كما يتجاهلون الخير العميم الذي ينجم عن تطبيق الحدود وعن تسليم أزمة الحكم لفضلاء الأمة وعلمائها. وينسون تكالب الاستكبار العالمي والصهيونية وعملائهم ضدها ليمنعوها من تنفيذ برامجها الاقتصادية وخططها السياسية. وفي هذا الصدد يقول الامام في وصيته: «وخذوا بعين الاعتبار مشاكل هذه الجمهورية من مثل المؤامرات، والإعلام الكاذب، والهجوم المسلح خارج الحدود وفي الداخل، والاختراقات التي تعمد إليها المجموعات المفسدة والمعادية للاسلام في جميع أجهزة الدولة من أجل إثارة سخط الناس على الاسلام والحكومة الاسلامية، وهو أمر لا يمكن تجنبه، وهكذا حداثة أكثر أو كثير من المسؤولين بأعمالهم، ونشر الدعايات الكاذبة من قبل أولئك الذين انقطعت أو قلت عائداتهم الضخمة غير المشروعة، والنقص الهائل في عدد قضاة الشرع، والمشاكل الاقتصادية القاسمة، والمصاعب الكبيرة في تصفية وتهذيب الملايين من متصدي الأمور،

والنقص في الأفراد الصالحين، والمدراء والمتخصصين، وعشرات المصاعب الأخرى التي لا يعلمها إلا من دخل ساحة العمل^١.

ثراء فكر الامام ودقته

إن فكر الامام ثري بتوجهاته، دقيق وعلمي بمنهجه، ناجع بحلوله واقتراحاته ومشاريعه. وقد تبين لنا ذلك من خلال هذا العرض السريع لجوانبه الاجتماعية. يبقى على خلف الامام أن يكتفه (فكر الإمام) مع المتغيرات التي طرأت بعد وفاته. فقد عرفت الساحة بعد رحيله إلى جنة النعيم - بإذن الله تعالى - متغيرات نذكر منها:

- ما يسمى النظام العالمي الجديد: الشَّرْك الذي ينصبه الشيطان الأكبر للأمم المستضعفة.

- التضيق على الصحوحة الاسلامية أو ما يسمى من طرف الغرب بالتشدد والأصولية.
- انهزام النظام العراقي بعد أن تعرّض الشعب لمجازر يندى لها جبين الانسانية.
- انكشاف العمالة العربية.
- الأزمة الاقتصادية العالمية وتفاقم وضعية المستضعفين.
- انهيار العالم الشرقي.
- الأقليات الاسلامية في العالم في خطر.
- ازدياد الانقسامات داخل العالم الاسلامي.
- بروز الديمقراطية الغربية كنظام مفروض على الشعوب بالقوة.
- تفاقم مسألة المديونية.
- فوضى العمل الاسلامي.

وأملنا أن يتكيف هذا الفكر القيم مع الأوضاع المستجدة حتى يبقى باستمرار في

خصوصاً وأن فكر الامام يتنبأ بمثل هذه المتغيرات، ويحمل في طياته أجوبة للاستئلة المحتملة. ومن المؤامرات الخطيرة التي حذرنا منها في وصيته والموجهة ضد أمتنا: الدعايات الواسعة ذات الأبعاد المختلفة لبث اليأس من الاسلام، ولإبعاد البلدان المستعمرة عن هويتها ودفعها إلى التبعية للغرب أو الشرق. لذلك يؤكد للمسلمين أنهم إذا رجعوا إلى هويتهم، ونفضوا اليأس عن نفوسهم، ولم يعقدوا الأمل على الآخرين، واتكلوا على الله واسترجعوا ثقتهم بأنفسهم، وتحملوا المشاق من أجل حياة مشرفة، فلا شك أنهم سيرجعون بقوة إلى المعترك الحضاري^١.

لذلك كانت وصيته «إلى الشعوب والبلدان الاسلامية هي ألا يعقدوا الأمل على مساعدة خارجية في الوصول إلى الهدف المتمثل في الاسلام وتطبيق الأحكام الاسلامية. عليكم أن تنهضوا بأنفسكم بهذا الأمر الحياتي الذي يستتبعه تحقق الاستقلال والحرية»^٢.

ويلوم الذين يتوقعون تحوّل الأمور وفقاً للاسلام بسهولة بل يُخطئهم «إذا لم تحدث مثل تلك المعجزة على مرّ تاريخ البشرية ولن تحدث في المستقبل. وفي ذلك اليوم الذي يظهر فيه المصلح العالمي إن شاء الله تعالى، لا تظنون أن معجزة ستحدث، وأن العالم سيصلح في يوم واحد بل بالجهد والتضحيات سيقمع الظالمون ويدفعون إلى الانزواء»^٣.

فلنضخّ إذن من أجل تحقيق المشروع الحضاري الاسلامي.



رحمة الله على مَنْ غَارَ حِرَاءً إِلَى غَدِيرِ خُمٍّ

أولسائة

في غمرة التجردات الصادقة والتأملات العميقة، وفي غضون الصفاء الروحي والنقاء الوجداني، يجلس النبي صلى الله عليه وآله وسلم بمنأى عن الافق الضيق الذي تعيشه (قريش)، والواقع القائم الذي تتحرك فيه مفردات الحياة آنذاك، في غار يملؤه الهدوء، ويسوده السكون، وتلفه الظلال.. محلّقاً في آفاق الغيب، ومشدوداً نحو السماء، ومتطلّعاً للتغيير، عسى أن تبارق سحاب الإيمان، وتهطل غمام الرحمة بسيل الهداية لهذه الإنسانية المعذّبة.



وإذا بصوت «الروح الأمين» يطرق سمع «الصادق الأمين» وينفذ إلى أعماق قلبه الكبير، فينبأ جوانحه وآفاقه ببناء «اقرأ».

فكانت لحظة اتصال الأرض بالسماء، وبداية أريد لها أن تكون النهاية. إنها لحظة التآلق التي بلغت مسيرة الإنسانية الصاعدة، بعد أن طافت المراحل الطويلة المتهدية، واسترشدت فعل الرسائل السماوية السابقة.

وهي محطة المخاضات المريرة التي أفرزتها حيثيات الحياة ومفرداتها المتواصلة. «اقرأ» ردها الروح الأمين ثانية بعد أن ساد الأجواء صمت مطبق، لتمزق سكون الحياة، وتقطع أوصال الضلالة، وتفتح صفحة جديدة في ملف الوجود، فتستجيب نفس النبي صلى الله عليه وآله وسلم المقدسة لنداء الغيب، وتنهل الجرعة الأولى من معينه

المتدفق، ويستمع إلى بقية الحديث بروحه المتطلعة الطاهرة :

﴿اقرأ باسم ربك الذي خلق. خلق الإنسان من علق...﴾

إنها صرخة الحياة في وجه الجمود والتجبر، لتمزيق الجهل، وبث روح العلم والتطلع في آفاق الإنسان، من خلال الكلمة الصادقة، والعبارة الواعية.

وهي دعوة لشقّ قطع الظلام المطبق الطويل، الذي تمدّد عبر جفاف الأيام ليلفّ القيم والمبادئ والاخلاق، ويحجب نور الهداية عن نفوس البشر.

وهي هزة لضمير الواقع المثلث بالاغتراب، أرست دعائم التوحيد، وخطّت ثوابت الوحدة عن طريق الارتباط بالمطلق الحق ﴿الذي خلق﴾.

وهي بادرة حازمة هُئِمت كيان التفرعن والاستبداد والأناء، من خلال العودة بالذات إلى واقعها المهيمن المتمثّل بـ ﴿العلق﴾.

لقد بدأ الوحي، وبدأت الرسالة في يومها الأول، فتقلّد محمد صلى الله عليه وآله وسلم وسام النبوة، وشيّد الركن الأول لكيان الاسلام المنيع.

وأكملت الرسالة شوطها وتمّت النعمة في يومها الأخير، وتوّج عليّ عليه السلام بتاج الولاية، فشيّد الركن الآخر ليتسامق البناء عالياً شامخاً.

وكان بين هذا وذاك فصول مسهبة طويلة تمخّضت عن عطاء بلا حدود، وإخلاص منقطع النظر، ملأ الدنيا أريجاً، وصاغ للحياة فكراً وثقافة، وخطّ لها هدفاً ونهجاً.

فهنيئاً للساثرين في هذا الدرب الخالد، والمجسّدين لتعاليم الاسلام العظيم، والمستلهمين من بعثة نبيهم الكريم دروس الصبر والجهاد والوعي والإيمان.



السجود على الأرض أو ما لبسته

يتساءل البعض :

عن الدليل الشرعي الملزم للسجود على الأرض وما أنبت غير المأكول والملبوس إلا للضرورة.

وعن التزام البعض من أتباع أهل البيت عليهم السلام لحمل التربة معهم للصلاة. وعن الدليل على أفضلية السجود على التربة الحسينية الطاهرة. وقد تفضل سماحة الشيخ جعفر السبحاني بالإجابة عن الاسئلة المذكورة مشكوراً.

سماحة الشيخ جعفر السبحاني

السجدة في الصلاة وغيرها، من مظاهر العبودية أمام المسجود له، ومن أركان الصلاة، وفي بعض المأثورات «أقرب ما يكون العبد إلى ربه حال سجوده» فمهما أتى من التذلل والخضوع كان أوقع وأفضل في العبودية. فالسجود على التراب والرمل والحجر والحصى آيين لبيان العبودية والتصاغر، من السجود على الحصر والبقاري، فضلاً عن السجود على الألبسة الفاخرة والفرش الغالية والذهب والفضة، وإن كان الكل سجوداً، لكن العبودية تتجلى في الأول بما لا تتجلى في غيره.

والإمامية ملتزمون بالسجدة على الأرض في حضرهم وسفرهم، ولا يعدلون عنها إلا إلى ما أنبت منها من الحصر والبقاري بشرط أن لا يؤكل ولا يلبس. ولا يرون السجود على غيرهما صحيحاً في حال الصلاة أخذاً بالسنة المتواترة عن النبي الأكرم وأهل بيته وصحبه الصالحين. وسيظهر - في ثنايا البحث - أن الالتزام بالسجود على الأرض أو ما أنبت، كان هو السنة بين الصحابة، وإن العدول عنه حدث في الأزمنة المتأخرة. ولأجل توضيح المقام نقدم أموراً:



١ - إختلاف الفقهاء في شرائط المسجود عليه

اتَّفَقَ المسلمون على وجوب السجود في الصلاة في كل ركعة مرّتين، ولم يختلفوا في المسجود له فإنّه هو الله سبحانه الذي له ﴿يَسْجُدُ مِنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعاً وَكَرْهاً﴾^١ وشعار كل مسلم قوله سبحانه : ﴿لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ﴾^٢ وأنما اختلفوا في شروط المسجود عليه - أعني ما يضع الساجد جبهته عليه - فالشيعة الامامية على أنّه يشترط أن يكون المسجود عليه أرضاً أو ما ينبت منها غير مأكول ولا ملبوس كالحصير والبواري، وما أشبه ذلك. وخالفهم في ذلك غيرهم من المذاهب واليك نقل الآراء.

قال الشيخ الطوسي وهو يبيّن آراء الفقهاء : لا يجوز السجود إلّا على الأرض أو ما أنبتته الأرض ممّا لا يؤكل ولا يلبس من قطن أو كتان مع الإختيار. وخالف جميع الفقهاء في ذلك، وأجازوا السجود على القطن والكتان والشعر والصوف وغير ذلك - إلى أن قال : لا يجوز السجود على شيء هو حامل له ككور العمامة، وطرف الرداء، وكُمّ القميص، وبه قال الشافعي، وروي ذلك عن علي عليه الصلاة والسلام وابن عمر وعبادة بن الصامت، ومالك، وأحمد بن حنبل. وقال أبو حنيفة وأصحابه : إذا سجد على ما هو حامل له كالثياب التي عليه أجزأه، وإن سجد على ما لا ينفصل منه مثل أن يفتش يده ويسجد عليها أجزأه لكنّه مكروه وروي ذلك عن الحسن البصري.^٣

وقال العلامة الحلّي - وهو يبيّن آراء الفقهاء فيما يسجد عليه :- لا يجوز السجود على ما ليس بأرض ولا من نباتها كالجلود والصوف عند علمائنا أجمع، وأطبق الجمهور على الجواز.

وقد اقتدى الشيعة الامامية في ذلك بأئمتهم الذين هم أعدال الكتاب وقرناؤه في

سؤال وجواب

حديث الثقلين. وملتقي هنا بالنزr القليل من نصوصهم في ذلك :

روى الصدوق باسناده عن هشام بن الحكم أنه قال لأبي عبد الله عليه السلام : أخبرني عما يجوز السجود عليه، وعما لا يجوز، قال : السجود لا يجوز إلا على الأرض، أو على ما أنبت الأرض إلا ما أكل أو لبس. فقال له : جعلت فداك ما العلة في ذلك ؟ قال : لأن السجود خضوع لله عز وجل، فلا ينبغي أن يكون على ما يؤكل ويلبس، لأن أبناء الدنيا عبيد ما يأكلون ويلبسون، والساجد في سجوده في عبادة الله عز وجل، فلا ينبغي أن يضع جبهته في سجوده على معبود أبناء الدنيا الذين اغترؤا لغرورها^١.

فلا عتب على الشيعة الامامية إذا التزموا بالسجود على الأرض أو ما أنبته إذا لم يكن مأكولاً ولا ملبوساً اقتداءً بأئمتهم، على أن مارواه أهل السنة في المقام، يدعم نظرية الشيعة الامامية، وسيظهر لك فيما سيأتي من سرد الأحاديث من طرقهم، ويتضح أن السنة كانت هي السجود على الأرض، ثم جاءت الرخصة في الحصر والبوارى فقط. ولم يثبت الترخيص الآخر بل ثبت المنع عنه كما سيوافيك.

٢- الفرق بين المسجد له والمسجد عليه

كثيراً ما يتصور أن الالتزام بالسجود على الأرض أو ما أنبت بدعة، ويتخيل أن الحجر المسجد عليه وثق! وهؤلاء هم الذين لا يفرقون بين المسجد له، والمسجد عليه، ويزعمون أن الحجر أو التربة الموضوعة أمام المصلي وثق يعبد المصلي بوضع الجبهة عليه. ولكن لا عتب على الشيعة الامامية إذا قصر فهم المعترض، ولم يفرق بين الأمرين. وزعم المسجد عليه مسجوداً له، وقاس أمر الموحّد بأمر المشرك بحجة المشابهة في الظاهر، فأخذ بالصور والظواهر مع أن الملاك هو الأخذ بالحقيقة والواقع، فالوثن عند

(١) الوسائل ٣: الباب (١) من أبواب ما يسجد عليه، الحديث ١، وهناك روايات قريبة بهذا المضمون. والكل يتضمن ان الغاية من السجود التي هي التذلل لا تحصل بالسجود على غيرهما.

سؤال وجواب

الوثني معبود ومسجود له يضعه أمامه ويركع ويسجد له، ولكن الموحد الذي يريد أن يصلّي لإظهار العبودية إلى نهاية مراتبها، يخضع لله سبحانه ويسجد له، ويضع جبهته ووجهه على التراب والحجر، والرمال والحصى، مظهراً بذلك مساواته معها عند التقييم قائلًا: أين التراب وربّ الأرباب ؟

٣- السنّة في السجود في عصر الرسول وبعده.

إنّ النبي الأكرم وصحبه كانوا ملتزمين بالسجود على الأرض مدّة لا يستهان بها، متحمّلين شدّة الرمضاء وغبار التراب ورطوبة الطين، ولم يسجد أحد يوم ذاك على الثوب وكور العمامة بل ولا على الحصر والبواري والخمر^١، وأقصى ما كان عندهم لرفع الأذى عن الجبهة، هو تبريد الحصى بأكفهم ثم السجود عليها، وقد شكى بعضهم لرسول الله من شدّة الحر، فلم يُجبه، إذ لم يكن له أن يبدل الأمر الإلهي من تلقاء نفسه، إلى أن وردت الرخصة بالسجود على الخمر والحصر فوسع الأمر للمسلمين لكن في إطار محدود وعلى ضد هذا فقد مرّت في ذلك المجال على المسلمين مرحلتان - لا غير -:

١ - ما كان الواجب فيها على المسلمين، السجود على الأرض بأنواعها المختلفة من

التراب والرمال والحصى والطين، ولم تكن هناك أية رخصة عنها إلى غيرها.

٢ - المرحلة التي وردت فيها الرخصة بالسجود على نبات الأرض من الحصر 'بواري' والخمر، تسهياً للأمر، ورفعاً للحرج والمشقة ولم تكن هناك أية مرحلة أخرى مع الأمر للمسلمين أكثر من ذلك كما يدّعيه أهل السنّة، وإليك البيان.

(١) الخمر والخمرّة: هي مقدار ما يضع الرجل عليه وجهه في سجوده من حصى أو نسيجة غوص ونحوه من النبات (لسان العرب).

المرحلة الأولى

السجود على الأرض

١- روى الفريقان عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله أنه قال : جُعِلَتْ لِي الْأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا.^١

والمتبادر من الحديث أنَّ كل جزء من الأرض مسجد وطهور يُسجد عليه ويُقصد للتيمم، وعلى ذلك فالأرض تقصد للجهتين : للسجود تارة والتيمم أخرى.

وأما تفسير الرواية بأنَّ العبادة والسجود لله سبحانه لا يختص بمكان دون مكان ، بل الأرض كلها مسجد للمسلمين بخلاف غيرهم، حيث خصوا العبادة بالبيع والكنائس، فهذا المعنى ليس مغايراً لما ذكرناه فإنه إذا كانت الأرض على وجه الإطلاق مسجداً للمصلي فيكون لازمه كون الأرض كلها صالحة للعبادة، فما ذكر معنى التزامي لما ذكرناه، وما يعرب عن كونه هو المراد، ذكر «طهوراً»، بعد «مسجداً» وجعلهما مفعولين «جعلت» والنتيجة هي توصيف الأرض بوصفين، كونها مسجداً وكونها طهوراً، وهذا هو الذي فهمه الجصاص وقال : إِنَّ ما جعله من الأرض مسجداً هو الذي جعله طهوراً.^٢

تبريد الحصى للسجود عليها

٢- عن جابر بن عبد الله الأنصاري، قال : كنت أصلي مع النبي الظهر، فأخذ قبضة من الحصى، فأجعلها في كفي ثم أحولها إلى الكف الأخرى حتى تبرد ثم أضعها لجبيني، حتى أسجد عليها من شدة الحر.^٣

وعلق عليه البيهقي بقوله : قال الشيخ : ولو جاز السجود على ثوب متّصل به لكان

(١) صحيح البخاري ١ : ٩١ كتاب التيمم الحديث ٢. وسنن البيهقي ٢ : ٤٣٣ باب أينما أدركتك الصلاة فصل فهو مسجد، ورواه غيرهما من أصحاب الصحاح والسنن.

(٢) أحكام القرآن للجصاص ٢ : ٣٨٩ نشر بيروت.

(٣) مسند أحمد ٣ : ٢٢٧ من حديث جابر. وسنن البيهقي ١ : ٤٣٩ باب ما روي في التعجيل بها في شدة الحر.

سُؤَالٌ وَجَوَابٌ

ذلك أسهل من تبريد الحصى بالكف ووضعها للسجود^١. ونقول: ولو كان السجود على مطلق الثياب سواء أكان متصلاً أم منفصلاً جائزاً لكان أسهل من تبريد الحصى للسجود عليه، ولأمكن حمل منديل أو ما شابه.

٣- روى أنس قال: كنّا مع رسول الله في شدة الحرّ، فيأخذ أحدنا الحصاء في يده فإذا برد وضعه وسجد عليه^٢.

٤- عن خباب بن الأرت قال: شكونا إلى رسول الله شدة الرمضاء في جباهنا وأكفنا فلم يشكنا^٣.

قال ابن الأثير في معنى الحديث: إنهم لما شكوا إليه ما يجدون من ذلك لم يفسح لهم أن يسجدوا على طرف ثيابهم^٤.

هذه المأثورات تعرب عن أن السنة في الصلاة كانت جارية على السجود على الأرض فقط، حتى أن الرسول لم يفسح للمسلمين العدول عنه إلى الثياب المتصلة أو المنفصلة، وهو صلى الله عليه وآله مع كونه بالمؤمنين رؤوفاً رحيماً، أوجب عليهم مسّ جباههم الأرض وإن أذتهم شدة الحر.

الأمر بالترتيب

٥- عن خالد الجهنني قال: رأى النبي صهيياً يسجد كأنه يتقي التراب فقال له: ترتّب وجهك يا صهيّب^٥.

والظاهر أن صهيياً كان يتقي عن الترتيب بالسجود على الثوب المتصل والمنفصل، ولا أقل بالسجود على الحصر والبواري والأحجار المسطحة الصافية، وعلى كل تقدير

(١) سنن البيهقي ٢: ١٠٥.

(٢) السنن الكبرى ٢: ١٠٦.

(٣) سنن البيهقي ٢: ١٠٥ باب الكشف عن الجبهة.

(٤) ابن الأثير - النهاية ٢: ٤٩٧ مادة «شكى».

(٥) المتقي الهندي - كنز العمال ٧: ٤٦٥ برقم ١٩٨١٠.

سؤال وجواب

فالحديث شاهد على أفضلية السجود على التراب في مقابل السجود على الحصى، لما دلّ من جواز السجود على الحصى في مقابل السجود على الأرض.

٦- روت أم سلمة رضي الله عنها قالت: رأى النبي غلاماً لنا يقال له أفلع ينفخ إذا سجد فقال: يا أفلع تَرَبُّبٌ. وفي رواية يا رباح تَرَبُّبٌ وجهك^١.

٧- روى أبو صالح قال: دخلت على أم سلمة، فدخل عليها ابن أخ لها فصلّى في بيتها ركعتين فلما سجد نفخ التراب، فقالت أم سلمة، ابن أخي! لا تنفخ، فإنّي سمعت رسول الله يقول لغلام له يقال له يسار - ونفخ -: تَرَبُّبٌ وجهك لله^٢.

الأمر بحسر العمامة عن الجبهة

٨- روي أنّ النبي صلى الله عليه وآله كان إذا سجد رفع العمامة عن جبهته^٣.

٩- روي عن علي أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال: إذا كان أحدكم يصلي فليحسر العمامة عن وجهه، يعني حتى لا يسجد على كور العمامة^٤.

١٠- روى صالح بن حيوان السبائي أنّ رسول الله رأى رجلاً يسجد بجنبه وقد اعتم على جبهته فحسر رسول الله عن جبهته^٥.

١١- عن عياض بن عبد الله القرشي: رأى رسول الله رجلاً يسجد على كور عمامته فأومأ بيده: ارفع عمامتك وأومأ إلى جبهته^٦.

هذه الروايات تكشف عن أنّ السجود على الأرض هو التكليف الثابت في الصلاة آنذاك، ولم تكن هناك أي رخصة سوى تبريد الحصى، ولو كان هناك ترخيص لما فعلوا ذلك، ولما أمر النبي بالتتريب وحسر العمامة عن الجبهة.

(١) المتقي الهندي - كنز العمال ٧: ٤٥٩ برقم ١٩٧٧٦. (٢) المصدر نفسه برقم ١٩٧٧٧.

(٣) المتقي الهندي - كنز العمال ٧: ٤٦٥ برقم ١٩٨١٠. ومسنّد أحمد ٦: ٣٠١.

(٤) الطبقات الكبرى ١: ١٥١ كما في السجود على الأرض: ٤١.

(٥) منتخب كنز العمال المطبوع في هامش المسند ٣: ١٩٤.

(٦) البيهقي - السنن الكبرى ٢: ١٠٥. (٧) المصدر نفسه.

المرحلة الثانية

الترخيص في السجود على الخُمَر والحصر

هذه الأحاديث والمأثورات المبنوثة في الصحاح والمسانيد وسائر كتب الحديث تعرب عن التزام النبي وأصحابه بالسجود على الأرض بأنواعها، وأنهم كانوا لا يعدلون عنه وإن صعب الأمر واشتد الحر. لكن هناك نصوص تعرب عن ترخيص النبي - بإيحاء من الله سبحانه إليه - السجود على ما أنبت الأرض، فسهل لهم بذلك أمر السجود ورفع عنهم الاصر والمشقة في الحر والبرد وفيما إذا كانت الأرض مبتلة، وإليك تلك النصوص:

- ١ - عن ابن عباس : كان رسول الله صلى الله عليه وآله يصلي على الخُمرة وفي لفظ : وكان النبي يصلي على الخُمرة^١.
- ٢ - عن عائشة : كان النبي يصلي على الخُمرة^٢.
- ٣ - عن أم سلمة : كان رسول الله صلى الله عليه وآله يصلي على الخُمرة^٣.
- ٤ - عن ميمونة : ورسول الله صلى الله عليه وآله يصلي على خُمرة فإذا أصابني طرف ثوبه^٤.
- ٥ - عن أم سليم قالت : وكان يصلي على الخُمرة^٥.
- ٦ - عن عبد الله بن عمر : كان رسول الله يصلي على الخُمرة^٦.

السجود على الثياب لعذر

قد عرفت المرحلتين الماضيتين ولو كانت هناك مرحلة ثالثة فأنما هي مرحلة جواز السجود على غير الأرض وما يثبت منها لعذر وضرورة. ويبدو أن هذا الترخيص جاء

(١) مسند أحمد ١ : ٣٦٩، و٣٠٩، و٣٠٣، و٣٥٨.

(٢) مسند أحمد ٦ : ١٧٩ وفيه أيضاً قال للجارية وهو في المسجد ناوطني الخُمرة.

(٣) مسند أحمد ٦ : ٣٠٢. (٤) مسند أحمد ٦ : ٣٣١، و٣٣٥.

(٥) مسند أحمد ٦ : ٣٧٧. (٦) مسند أحمد ٢ : ٩٢، و٩٨.

سؤال وجواب

متأخراً عن المرحلتين لما عرفت أنَّ النبي صَلَّى الله عليه وآله لم يُجب شكوى الأصحاب من شدة الحرِّ والرمضاء وراح هو وأصحابه يسجدون على الأرض متحمّلين الحرِّ والأذى، ولكنَّ الباري عزَّ اسمه رخص لرفع الحرج السجود على الثياب لعذر وضرورة وإليك ماورد في هذا المقام.

١ - عن أنس بن مالك: كنّا إذا صلّينا مع النبي صَلَّى الله عليه وآله فلم يستطع أحدنا أن يمكن جبهته من الأرض طرح ثوبه ثم سجد عليه.

٢ - وفي صحيح البخاري: كنّا نصلي مع النبي صَلَّى الله عليه وآله فيضع أحدنا طرف الثوب من شدة الحر. فإذا لم يستطع أحدنا أن يمكن جبهته من الأرض، بسط ثوبه.

٣ - وفي لفظ ثالث: كنّا إذا صلّينا مع النبي صَلَّى الله عليه وآله فيضع أحدنا طرف الثوب من شدة الحر وكان السجود^١.

وهذه الرواية التي نقلها أصحاب الصحاح والمسانيد تكشف الغطاء عن بعض ما روي في ذلك المجال الظاهر في جواز السجود على الثياب في حالة الاختيار أيضاً. وذلك لأنَّ رواية أنس نص في اختصاص الجواز على حالة الضرورة فتكون قرينة على المراد من هذه المطلقات. وإليك بعض ما روي في هذا المجال:

١ - عبد الله بن محرز عن أبي هريرة: كان رسول الله صَلَّى الله عليه وآله يصلي على كور عمامته^٢.

إنَّ هذه الرواية مع أنَّها معارضة لما مر من نص النبي صَلَّى الله عليه وآله عن السجود عليه محمولة على العذر والضرورة، وقد صرح بذلك الشيخ البيهقي في سننه حيث قال: قال الشيخ: «وأما ما روي في ذلك عن النبي صَلَّى الله عليه وآله من السجود على كور العمامة فلا يثبت شيء من ذلك» وأصح ما روي في ذلك قول الحسن البصري حكاية عن أصحاب

(١) صحيح البخاري ١: ١٠١، صحيح مسلم ٢: ١٠٩، مسند أحمد ١: ١٠٠، السنن الكبرى ٢: ١٠٩.

(٢) كنز العمال ٨: ١٣٠ برقم ٢٢٢٣٨.

سؤال وجواب

النبي. وقد روي عن ابن راشد قال: رأيت مكحولاً يسجد على عمامته فقلت: لم تسجد عليها؟ قال: أتقي البرد على أسناني^١.

٢ - ما روي عن أنس: كنّا نصلي مع النبي صلى الله عليه وآله فيسجد أحدنا على ثوبه^٢.

والرواية محمولة على صورة العذر بقريئة ما روينا عنه، وبما رواه عنه البخاري: كنّا نصلي مع النبي صلى الله عليه وآله في شدة الحرّ فإذا لم يستطع أحدنا أن يمكن وجهه من الأرض بسط ثوبه فسجد عليه^٣. ويؤيده ما رواه النسائي «كنّا إذا صلينا خلف النبي بالطهائر سجدنا على ثيابنا اتقاء الحرّ»^٤.

وهناك روايات قاصرة الدلالة حيث لا تدل إلا على أنّ النبي صلى الله عليه وآله صلى على الفرو. وأمّا أنّه سجد عليه فلا دلالة لها عليه.

٣ - عن المغيرة بن شعبة: كان رسول الله يصلي على الحصر والفرو المدبوغة^٥.
والرواية - مع كونها ضعيفة بيونس بن الحرث - ليست ظاهرة في السجود عليه، ولا ملازمة بين الصلاة على الفرو والسجدة عليه، ولعلّه صلى الله عليه وآله وضع جبهته على الأرض أو ما ينبت منها. وعلى فرض الملازمة لا تقاوم هي وما في معناها، ما سردناه من الروايات في المرحلتين الماضيتين.

حصول البحث

إنّ الناظر في الروايات يجد أنّه مرّ على المسلمين مرحلتان أو مراحل ثلاثة. ففي

(١) المصنف لعبد الرزاق ١: ٤٠٠ كما في سيرتنا وستتنا، والسجدة على التربة: ٩٢.

(٢)

(٣) البخاري ٢: ٦٤ كتاب الصلاة - باب بسط الثوب في الصلاة للسجود.

(٤) ابن الأثير - الجامع للأصول ٥: ٤٦٨ برقم ٣٦٠.

(٥) أبو داود - السنن: باب ما جاء في الصلاة على الخمرة برقم ٣٢١.

سؤال وجواب

المرحلة الأولى كان الغرض السجود على الأرض ولم يُرَخَّص للمسلمين السجود على غيرها، وفي الثانية جاء الترخيص فيما تنبت الأرض. وليست وراء هاتين المرحلتين مرحلة أخرى إلا جواز السجود على الثياب لعذر وضرورة، فما يظهر من بعض الروايات من جواز السجود على الفرو وأمثاله مطلقاً فمحمولة على الضرورة، أو لا دلالة لها على السجود عليها بل غايتها الصلاة عليها.

ما هو السر في اتخاذ تربة طاهرة

بقي هنا سؤال يطرحه اخواننا أهل السنة يقولون: ما هو السر في اتخاذ تربة طاهرة في السفر والحضر والسجود عليها دون غيرها؟ وربما يتخيل البسطاء أن الشيعة الامامية يسجدون لها لا عليها، ويعبدون الحجر والتربة، ولكنهم لا يفرّقون بين السجود على التربة والسجود لها. وعلى أي تقدير فالاجابة عنها واضحة، فإن المستحسن عند الشيعة الامامية هو اتخاذ تربة طاهرة طيبة ليتيقن من طهارتها من أي أرض من أرجاء العالم أخذت، وهي كلّها في ذلك سواء.

وليس هذا الالتزام إلا مثل التزام المصلّي بطهارة جسده وملبسه ومصلاه، وأما سرّ الالتزام في اتخاذ التربة هو أن الثقة بطهارة كل أرض يحل بها ويتخذها مسجداً لا تتأتى له في كل موضع من المدن والقرى والفنادق والخانات ومحال المسافرين ومحطات وسائل السير والسفر ومهابط فئات الركاب ومنازل الغرباء، وقد يحل بها أخلاط الناس الذين لا يباليون ولا يكثرثون لأمر الدين في موضوع الطهارة والنجاسة.

فأي وازع من أن يحتاط المسلم في دينه؟ ويتخذ معه تربة طاهرة يطمئن بها وبطهارتها يسجد عليها لدى صلاته حذراً من السجدة على الرجاسة والنجاسة والأوساخ التي لا يتقرّب بها إلى الله قط، ولا تجوز السنة السجود عليها، ولا يقبله العقل السليم، خصوصاً عند ورود التأكيد التام البالغ في طهارة أعضاء المصلّي ولباسه والأمر

سؤال وجواب

بتطهير المساجد وتطيبها والنهي عن الصلاة في مواطن، منها :

المزبلة، والمجزرة، وقارعة الطريق، والحمام، ومواطن الابل^١.

وهذه القاعدة كانت ثابتة عند السلف الصالح وإن غفل التاريخ عن نقلها، فقد روي أن التابعي الفقيه مسروق بن الأجدع المتوفى عام ٦٢ هـ كان يصحب في أسفاره لبنة من المدينة يسجد عليها، كما أخرجه بن أبي شيبه في كتابه المصنف «باب من كان عمل في السفينة شيئاً يسجد عليه». فأخرج باسنادين أن مسروقاً كان إذا سافر حمل معه في السفينة لبنة يسجد عليها^٢.

إلى هنا تبين أن التزام الشيعة الامامية باتخاذ التربة مسجداً ليس إلا لتسهيل الأمر للمصلّي في سفره وحضره عن أن لا يجد أرضاً طاهرة أو حصيراً طاهراً فيصعب الأمر عليه، وهذا كادّخار المسلم تربة طاهرة لغاية التيمّم عليها.

وأما السر في التزام الشيعة الامامية استحباباً بالسجود على التربة الحسينية فأنما هو من جهة الأغراض العالية والمقاصد السامية، منها، أن يتذكّر المصلّي حين يضع جبهته على تلك التربة بتضحية ذلك الإمام بنفسه وأهل بيته والصفوة من أصحابه في سبيل العقيدة والمبدأ ومقارعة الجور والفساد.

ولما كان السجود أعظم أركان الصلاة، وفي الحديث «أقرب ما يكون العبد إلى ربه حال سجوده» فمناسب أن يتذكّر بوضع جبهته على تلك التربة الزاكية هذه الدنيا الزائفة وزخارفها الزائلة، ولعلّ هذا هو المقصود من أن السجود عليها يخرق الحجب السبع كما في الخبر، فيكون حينئذ في السجود سر الصعود والعروج من التراب إلى ربّ الأرباب^٣.

وقال العلامة الأميني : نحن نتخذ من تربة كربلاء قطعاً لمعا، وأقراصاً نسجد عليها

(١) الأميني - سيرتنا وسنتنا : ١٥٨ - ١٥٩.

(٢) المصنف لأبي بكر بن أبي شيبه.

(٣) محمد حسين كاشف الغطاء - الأرض والتربة الحسينية : ٢٤.

سؤال وجواب

كما كان فقيه السلف مسروق بن الأجدع يحمل معه لبنه من تربة المدينة المنورة يسجد عليها، والرجل تلميذ الخلافة الراشدة، فقيه المدينة، ومعلم السنّة بها، وحاشاه من البدعة. فليس في ذلك أي حزازة وتعسف أو شيء يضاد نداء القرآن الكريم أو يخالف سنّة الله وسنّة رسوله صلى الله عليه وآله أو خروج من حكم العقل والاعتبار.

وليس اتّخاذ تربة كربلاء مسجداً لدى الشيعة الامامية من الفرض المحتم، ولا من واجب الشرع والدين، ولا ممّا ألزمه المذهب، ولا يفرق أي أحد منهم منذ أول يومها بينها وبين غيرها من تراب جميع الأرض في جواز السجود عليها، خلاف ما يزعمه الجاهل بهم وبآرائهم، وإن هو عندهم إلا استحسان عقلي ليس إلا، واختيار لما هو الأولي بالسجود لدى العقل والمنطق والاعتبار فحسب كما سمعت، وكثير من رجال المذهب يتخذون معهم في أسفارهم غير تربة كربلاء ممّا يصح السجود عليه كحصير طاهر نظيف يوثق بطهارته أو خُمرة مثله ويسجدون عليه في صلواتهم^١.

هذا الإمام اجمالي بهذه المسألة الفقهية والتفصيل موكول إلى محلّها وقد أغنانا عن ذلك ما سطره أعلام العصر وأكابرهم وأخص بالذكر منهم.

١ - المصلح الكبير الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء. (ت ١٣٧٣) في كتابه الأرض والتربة الحسينية.

٢ - العلامة الكبير الشيخ عبد الحسين الأميني مؤلف الغدير (١٣٢٠ - ١٣٩٠) فقد دوّن رسالة في هذا الموضوع طبعت في آخر كتابه سيرتنا وسنّتنا.

٣ - السجود على الأرض للعلامة الشيخ علي الأحمدي دام عزّه فقد أجاد في التتبّع والتحقيق.

فما ذكرنا في هذه المسألة اقتباس من أنوار علومهم. رحم الله الماضين من علمائنا وحفظ الله الباقيين منهم.



مختارات من الرواية الشعرية

سكينة بنت الوليد

عَلَى الصَّغَلَى (الغزل)

«حوار بين الامام الحسين عليه السلام والوليد بن عتبة والي يزيد على المدينة ورسوله إلى الامام الحسين لأخذ البيعة له منه».

الوليد:

لَيْسَ بِطَهَ الْمُصْطَفَى
وَكَفَى بِهِ فَخْرًا، كَفَى

خَيْرُ النَّحِيَةِ وَالسَّلَامِ
لِسُلَيْلٍ خَيْرٍ كَرِيمَةٍ

الحسين:

بِكَ أَنْتَ أَنْتَ، وَلَا أَرِيدُ
دِمَشْقًا، صَاحِبَهَا يَزِيدُ

أَهْلًا وَسَهْلًا بِالْوَلِيدِ
كُفْرًا بِشَرِّ النَّاسِ رَبِّ

الوليد:

مِنْ السَّلَامِ جَمِيلَةٌ؟

وَلَوْ أَنَّهُ يُهْدِي الْحُسَيْنَ

الحسين:

وَلَوْ أَنَّهُ.....

الوليد:

أَنْ قَدْ نَبَذَتْ سَيْلَةً

أَوْ أَرَى

فَتُونٌ وَأَدَابٌ

وَأَبْسَيْتَ إِلَّا أَنْ تَكُونَ
تَقْضِي الْخِلَافَةَ أَنْ تُطِيعَ
الحسين: [في احتداد]

مَنْ ذَا أَطِيعُ؟ وَلَسْتُ أَعْرِفُ فَاجِرًا
هَذَا الَّذِي مَا خَافَ لَوَمَةَ لَائِمٍ
كَلًّا وَلَا فِي قَتْلِ نَفْسٍ دُونَمَا
كَلًّا، وَلَا هُوَ عَفٌّ فَانْحَرَفَتْ بِهِ
أَوْ مِثْلُ هَذَا مِنْ أُسَابِغٍ؟ وَنِلْكُمْ
إِنْ كُنْتُ مِثْلَ أَخِي وَكُلِّ عَشِيرَتِي
فَلَا تُنِيبِي مَا كُنْتُ أَعْلَمُ أَنَّهُ
وَأَحَالَهَا مُلْكًا، أَلَا يَا سُوءَ مَا
الوليد:

أَتَعْلَمُ يَا حُسَيْنُ بِأَنَّ هَذَا
وَسُوءَ أَبُو يَزِيدَ بِهِمْ جَمِيعًا
الحسين:

أَطَاعُوكُمْ عَلَى خَوْفٍ رِئَاءٍ
وَكُوفِيَةٍ كُلِّ كَذَابٍ مُرَاوٍ
فَعِظْتُمْ كُلَّ ذِي شَرَفٍ وَعِزٍّ
وَهَذَا قَائِلٌ حَقًّا، وَأَكْرَمُ
يُخَاطَبُكُمْ وَمِلَّةٌ حَشَاءُ نَارٍ
«فَإِنْ تَاتُوا بِرَمْلَةٍ أَوْ بِهِنْدٍ

نَ، وَلَنْ تَكُونَ، عَدِيلُهُ
—عَ، وَأَنْ تَكُونَ خَلِيلُهُ

كَيَزِيدَ، تَبَّتْ، يَا وَلِيدُ، يَدَاهُ
فَيَمَّا عَلَيْهِ تَحْنُهُ صَهْبَاهُ
حَقٌّ، وَذَلِكَ مَا أَبَاهُ اللَّهُ
عَنْ دِيْنِ رِيَّاتِ الْهَوَى ثَقْوَاهُ
أَيُّنَ الْفَضِيلَةِ؟ وَالْثَقَى؟ وَالْجَاهُ؟
بَابِعْتُ، فَيَمَّا تَعْلَمُونَ، أَبَاهُ
شَادَ الْخِلَافَةَ لِیَزِيدَ وَرَاهُ
قَدْ شَادَ مِنْ مُلْكٍ لَهُ وَيَنَاهُ!

تَوَلَّاهُ خِيَارَ الْمُسْلِمِينَ؟
فَقَدْ هَبُّوا إِلَيْهِ طَائِعِينَ

فَصَدَّقْتُمْ مَقَالَ الْخَائِفِينَ
وَجُوزِي بِالْعِقَابِ الصَّادِقُونَ
يَمَّا كُنْتُمْ جَمِيعًا تَفْعَلُونَ
بِهِ مَنْ قَائِلٌ حَقًّا مُيَسَّرًا
يُسَعِّرُهَا الْأَسَى، لَوْ تَسْمَعُونَا:
تَبَايَعْنَا أَمِيرَةً مُؤْمِنِينَ

فنون و آداب

حُسَيْنَا الْفَيْظُ حَتَّى لَوْ شَرِبْنَا

الوليد:

أَتَأْذُنُ لِي يَا ابْنَ فَاطِمَةٍ
لَأَجْهَرَ بِالسَّرِّ مِمَّا حَمَلْتُ

الحسين:

أَلَا قُلْ، وَيَا لَيْتَ أَنْسِي أَفِيدُ
فَارُوي غَلِيلِي بِأَخْبَارِ مَنْ

الوليد:

إِنَّ الْخِلَافَةَ، يَا حُسَيْنُ، كَمَا تَرَى،
مَا فِي الْكَيْسَارِ، سِوَاكَ، غَيْرُ مُتَابِعٍ
جَمْعًا لَشَمْلِ الْمُسْلِمِينَ، وَرَغْبَةً
تَقْوَى بِهِ الْأَمَالَ فِي أَسْنَى عَدِ
حَتَّى يَعْمَ الْأَرْضَ نُورُ مُحَمَّدٍ
أَفْهَلْ تَشُقُّ عَصَا مُؤَدِّكَ شَقُّهَا؟

الحسين:

أَقْصِرْ فَمَا شَقِيَّ الْعَصَا لِيَزِيدَكُمْ
عَارًا عَلَى مَنْ كَانَ يَعْلَمُ سِرَّهُ
مَا إِنْ لَهُ هُمْ سِوَى آثَامِهِ
وَهُوَ الْخَلِيفَةُ لَا حَمِيدٌ خَلَقَهُ

الولي:

يَا ابْنَ الرُّسُولِ، الْأَمْرُ أَصْبَحَ مَا تَرَى

دِمَاءَ بَنِي أُمَيَّةَ مَا رَوَيْنَا^١

وَأَنْتَ الْمُبْجَلُ فِي قَوْمِهِ
وَلَا خَيْرَ يُؤْمَلُ فِي كَتَمِهِ؟

كَمُلْ صَحَابِي مِنْ عِلْمِهِ
يَحْضُرْ عَلَى الشَّرِّ ذِكْرُ اسْمِهِ!

أَضَحَّتْ أَرْمَتُهَا بِكَفِّ تَرْبِدا
وَمُزِيدٍ مَا شَاءَهُ تَأْيِيدَا
فِي أَنْ يُوَحِّدَ سَعْيُهُمْ تَوْحِيدَا
يَأْتِي مَجِيدَا بِالْفَتْوحِ مَدِيدَا
أَنْجَادَهَا وَسَهْلَتَهَا وَالْبِيدَا
مَا كَانَ مِثْلُكَ شَقَّهَا لِتَرْبِدا

بِمُحَرَّمٍ وَلَوْ أَنَّ أَشَقُّ وَحِيدًا
مِثْلِي يَبِيعُ فَاجِرًا رِعْدِيدًا^٢
يَبْغِي لَهَا مَا الْعُمُرُ طَالَ - مَزِيدًا
كَلَامًا وَلَا أَخَذَ الزَّمَانُ رَشِيدًا

أَفَلَسْتَ تَأْمَنُ أَنْ تَظُلَّ فَرِيدًا؟

(٢) الرعد يد: الحبان.

(۱) شمر عبد اللہ بن ہمام.

فَتَرَى وَأَدَابِ

أُمُّ الْقُرَى قَدْ بَايَعَتْهُ وَتَثَرَتْ
إِنَّ الْخِلَافَةَ يَا حُسَيْنُ، لَدَوْلَةٍ
فَإِذَا رُضِيتَ فَإِنَّ «جَلَّتْ» تَحْتَفِي
خَارَ الْخِلَافَةِ يَلُكُ، مَطْلَعُ نُورِهَا
وَالَى دِمَشْقَ هَوَتْ وَتَهْوِي أَعْيُنُ
لَا شَيْءَ غَيْرَ الْفَتْحِ يُلْهِثُ شَرْقَهَا
الحسين: [في احتداد أكثر]

أَيْهَذَا الزَّيْدُ صَهْ، وَدَعْنِي
إِنْ تَكُنْ جِشْنِي لَتَجْمَعُ عُدُودِي
وَكَيْفَ الشَّيْطَانُ تَدْعُو إِلَى الْكُفْرِ
زُحِرْتُ الْقَوْلِ مَا تَزَوَّدَتْ، لَا غَيْرُ،
فَاعْلَمْ أَنَّي أَنَا الثَّابِتُ الرَّايِ
أَبْلَغُ الزَّيْدُ أَنْ أَبْنَى خَيْرَ
لِلنَّبِيِّ طَبَائِعًا وَجَلَالًا
أَبْلَغُ الزَّيْدُ أَنَّ بَيْنِي هـ
وَبِأَحْضَانِنَا الثُّبُوتُ قَامَتْ
وَبِنَا الْفَتْحُ كَانَ وَالْخَتَمُ، فَضْلًا
أَنَا، وَاللَّهِ، لَنْ يُسَالِحَ يَمْلِي
وَلَنَا مَوْعِدٌ عَدَا لِنَرَى أَيَّ
وَعَدَا تَعْرِفُ الْخِلَافَةَ أَيَّ

وَكَفَى بِأَهْلِ الْجَلَّتِينَ شُهُودًا
سَأَلْتُكَ بَيْعَةَ رَبِّهَا تَسْوِيدًا
وَتَقِيمُ لِلْبُشْرَى بِعَظْمِكَ عِيدًا
وَمَحْطُ مَنْ هَبُوا لَهَا تَوَطُّيدًا
لَا بَلَّ وَأَفْسِدَةً تَتَرُومُ جَدِيدًا
لِنَرَاهُ فَتَحَا مِنْ هُنَاكَ بَعِيدًا

من مقال عافته أذني ونفسي
وَتَرَى هَلْ يَخُورُ فِي الْحَقِّ بَاسِي
وَلَكِنَّ دُعَاءَ مَكْرٍ وَقَسَّ
وَزُورٌ يَكَادُ يُدْرِي بِلَمِينِ
الْمَشِيدُ الْجَبَا عَلَى خَيْرِ أَسْ
الْخَلْقِ مَا إِنْ يُرَى مُطَاطِيءَ رَأْسِ
فَتَرَكَ النَّاسَ مِنْهُ فِي خَالِ بَاسِ
إِسْمٍ، مِمَّا الرَّشُولُ صَاحِبُ خَمِيسِ
وَحَبِثُ شُعْلَةَ الْهَدَى كُلَّ جَنِينِ
جَلَّ ذُو الْفَضْلِ، دُونَ غَبْنِ وَبَخْسِ
مِثْلُهُ، يَا وَلِيدُ، مَا عَاشَ غَرِيبِي
جَدِيدٌ بِبَيْعَةٍ وَتَأْسِي
هُوَ أَوْلَى بِهَا ... عَدَا خَيْرُ دَرِس ...

* * *



□ الجمهورية الاسلامية

في ايران :

مؤتمر الفجر في زاهدان

مع مطلع السنة الخامسة عشرة لبزوغ الثورة الاسلامية المباركة في إيران، وبحلول أيام عشرة الفجر المباركة، والتزاماً بخطى مفجر الثورة الاسلامية الامام الخميني قدس سره، انعقد أول مؤتمر لتبادل الآراء بهدف تقريب وجهات النظر بين علماء المذاهب الاسلامية. وفي ظل رعاية وتوجيه قائد الثورة الاسلامية آية الله السيد علي الخامنئي دام ظله، وحرصاً على الوحدة

الاسلامية، فقد دعا المؤتمرين إلى التمسك بالقرآن الكريم، وترسيخ مفاهيم الوحدة والانسجام بين جميع المسلمين لكي يكونوا قوة منيعة تقض مضاجع الطغاة والمستكبرين، وتدكّ عروش الظلم والجور المترتبة على صدور المستضعفين.

وقد انبثقت عن المؤتمر أربع لجان علمية للتحقيق في أهم القضايا التي تهم المسلمين في العالم وهي :

- ١ - لجنة التوحيد والشرك.
- ٢ - لجنة صيانة القرآن من التحريف.
- ٣ - لجنة التحقيق في الاسلوب

مِنْ أَنْبَاءِ الْفَرَسِ

الصحيح للتفاهم بين المذاهب
الاسلامية.

٤ - لجنة البحث في أساليب
الاستكبار العالمي لضرب الصحوة
الاسلامية وانتشار الاسلام الاصيل في
العالم.

وقد قدم العلماء المشاركون في هذا
المؤتمر مجموعة من البحوث والمقالات
التي نوقشت من قبل اللجان الخاصة، وتم
البحث والتحقيق فيها، ومن ثم التوصل
إلى نتائج اتفق عليها المشاركون من علماء
المذاهب الاسلامية.

إن من الثمرات المهمة لهذا المؤتمر
هو تمخّضه عن مزيد من التقارب
والتفاهم والتعاطف بين العلماء
المشاركين الذين أكدوا بدورهم ضرورة
تطوير مثل هذه المؤتمرات لما لها من
آثار إيجابية فعّالة لتعميق الوحدة بين
المسلمين. ودعوا إلى ضرورة الالتفاف
حول المبادئ العظيمة التي تتبناها
الثورة الاسلامية في إيران، والتي أعطت
نماها، وأثبتت جدارتها في الوقوف

بوجه الكفر العالمي لإقامة حكم الله في
الارض.

□ جنوب إفريقيا :

تمّ الإعلان عن تأسيس مؤسسة أهل
البيت في جنوب أفريقيا. جاء ذلك في
رسالة وجهتها المؤسسة إلى سماحة
الأمين العام للمجمع العالمي لأهل البيت
عليهم السلام.

وجاء في الرسالة : إنّ المؤسسة تقوم
على المبادئ الإسلامية الأصيلة بعيداً
عن التكتلات الحزبية والنعرات الطائفية،
وتسير على خطى الإمام الراحل فذسره.
ونظراً للحاجة الملحة - التي تراها
المؤسسة الحديثة التكوين - في متابعة
أُمور أتباع أهل البيت في جنوب إفريقيا
إقترحت المؤسسة إلتحاقها بالمجمع
العالمي لأهل البيت عليهم السلام، لكي
يقوم المجمع بتهيئة وتوفير المتطلبات
اللازمة لنجاح المؤسسة في تأدية دورها
الرسالي.

□ بريطانيا :

تصاعدت في الآونة الأخيرة الدعايات ضدّ اليهود وتطوّرت إلى هجمات تستهدف أشخاصهم أو ممتلكاتهم. وإنّ هذا التصاعد المنظم من قبل العناصر الإسلاميّة ضدّ اليهود العنصريّين قد أوجد قلقاً عميقاً بين قادة المجتمع اليهوديّ في إنكلترا.

وتقول المصادر اليهوديّة المحليّة : إنّ الحاخام (سوتون) قد تعرّض عدّة مرّات للضرب المبرّح من خلال الهجمات التي شنتها عليه بعض العناصر الإسلاميّة. وتدّعي هذه المصادر أنّ محاولات القادة اليهود لم تُفلح في عقد مفاوضات مع أئمة الجماعات والممثّلين المسلمين.

وقد أقامت الجمعية الإسلاميّة هناك ندوتها الثالثة في ذكرى وفاة الإمام الخمينيّ قدس سرّه، أكّد فيها أحد الخطباء على ضرورة الوقوف بوجه المؤامرات اليهوديّة، وقال: إنّهُ التقيّ مع ديفد

أرونك، المؤرّخ للنازيّة الجديدة. وألح على الحاضرين أن يدعموا محاولات أرونك في إثبات أنّ المجزرة التي تعرّض لها اليهود الألمان ما هي إلّا أسطورة لا واقع لها.

وفي هذا الصدد قام زعيم الحزب الإسلاميّ البريطانيّ بنشر كتاب «الأصوات الشيطانيّة» الذي اعتُبر ضرباً من الدعايات ضدّ العنصريّين (اليهود). وقد نقل الكاتب فيه نصوصاً من «بروتوكولات حكماء صهيون».

ويعتقد الإسلاميّون أنّ المجازر اليهوديّة على يد هتلر لم تكن سوى أساطير اختُلقت من أجل تبرير قيام دولة إسرائيل.

□ بنغلادش :

تُرجم في بنغلادش قبل فترة كتاب «نهج البلاغة» إلى اللغة البنغاليّة من قبل رجلٍ وهابيّ يُعرف باسم السيّد حسن علي. ولم يراع المترجم الأمانة في ترجمته، بل

من أنباء الرِّي

قام بعمله هذا عداءً وعناداً لمذهب أهل البيت وأتباعهم. فقد صرَّح في ترجمته بأنَّ الكثير من خطب نهج البلاغة ما هي إلَّا من موضوعات الشيعة وابتداعاتهم.

□ ساحل العاج :

صدر العدد الجديد ١٦٣١ من مجلة «ژون إفريقيا»، وهو يتضمَّن مقالاً قصيراً بشأن أتباع أهل البيت تحت عنوان «من هم الشيعة» منسوباً إلى عالم دينيٍّ أشير إلى أنه إمام جماعة أتباع أهل البيت في ساحل العاج. وأُرفق المقال بصورة للكاتب المدعى. ولم يكن في المقال المذكور إلَّا ما يثير الشبهة والتشكيك بمدرسة أهل البيت عليهم السلام، ولم يتطرَّق إلى العقائد الحقَّة التي يؤمنون بها. وردَّأ على ذلك قام السيّد «بوماكو» من أهالي السنغال ويحمل شهادة فوق الماجستير في الفلسفة بإرسال موضوع مختصرٍ ومفيدٍ حول مذهب أهل البيت وعقائدهم إلى نفس المجلة

المذكورة لتقوم بنشره. ويتضمَّن البنود التالية :-

١ - يعتقد أتباع أهل البيت كسائر المسلمين بالله الواحد ورسوله محمَّد بن عبد الله صلى الله عليه وآله، وكتابه القرآن الكريم، وبالمعاد يوم القيامة، وبالجنة والجحيم.

٢ - يعتقد أتباع أهل البيت بعد رسول الله صلى الله عليه وآله بإثني عشر إماماً معصوماً بصفتهن نواب النبي صلى الله عليه وآله لهداية البشر والعمل بظاهر الشرع وباطنه، أوَّلهم الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، وآخرهم الإمام محمَّد بن الحسن المهدي عجل الله تعالى فرجه، وهو إمام العصر والزمان، إلَّا أنه غائب في الحال الحاضر عن الأنظار، وسيكون ظهوره في آخر مراحل التاريخ البشريِّ ليسود العدل والسلام جميع الأنام.

٣ - وفي الشريعة، يعتقد أتباع أهل البيت بالواجبات التالية : الصلوات الخمس في اليوم والليلة، والزكاة وصيام

مِن أَنْبَاءِ الْقُرَى

شهر رمضان والحج إلى بيت الله الحرام.

□ آذربيجان :

في الوقت الذي يتجه الشعب الآذري المسلم إلى الإسلام، وإلى تمتين عُرى الروابط والعلاقات مع الدول الإسلامية المجاورة، يخرج رئيس الجمهورية الآذربيجانية بتصريح يتنافى مع كل تلك التوجهات، ويتناقض مع الطموحات التي يحملها الشعب الآذري في أعماقه. فيقول : إنَّ أغلبية الشعب الآذري تعارض الأصولية الإسلامية، وأنَّ الطبقات المثقفة والوسطى في آذربيجان والتي تشكّل الغالبية العظمى لا يحبذون إقامة علاقات مع الدول الإسلامية وبخاصة الجمهورية الإسلامية في إيران. وأضاف : إنَّ دراسة بعض المعلومات الدينية ضروريٌّ للشعب الآذري لأن الإسلام يشكل جزءاً من تاريخهم.

ويتضح من خلال هذه التصريحات النهج العلماني الذي يؤمن به الرئيس

الآذربيجاني، فهو لا يعتبر الإسلام إلّا شيئاً تراثياً من تاريخ آذربيجان ، ويؤكد هذا ما صرح به الرئيس المذكور من أنَّ الدولة التركية هي الدولة المثالية، وما أثنى به على أتاتورك وعلى سياسته اللادينية التي أرسى دعائمها في تركيا والتي تحاول تركيا تصديرها إلى هذه الدول.

□ كوسوفو :

إشتدت في الآونة الأخيرة حمى العداء للمسلمين في الأقاليم الأوربية، وامتدت إلى إقليم (كوسوفو) الذي كان يتمتع بالحكم الذاتي في جنوب صربيا. ذكرت ذلك الدراسة التي أجراها معهد الأبحاث الاوربية والدفاع والاستراتيجية في لندن، وأشارت إلى أن إنتفاضة مسلحة للغالبية الألبانية المسلمة في الإقليم باتت على وشك الانفجار، وقد تؤدي إلى حرب واسعة في البلقان. وذكر الباحث ماركو فيلفوفيتش

من أنباء القُرْبَى

المختص في شؤون البلقان في جامعة برادفورد في بريطانيا أنَّ السلطات الصربية في عاصمة الإقليم قد تسعى لإثارة المسلمين لإيجاد ذريعة تسمح لهم بمهاجمتهم وإجبارهم على الهرب إلى ألبانيا، علماً بأنَّ المسلمين الألبان في إقليم كوسوفو يشكلون ٩٠٪ من السكَّان. ويحذّر التقرير من احتمال وقوع العديد من المذابح في صراع ستكون له آثاره الأمنية الخطيرة في جنوب أوروبا. ولابدّ من القول بأنَّ المسلمين هناك يعيشون حياة بائسة تحت الضغوط المختلفة من قبل القوات والجيش الصربي الذي يقوم بترويع السكَّان بشكل مخطّط ومدروس.

□ مقدونيا:

إنفجر الوضع في مقدونيا التي استقلّت حديثاً عن يوغسلافيا السابقة، حيث فرضت السلطات المقدونية الصليبيّة حالة الطوارئ في العاصمة

(سكوبيا)، وتقوم حالياً بعمليات قمع واسعة النطاق ضدّ المسلمين الألبان هناك.

وقد شهدت المنطقة مؤخراً يوماً من أسوأ الأيام التي يمرّ بها المسلمون هناك منذ استقلال مقدونيا، وذلك في أعقاب اجتماع قام به المسلمون في حيٍّ من أحيائهم احتجاجاً على ضرب طفل في الخامسة عشرة من عمره حتّى الإغماء. وقد حاصرت الميليشيات المقدونية المدعومة من قبل الجيش المجتمعين وأطلقت عليهم النار ممّا أدّى إلى مصرع ثلاثة منهم وإصابة أكثر من ٨٠ شخصاً. وتمّ اعتقال أعداد كبيرة منهم.

وقد سبق هذه الأحداث قيام الكنيسة الارثوذكسيّة في مقدونيا بإصدار قرار بوضع الصليب على قمم بعض الآثار الإسلاميّة. وقد احتجّ المسلمون على هذا القرار وطالبوا بإزالة الصلبان، وشهدت العاصمة حملات واسعة من التفتيش، بالإضافة إلى تحرّكات عسكريّة مكثّفة وحملات تفتيشيّة تعرّضت لها بيوت

مِن أَنْبَاءِ الْفَرَجِ

المسلمين الألبان.

□ الهند :

هَدَّدَ رئيس الحزب الهندوسي المتطرّف المسلمين في الهند بالطرد من البلاد إذا لم يتماشوا مع حضارة الهند الهندوسية، جاء ذلك في مؤتمر صحفي عقده في مدينة كلهنو ذات الأغلبية الإسلامية.

وقال (مرلي متوهرجوتش) زعيم حزب (بهارتيا جاناتا) المتطرّف إنّ على المسلمين إذا أرادوا العيش بسلام وأمان في الهند أن ينصهروا في الهندوسية ويذوبوا في حضارتها، لأنّه لا مكان في الهند لأيّ دين إلّا للهندوسية.

□ الصين :

يسكن المسلمون مناطق متعدّدة من الصين، ويتركّز تواجدهم في تركستان الشرقية، وهي القسم الشرقي من آسيا

الوسطى. وقد تغيّر إسمها إلى «سينغيانغ» بعد الغزو الشيوعي لقوّات ماو تسي تونغ عام ١٩٤٩ م لهذه المقاطعة واحتلالها. وتعدّ أكبر مقاطعات الصين إذ تبلغ مساحتها ١/٥ مليون كم^٢ تقريباً، ومركزها مدينة (أورمكي)، ولغتها قريبة من اللغة التركية.

تعرّض المسلمون في (سينغيانغ) إلى الإضطهاد والقمع والقتل والتشريد، حيث نرح منهم إلى بلدان العالم المختلفة حوالي عشرة ملايين نسمة. ويحيي المسلمون التركستانيون في الصين في شهر تشرين الأوّل من كلّ عام الذكرى الحزينة لاستيلاء المحتلّين الصينيّين على بلادهم، وسحق تراثهم، وتدمير مقدّساتهم، وقتل علمائهم، وطمس حضارتهم. وتشير التقديرات الدقيقة إلى أنّ عدد المسلمين في الصين يتجاوز المائتي مليون نسمة.

ويتواجد أتباع أهل البيت في مدينة (بركان) في تركستان وفيها مسجدٌ وحسينيّةٌ ومدرسةٌ تنقصها الكثير من

مِنْ أَنْبَاءِ الْقُرَى

بدينهم، وحالتهم التي يعيشونها، لتكتشف من نشاطاتها هناك فتكسب إلى صفوفها بعض الجماعات وتحرفهم عن العقيدة الإسلامية الحقّة التي نشأوا عليها.

□ إذاعات التنصير :

ذكرت دراسة لمنظمة إذاعات الدول الإسلامية بأنه توجد حالياً أربع وعشرون محطة إذاعية تنصيرية توجه برامجها المسمومة إلى العالم الإسلامي وبلغات مختلفة. وأبرز هذه المحطات هي إذاعة (حول العالم) و (صوت الغفران) و(نداء الرجاء) من ألمانيا، و(دار الهداية) من سويسرا، و(صوت الحق) من لبنان، و(تليستار) من زائير، و(زيون) من إندونيسيا، و(كلمة الحق) من أسبانيا، و(نور على نور) من مرسليليا.

وتقوم تلك الإذاعات الأربع والعشرون بالبتّ بشكل متبادل، بحيث تكون هناك تغطية متبادلة دائمة ومتواصلة لتغطية أكثر من عشرين ساعة

المستلزمات المطلوبة. كما توجد مجاميع أخرى منهم في مقاطعات الصين الشماليّة، وكذلك في بعض القرى النائية. ويذكر أنّ عدد المساجد في الصين يربو على ١٠ آلاف مسجد كان معظمها مغلقاً. ولكن بعد نهاية حكم (ماو) شهدت الصين بعض الإنفتاح والحرية، فافتتح معظم المساجد، وأعيد فتح ١٩٠٠ مسجداً في سينغيانغ وحدها.

وإثر التغيرات التي شهدتها المنطقة، وبعد سقوط الشيوعية في الاتحاد السوفيتي ودول الكتلة الشرقية فإنّ الشعب التركستاني المسلم يتطلّع بأمل كبير نحو مستقبل زاهر يتخلّص فيه من براثن الحكم الشيوعي الصيني.

وعلى الرغم من أنّ جهل المسلمين في الصين بدينهم يكاد يكون جهلاً تاماً، فإنّ لديهم الاستعداد القوي والرغبة الشديدة الملحة في التعرف على الإسلام وتلقّي تعاليمه السمحاء.

وجدير ذكره أنّ البعثات التنصيرية قد استغلّت جهل المسلمين في الصين

مِنْ أَنْبَاءِ الْقُرَى

خمسون مسلماً على أثر مجزرة إرتكبتها عصابات التاميل وقامت بفصل الرؤوس عن الأجساد، ثم شكّلت منها هرمماً وأحرقتها بإشعال النيران فيها.

يوميّاً. وإنّ بعض هذه الإذاعات لها صناديق بريد في عواصم ومدن مختلفة، منها: بيروت، والخرطوم، ومونت كارلو، وستوتجارت، وباريس لتيسير الإتصال للحصول على المعلومات والإيضاحات.

□ فلسطين :

نشرت صحيفة (كول هعير) اليهودية معلومات موثقة عن ثمانى مذابح وحشية إقترفتها عصابات الهاجاناه والبالماخ وشتيرن ضدّ المسلمين الفلسطينيين أثناء حرب عام ١٩٤٨ م. وتستند هذه المعلومات إلى وثائق كان الصحفي اليهودي الأمريكي (دان كورتسمان) قد حصل عليها بحكم عمله الصحفي في متابعة أحداث حرب عام ١٩٤٨ م، وبقيت هذه الوثائق محفوظة لدى صديقه الصحفي اليهودي (أرييه يتسحافي) الذي بدأ بنشرها مؤكداً أنّه سمع تفاصيلها الدقيقة من (دان) نفسه الذي توفّي مؤخراً.

ويدلي (دان) في إحدى الوثائق

□ كشمير :

في محاولة لسلب المسلمين أصولهم العقائدية تقوم السلطات الهندية المحتلة في كشمير بإجبار المسلمين على التخلّي عن التحيّة الإسلامية (السلام عليكم) واستبدالها بعبارة (نمسكار) التي هي التحيّة الهندوسية. ويتعرّض المخالفون لهذا القرار الجائر إلى الإعتقال.

□ سريلانكا :

شنّت عصابات التاميل المتطرّفة هجوماً على قرية مسلمة من قرى الساحل الشرقي لسريلانكا.

وقد استشهد في هذا الهجوم

من أنباء القرى

بشهادته عن تفاصيل جريمة بشعة كان شاهد عيان لها إقترفها اليهود في مدينة (اللد). يقول (دان) في شهادته :

بعد أن تقلّصت مقاومة المدافعين عن مدينة (اللد)، بسبب كثافة الهجوم اليهودي، اضطرّ عدد من المقاتلين الفلسطينيين إلى الانسحاب عن مواقعهم، وتمتسروا في مسجد (دهمش) الصغير في قلب المدينة، فأمر الجنرال (موشه كلمان) قائد الفيلق الثالث لقوات عصاة البالماخ بدكّ المسجد بالمدفعية فوق رؤوس المقاتلين الذين لاذوا بالمسجد وتمتسروا فيه.

وبعد أن تأكّد من القضاء على من في المسجد، أحضر أربعين شاباً من الأسرى وأمرهم بإخراج جثث الشهداء من تحت أنقاض المسجد، ودفنهم في حفرة كبيرة. وبعد أن إنتهى الشباب من عملهم، أمرهم الجنرال المذكور بحفر حفرة ثانية كبيرة، ثم أمرهم بالنزول فيها، وعندما صاروا بداخلها أمر جنوده بإطلاق النار عليهم ثم أهيل التراب عليهم بجرفات جيء بها

لهذا الغرض.

وفي شهادة ثانية يروي الصحفي اليهودي (يتسحافي) أنه سمع بنفسه من (كورتسمان) تفاصيل جريمة أخرى، إقترفها اليهود من جنود فرقة كرياتى، حيث قاموا بأسر عشرة رجال من المسلمين الفلسطينيين ومعهم إمرأتان واحدة صبية والثانية عجوز، وقام جنود فرقة كرياتى اليهودية بقتل الشباب عشرتهم، ثم إغتصبوا الفتاة وقتلوا بعد جريمتهم تلك مع العجوز.

□ البوسنة والهرسك :

نشرت صحيفة اللواء الأردنية في عددها ١٠٢٣ الصادر بتاريخ ١٤ جمادى الآخرة تقريراً مفصلاً عن السجون والمعتقلات التي أقامها الصرب في البوسنة والهرسك لاعتقال المسلمين هناك جاء فيه :-

التأريخ يعيد نفسه، ونحن على أعتاب القرن الحادي والعشرين، وفي خضمّ

مِنْ أَنْبَاءِ الْقُرْبَى

اليوغسلافي في عمليّات الخطف والقبض على المسلمين من الشوارع والمنازل لاعتقالهم في المعتقلات التالية:

أ - دار إصلاحية الأحداث في حي بوتيمير.

ب - الثكنة العسكرية في لوكاتسي : وفي محل إقامة قوّاد الجيش الإتحادي ومسؤولي الحزب الديمقراطي الصربي.

ج - المنطقة السكنية القديمة للطلاب في حي فراتسا : واحتجز فيه أكثر من ٢٧ ألف مسلم، تمّ ذبح أكثر من ٥٠٠ منهم، بينما اقتيد ٣٩ مسلماً آخر إلى حي رومانيا وعذبوهم حتّى الموت.

د - الثكنة العسكرية في حي (سميزوفتسا) : وخصّصت لاحتجاز سكّان حي (فوكوشتشه) ذي الأغليّة المسلمة، وعندما لم تستوعب أعداد المعتقلين السبعة آلاف قاموا بتحويل كراج قرية (كريفوجلاستي) إلى معتقل. ه - بارسونيا : وحتّى أماكن فسادهم حوّلوا إلى معتقلات، وقد ابتكروا في

الحضارة الاوربيّة التي تزهر بنفسها، ها هي معسكرات الإعتقال التي أسّسها هتلر في ألمانيا، وستالين في سيبيريا، واليهود في فلسطين، يؤسّسها الصرب الآن في البوسنة والهرسك بقيادة الطبيب النفسي الفاشل (رادوفان كراجيتش).

وقد أصدرت رئاسة الطائفة الإسلاميّة (أعلى مؤسسة إسلاميّة في يوغسلافيا سابقاً، وفي جمهوريّة البوسنة والهرسك حالياً) تقريراً مفصّلاً عن هذه المعتقلات وعن ما يحدث خلف جدرانها من ظلم واضطهاد وممارسة لأبشع أنواع التعذيب لأكثر من ٢٠٠/٠٠٠ سجين يتوزعون على ٩٤ معتقلاً في البوسنة، و٢٠ معتقلاً في صربيا والجبل الأسود. وهذا ملخّص التقرير :-

١ - سراييفو : إستخدمت الميليشيات الصربيّة التي تكوّنت من الصرب الموجودين في المدينة والقادمين من صربيا والجبل الأسود الأسلحة الحديثة التي يمتلكها الجيش الإتحادي

من أنباء القرى

وأشرف على أعمال التعذيب في هذه الصالة رئيس الحزب الديمقراطي الصربي بنفسه المدعو (رادوفان كراجيتش).

ي - معتقل حي (سوكوتسا) : وقد جُمع فيه سكّان مدينة (براتوناتس) لضربهم بالعصي والأسلاك الكهربائية، وخنق بعضهم بالأسلاك الحديدية.

ك - المركز الرياضي في حي (هاجيتش) : وفيه قام أعضاء الحزب الديمقراطي الصربي بتدوين أسماء المسلمين قبل الحرب ثم اعتقلوهم بعد ذلك وقتلوا ٣٠٠ شخص منهم.

ل - المدرسة الابتدائية في حي (نوفي الياشا) : وفيها عددٌ كبيرٌ من المعتقلين من بينهم إمام الحي الشيخ (عمر شتولانوفيتش).

٢ - براتوناتس : استطاع الصرب حتّى ما قبل إعداد هذا التقرير إعتقال ٧٠٠٠ مسلم في الملعب الرياضي للمدينة، ثم قاموا بتقسيمهم إلى مجموعتين : تضم الأولى الشيوخ والنساء والأطفال، وهؤلاء

هذا المعتقل أسلوباً جديداً للتعذيب، وهو أخذ بعض أعضاء الجسم بواسطة أطباء مختصّين كانوا يركّزون على «العيون والأطراف»، وراح أكثر من مائة مسلم ضحيةً لهذه الأعمال الوحشية.

و - المركز الطبي القديم في حي (أليجا) : وفيه هتكت الميليشيات الصربية (أراكان) أعراض النساء واغتصبنهنّ أمام آبائهنّ وأزواجهنّ تحت شعار (نريد تصفية حسابنا مع المسلمين).

ز - المركز الثقافي الرياضي في حي (أليجا) : وقد بلغ عدد المعتقلين فيه حتّى تأريخ كتابة التقرير ٣٥٠٠ سجيناً من المسلمين والكروات.

ح - الثكنة العسكرية للمطار في حي (رايلوفتسا) : وفيه وضع الصربيون المسلمين في مستودعات البترول، وفي صناديق نقل البضائع. كما احتجزوا أعداداً كبيرةً من المسلمين في غرفٍ صغيرةٍ مغلقة، وفتحوا عليهم الغازات المسيلة للدموع.

ط - الصالة الرياضية في مدينة (بالا) :

مِنْ أَنْبَاءِ الْقُرْبَى

يزيد على عشرة آلاف مسلم، دون تفريق بين جريح أو مريض، وسقط حوالي ١٠٠٠ مسلم قتلى من جزاء أعمال التعذيب.

٥ - روكايتسه : جمع المتطرفون الصرب سكّان المدينة في إحدى المدارس الابتدائية وسرقوا منازلهم، ثم أغارت الطائرات التابعة للجيش الإتحادي على المدينة وألقت قنابل الغازات السامة على الأحياء التي يسكنها المسلمون فسقط أكثر من ٥٠٠ قتيل.

٦ - برتشكو : تحوّل ميناء المدينة إلى معتقل كبير يضم ٥٠٠٠ مسلم، وقتل فيه ٣٠٠٠ مسلم آخرون، وفي مطعم (فستاليا) أغتصبت الفتيات والنساء، ووسمو الصليب على أجسادهن، وقطعوا أنداءهن. أمّا الشباب فساقوهم إلى مسلحة الخنازير، وذبحوا أعداداً كبيرة منهم، وقد عثر على أعداد كبيرة من الجثث المحروقة، وأعداد أخرى داخل آلات تكسير الصخور.

٧ - مدينة دبوي : يوجد في المعتقل

أطلقوا سراحهم بعد أن أوسعهم ضرباً، بينما أقيدت المجموعة الثانية التي تضم الرجال والشباب إلى مدرسة (فوك كراجيتش الابتدائية) وبعد الضرب والتعذيب المكثف أخذوا إمام المدينة (مصطفى مويكانوفيتش) وقتلوه، ولم يأت الليل إلّا وقد قتلوا ٢٠٠ مسلم، ثمّ ذبحوا ٥٠٠ من الباقين وألقوا جثثهم في نهر (درينا)، ثم إستدعوا مجموعة من الأطباء لسحب دم الأحياء حتّى الموت لاستخدامه في تعويض دماء الجرحى من مقاتليهم.

٣ - فيشجراد : أعلنت الميليشيات الصربية في المدينة عن تجميع السكّان لإخراجه منها، وعندما خرج السكّان ووصلوا إلى مشارف المدينة إقتادوهم جميعاً إلى الملعب العسكري، وبدأوا في ضربهم وأخذ القتل يتساقطون ويزداد معدّلهم كلّ يوم وقد إرتفع عدد القتلى حتّى كتابة التقرير إلى ١٠٠٠ مسلم.

٤ - فوتشا : إعتقل الحزب الديمقراطي الصربي في هذه المدينة التاريخية ما

من أنباء القرى

١٢ - سانسكي موست : بعد تدمير مسجد المدينة وتهجير أكثر من عشرة آلاف من السكّان، إعتقلت الميليشيات الصربيّة ألفي مسلم، من بينهم الشيخ (محرم بوتيتش) والشيخ (درويش دروشفيتش).

١٣ - كلاموتيش : تمّ فصل جميع المسلمين في المدينة من أعمالهم، وإعتقل ٤٠٠ من الشخصيات البارزة.

١٤ - بيليتشا : تمّ عزل هذه المدينة قبل سنة من إندلاع الحرب، وقام الصربيون بإعتقال المسلمين في معتقل (افتوفتسا) حتّى بلغ عددهم أكثر من ٢٠٠٠ شخص. ١٥ - فلاسنييتسا : أحرق الصربيون ٢٠ قرية مسلمة، وقتلوا ١٠٠٠ من سكّان المدينة واعتقلوا ٣٠٠٠ آخرين في معتقل (سوشيتسا).

١٦ - زفورنيك : أقرب المدن البوسنيّة إلى صربيا، واعتقل ٣٠٠٠ في مصنع (كاراكاوي)، و٧٠٠٠ في استاد الرياضي، وكسان أوّل المعتقلين الشيخ (روفيد ياهيتش) إمام المدينة الذي قبض عليه

الرئيسي للمدينة ما لا يقل عن ٦ آلاف مسلم. ولا يعرف عدد المعتقلين في المعتقلات الأخرى.

٨ - بانيا لوكا : يوجد في جبال (مانياتش) معتقل أحتجز فيه أكثر من ١٥٠٠ سجين، وقبض على ٤٠٠ مسلم من قرية (لشينا) وما زالوا معتقلين في حالة سيئة جداً.

٩ - بوسانسكي نوفا : فتح الصرب ملعب كرة القدم لستة آلاف من المسلمين والكروات لإعتقالهم فيه، وقد أصيب عدد كبير من السجناء بأمراض نفسيّة وعقليّة جرّاء أعمال التعذيب النفسي والجسدي الوحشي.

١٠ - بوسانسكي كروبا : إعتقل الصرب ٤٠٠٠ مسلم، حيث لم يتمكّن أحد من الفرار، ووضعوا في معتقل (يسنييتسا) ومدرسة (بتروكوتجيتش) الابتدائية.

١١ - بريدور : يحتجز أكثر من ٣١ ألف سجين في ١٣ معتقلاً، ومن بين المعتقلين أحد عشر إماماً، وعضو رئاسة الطائفة الإسلاميّة الشيخ (حسن ماكييتش)، وقد أفرج عنه أخيراً.

مِنْ أَنْبَاءِ الْقُرَى

في المسجد بعد ضربه وتكسير خمسة من أضلاعه، ثم أفرج عنه بعد ذلك.

١٧ - نفسينا : أقام الصرب من الساعات الأولى لاندلاع الحرب معتقلاً جماعياً احتجزوا فيه الشيوخ والأطفال والنساء، وجمعوا في ساحة وسط المدينة الشخصيات الإسلامية البارزة وشنقوهم، ومنهم رئيس حزب العمل الديمقراطي (مصطفى جويشو) ونائبه (نافياراموفيتش).

١٨ - شكوفيتش : وفيها معتقل خاص بالنساء تحتجز فيه أكثر من ٨٠٠ امرأة وفتاة، مورست ضدّهن أعمال وحشية، كالإجهاض، وانتهاك الأعراض، والضرب المبرح لدرجة القتل، واقتياد الفتيات إلى مواقع الجنود الصربيين حتّى وصل بهم الأمر لاغتصاب طفلة في السابعة من عمرها.

١٩ - درفار : يقوم الصربون بتجميع المسلمين من القرى المجاورة في معتقل المدينة المركزي، وقد عمد الحزب الديمقراطي الصربي إلى التعتيم الشديد

على ما يدور داخل هذا المعتقل، وعدم السماح بالاقتراب منه حتّى للمنظمات الإنسانية والطبية والعالمية.

٢٠ - بوسانسكي بتروفاتس : جمع الصرب في معتقل (فروتشه) كلّ من أبدى إعتراضه على التجنيد الإجباري للمسلمين، وكلّ من طرد من عمله، ولا يوجد إحصاء لعدد المعتقلين.

٢١ - بيهاتش : أقام الصربيون في الأجزاء التي سيطروا عليها ثلاث معتقلات مركزية، (مدرسة اوراشاتس) الابتدائية وفيها ٢٠٠ معتقل، محطة الجّارات في قرية (روبتشا) وفيها ١٤٠ معتقل، (أوتوكا) في قرية (روبتشا) وفيه ١٠٠ معتقل، وأخذ عدد آخر إلى الثكنة العسكرية ولا يعرف مصيرهم كما لم يحدّد عددهم.

٢٢ - كاليوفيك : الخروج من المنازل في هذه المدينة لا يتمّ إلّا باستئذان الميليشيات الصربية، وإلّا فالمصير أحد المعتقلين وهما : معتقل (أولوجو) ومعتقل (جاسكو). ومن بين المعتقلين

من أنباء القرى

في المدينة إمامها (ياشارفوك).

٢٣- روجاتسا: تضم المدرسة الابتدائية (راجيب جينداوا) ٥٠٠ سجين يحرسهم جيرانهم من الصرب.

□ العراق :

إن أمريكا تقف في هذه السنوات على حافة نقاد احتياطيها النفطي، وقد حددت سنة ٢٠٠١ بداية القرن الحادي والعشرين موعداً لذلك النقاد، وهذا الهاجس إضافة إلى مصالح أمريكا في الشرق الاوسط وبالخصوص منطقة الخليج حداً بأمريكا إلى أن تخلق المبررات من أجل تركيز أقدامها وتثبيت مواقعها في المنطقة، وكانت حرب الخليج الثانية بين صدام والحلفاء هي الوسيلة والمبرر لخلق مثل هذا التواجد، ولمحاصرة الجمهورية الاسلامية في ايران والحد من تأثيرها.

وكلما رأت أمريكا أن مصداقية المبررات بدأت تتقلص وتفقد مؤثراتها

فانها تسعى إلى خلق الاجواء الملائمة لمزيد من التواجد في المنطقة. وكانت عمليات الحلفاء الاخيرة ضد العراق دليلاً على صدق هذه النظرة، ولقد أشارت صحيفة «الرأي العام» الكويتية إلى هذه الحقيقة فكتبت تقول : «إن الغرب يواصل الأعباء ودسائسه بمساعدة الرئيس العراقي صدام حسين، وإن الغربيين يسعون اليوم إلى خلق المبررات بهدف إيجاد الخلاف مع الجمهورية الاسلامية في ايران ليشيروا حرباً تأتي على الأخضر واليابس تنهب ثرواتنا وتملأ خزائنها من مبيعات الاسلحة».

ولقد حددت الصحيفة المذكورة الاهداف الغربية وبالخصوص الامريكية من وراء هذه التحركات، التي عبرت عنها صحيفة «جيروزالم بوست» الصهيونية بقولها : «إذا لم يتم التصدي لطموحات إيران فإن طهران سوف تنشط انصارها في ارجاء العالم لتمهيد السبل أمام الحرب العالمية الثالثة بين الاسلام والغرب».

وقد تنبأ وزير الدولة العماني للشؤون

من أنباء القري

الخارجية يوسف بن علوي بأن تستمر المواجهات بين العراق ودول التحالف، ولكن النتيجة ستكون فقط مزيداً من التدويل، ووضع مصالح المواطنين في العراق تحت رحمة القوة التي سيعقد استخدامها المشكلة أكثر. وقال : يجب عدم التعويل على استخدام القوة العسكرية في تحقيق الاستقرار وضمانه. إن امريكا وحلفاءها والقوى المتواطئة معها تضحي بشعب كامل في العراق من أجل مصالحها ليس إلا. وإن كان صدام حسين هو المقصود من وراء هذه العمليات الأخيرة، فذلك هو صدام لم تصبه ذفيرة ولم يهدم بيته صاروخ بل إن الصواريخ والقذائف استهدفت الشعب العراقي بأرواحه وممتلكاته.

ولا يبعد أن نقول أن هناك تواطؤاً من قبل صدام مع الحلفاء على تدمير ما تبقى من المنشآت والقواعد الصاروخية بشكل يحفظ لصدام ماء وجهه على أساس أن ما تمّ من تدمير لم يكن رضوخاً منه لهم وإنما كان نتيجة مواجهة عنيفة وموقف

شجاع وقفه صدام من الحلفاء. وربما يؤكد صحة هذا الرأي ما صرح به الناطق باسم الوكالة الدولية للطاقة الذرية «ديفيكي» حيث يقول : «إن القصف الامريكي للمنشآت الصناعية المتطورة جنوبي بغداد يتنافى مع القرارات السابقة للامم المتحدة. وقال : إن خبراء وكالة الطاقة الذرية تفقدوا المنشآت الصناعية جنوب بغداد ولم يدخل في مهمتهم أبداً تدمير هذه المنشآت».

وفي خضمّ هذه الفضلكات السياسية وألاعيبها الشيطانية يذهب الشعب العراقي ضحية دون أن يتحرك ضمير ويهتز وجدان الدول التي رمت نفسها في أحضان الغرب. إن بقي لها منه شيء.

□ فلسطين :

بايعاز من رئيس حكومة الكيان الصهيوني الغاصب اسحق رابين، أصدرت «محكمة العدل العليا» في «اسرائيل» قرارها بإبعاد ٤١٥ مواطناً

من أنباء القري

والشلوج المستمرة، لا تقيهم إلا خيام
وليس بحوزتهم من مستلزمات العيش إلا
وسائل بسيطة.

لقد أثارت هذه القضية ردود فعل
كثيرة وموجة استنكار على مختلف
المستويات الشعبية والسياسية. على اثر
ذلك أصدر مجلس الأمن القرار ٧٩٩
القاضي «بعودة كافة المبعدين فوراً وبكل
أمان إلى الأراضي المحتلة» ولم يكن حظ
هذا القرار بأفضل مما سبقه من قرارات
مجلس الامن التي تدن الكيان الصهيوني
الغاصب، حيث لم تحترم اسرائيل هذا
القرار ولم تعترف به رغم تحذير الامين
العام للامم المتحدة لها ومطالبتها
بالاعتراف والاذعان للقرار المذكور.
وكذلك ذكر في تقريره لمجلس الامن «أنه
يأسف لما يحصل بسبب سوء نية اسرائيل
بشكل خاص».

من جانب آخر فإن صمود المبعدين
واصرارهم على عدم التنازل ورفضهم
العودة إلا إلى فلسطين المحتلة، أعطى
بعداً إسلامياً جديداً للقضية الفلسطينية

فلسطيناً مسلماً من أهالي الضفة الغربية
وقطاع غزة المحتلين إلى لبنان، ولائحة
أسماء هؤلاء المسلمين المجاهدين تشير
إلى أن غالبيتهم من العلماء والمثقفين
وحملة الشهادات. وكالعادة فإن تهمة
المبعدين جاهزة وأسبابها مهياة سلفاً.
فقد جاء على لسان المسؤولين الصهاينة
ما وصفوه بأن هؤلاء المبعدين لا يمثلون
إلا مجموعة ارهابية متطرفة تعمل على
تحريض المواطنين وبالتالي فهي تشكل
خطراً وتهديداً لعملية السلام التي تجري
في جنيف.

إن من الملفت للنظر أن نسبة كبيرة من
المبعدين هم من العناصر القيادية في
حركة المقاومة الاسلامية «حماس»،
ومنظمة الجهاد الاسلامي أو من
المتعاطفين معهم. من هنا تتضح
الاهداف الخفية لهذه الجريمة التي
تتنافى مع أبسط الاعراف الإنسانية حيث
الظروف الصعبة التي يتعرض لها
المبعدون في هذه الايام الشتوية القاسية،
وهم في العراء عرضة للبرد القارص

من أنباء القرني

القضية باب الحوار بين «حماس» وبقية الفصائل الفلسطينية، فقد بدأت أول محادثات تاريخية بين حركة التحرير الوطني الفلسطيني وحركة المقاومة الإسلامية «حماس» بعد قضية الإبعاد بأيام قلائل وذلك لاحتواء الإبعاد السياسية للقضية وإفراجها من طابعها الإسلامي واعطائها صورة قومية وعرقية ولكن ﴿يا أيُّ الله إلا أن يتم نوره﴾

وأزاح الغبار عن حقيقة جهاد الحركة الإسلامية في فلسطين، وبالتالي فإن قضية الإبعاد أبرزت حركة المقاومة الفلسطينية «حماس» كطرف سياسي مقابل التعسف والاحتلال الصهيوني، وانعشت الاتجاه الرافض للمساومات والجلوس على طاولة الاستسلام مع العدو الغاصب والتي تجري في جنيف برعاية الولايات المتحدة الأمريكية، وأعطت زخماً جديداً لانتفاضة الحجارة داخل الأراضي المحتلة. لقد فتحت هذه



تَقْوِيمُ عِلْمِ الْعِرَاقِ الثَّانِي بِرِجْلَةِ رِسَالَةِ الثَّقَلَيْنِ

من هذا الباب تفتتح المجلة مع كل عدد من أعدادها على أصحاب العلم والرأي والاهتمامات الفكرية والآفاق الإسلامية من قرائها الكرام، وتعرض فيه تقويمهم لتتاجها. والقرأة لا تقتصر على التقويم العام للعدد، بل قد تكون قرأة في أحد موضوعاتها وغوراً في أبعاده تحليلًا ونقدًا.

ونشر في هذا العدد ما وردنا من الاستاذ اسامة البصري من تقويم للعدد الثاني من المجلة يبحث في الشكل والمضمون الاجمالي شاكرين له هذا الجهد والاهتمام خدمة لرسالة الثقلين.

«التحرير»

أخيراً وبعد أن تجسّد الإسلام شريعة حية نابضة تلبي طموح الإنسان وتملاً جوانحه وآفاقه... يقف فكر مدرسة أهل البيت عليهم السلام شامخاً مهيباً متحدياً، يقبّر عن آمال الأنبياء في مسيرتهم الرسالية المبررة، ويتوّج مسيرة الجهاد والشهادة والدم هذه بإكليل السؤدد والكرامة، ويضجّ الحياة بنبع الصفاء والنقاء الذي حرمت البشرية من معينه المتدفّق طيلة عهودٍ مديدة وقرونٍ متطاولة. فبعد أن لآخ فجر انتصار العقيدة في أفق الواقع، وتبدد ظلام الكساد المطبق الطويل، شهدت الحركة الفكرية لمدرسة أهل البيت عليهم السلام تحولات فاصلة وقفزات جبّارة في حقول المعرفة البشرية بكل أبعادها.

فقد كانت قضية أهل البيت عليهم السلام تظهر تارةً وتحتجب أخرى خلف غمام الانزواء والاضطهاد والتنكيل، وكانت حينما تظهر تعبّر عن نفسها من خلال جهود فردية ينبري لها المخلصون والمتحرّقون، أو مشاريع جماعية محدودة لا تكاد تعبّر عن كل

قِائَةُ فِي الْعِدَدِ الْمَاضِي

خصوصيات هذا الكيان المنيع.

ومع هذا فإنها جهود متلاحمة تصبُّ في قناة واحدة، ويكْمُل بعضها البعض الآخر في مسيرة تكاملية راشدة تمهد لحاكمية الإسلام على ربوع الأرض جميعاً.

وقد كُتِلت هذه المسيرة الظافرة بالخطوة الجريئة التي بادر لها وليُّ أمر المسلمين آية الله السيد عليُّ الخامنئي من خلال رعايته للمجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام الذي بات مشروعه أمنيَّةً ملحةً لاهبةً ظلَّت تعيش في نفوس الموحِّدين وضمائر المؤمنين، تنتظر مَنْ يُقَيِّضُهُ اللهُ تعالى للتصدي لهذه المسؤولية العظيمة وحمل هذه الأمانة الجسيمة.

وقد لبَّت «رسالة الثقلين» تلك الامنية وكانت خطوةً حضارية فاعلة في طريق التغيير من خلال العبارة الهادفة والكلمة الواعية المعبرة.

إنَّ معنى أن تتناول (الثقلين) فكراً ومدرسة وجيلاً وامتداداً هو أننا ننضجُ الشريعة الإسلامية بكل ما لها من خصوصيات ومزايا حقيقية حيَّة، ونستعرض تفاصيلها الممتدة مع الحياة، والمستوعبة لمختلف أبعادها ومفرداتها المترامية، وهذا يدعو لأن تكون شمولية الاصدار ودقته متناسبة مع عظمة غاياته وأهدافه.

ويمكن أن تتناول محتوى العدد الثاني من خلال النقاط التالية :

١- تعميقُ الطرح وترشيده :

تميَّز الطرح العلمي في العدد الثاني بمزيد من النضج والعمق والاستيعاب، ومع هذا فإنَّ هناك مجموعة من الملاحظات يمكن تبيينها في هذا الإطار وهي :

أ - تحمل المجلة عنوان «رسالة الثقلين»، ومما لا ريب فيه أنَّ ما في المحتوى من موضوعات يجب أن يكون منسجماً مع ذلك العنوان، مع أنَّنا لا نرى التركيز الملحوظ

قراءة في المَدَدِ المَاضِي

على (الثقل الأكبر) بالشكل الذي يتوزع على الدراسات الماثلة، فمن المستحسن أن تُطرق الدراسات التي تكشف عن التلاحم الوثيق بين أهل البيت عليهم السلام والقرآن الكريم، والتي تكشف عن أسرار علومهم، وكنوز معارفهم، وخزين حكمتهم، من خلال بيان الدور التفاعلي والاندكاك التجسيدي الرائع بينهم عليهم السلام وبين القرآن الكريم.

ب - يعبر الأدب دوماً عن الحس المرهف الذي يحمل آلام الأمة وآمالها، ويجسد واقعها، ويقرأ فصولها، وبرز عواطفها من خلال الوجدان، لأنه يمثل الأداة التي تصبّ الاعتقاد في قوالب الإرهاف، فإذا ما أريد للفكر أن يسيل حركةً في ضمير الناس، وتحوّل واقعاً يتفاعل معهم، فإنه يبرز من خلال الأدب الرفيع الهادف بصورة المتنوعة وفنونه المختلفة الجميلة.

وهذا يدعو «رسالة الثقلين» لأن تحتضن الادب والادباء الرساليين، وتوجد بصفحات أكثر من المخصصة له حالياً، فيعرض الادب بكل أساليبه المعبرة والحيوية، ويستوفي النقد الادبي نصيبه.

ويمكن أن تُخصّص صفحات لاستعراض تراث مذهبنا الأدبي العتيق والزاخر بفحول الشعراء وجهازة الأدباء الذين تمرّسوا في مختلف الفنون والآداب.

ج - بما أن المجلة تنحى الطريقة العلمية في العرض والاستدلال، وتتوخى الدقة والاستيعاب والتجديد، فمن الضروري أن يتمتع باب (تعريف) بنفس المستوى من المنهجية، إذ أن الطريقة التي اتبعت في استعراض مضامين الكتاب طريقة سرديّة رتيبة لا تعطي للقارئ نظرة دقيقة ومتكاملة عنه، فمن المفصّل أن يخضع الكتاب في هذا الباب الحيوي إلى دراسة نقدية مقوِّمة، وبما حبذا لو أرفقت مع الموضوع صورةً لغلاف الكتاب الخارجي للتعريف به أكثر.

د - قُطعت بعض الدراسات المنشورة في المجلة على شكل حلقات متسلسلة، يتم استعراض قسم بعد الآخر منها خلال أعداد المجلة، ويتمّ التعريف أيضاً بشكل مقتضب

قراءة في العدد الماضي

جداً بأهم المطالب التي أدرجت في العدد السابق قبل الشروع في الحلقة اللاحقة، لكي يربط القارئ بين ماضي الموضوع وحاضره، وهذا الأمر حسن ومقبول مبدئياً، إلا أن النقطة الجديرة بالإثارة هنا هي أن هذه الطريقة يجب أن تلتزم بحد معين وسقف أعلى تقف عنده وتنتهي إليه هذه الحلقات، والذي أظنه أن أقصى ما يمكن لذلك عملياً هو عدم تجاوز الثلاث، لأنها سوف لن تكون منسجمة مع طرح المجلة الدوري الفصلي الذي يختلف ضرورة عن طرح الكتاب. وإذا ما أريد لهذه الدراسات أن تتمدد بانسيابية تامة على الأعداد، فإن هذا يعني أننا نقوم باستعراض مجموعة من الكتب ضمن صفحات المجلة.

هـ - (من أنباء القارئ) عنوان جميل وجذاب تحمله الصفحات الأخيرة من المجلة، ينطوي على نكات إبداعية ظريفة، ويحلّق بالقارئ في أجواء بلاده الإسلامية الكبيرة، ليعرفه بأهم الأحداث والتطورات المتلاحقة في مختلف الشؤون وخصوصاً المذهبية والسياسية منها، ولكن الأمر الذي قد يجعل هذه الأخبار فاقدة لشيء من حيويتها وتأثيرها، هو أن المجلة إصدار فصلي لا يمكن بشأنه متابعة الأحداث السياسية المستجدة، إذ يفترض أن مثل هذه الأحداث المتلاحقة قد ملأت سمع القارئ وبصره من خلال وسائل الإعلام اليومية والأسبوعية الأخرى، فينبغي أن تحمل هذه الموضوعات نكهة خاصة متميزة عن العرض الإعلامي المسائل ونفساً مرونياً لا يتأثر بطول الفترة الزمنية الممتدة بين العديدين.

٢- الأبواب والموضوعات المقترحة :

قد لا يصعب على القارئ أن يدرك بوضوح مدى الاختيار الواعي والتميز لأبواب المجلة المتنوعة، ومقدار التنسيق والتنظيم الحاصل في رصف هذه الأبواب وتتابعها وشموليتها للعنوان المختار، على الرغم من أن الإصدار يضع قدمه تَوّاً على الطريق

قراءة في العدد الماضي

ليقطع الخطوة الأولى في درب هذه المسيرة الطويلة.

أ - تجلّت تعاليم القرآن الكريم ومعالم مدرسة أهل البيت عليهم السلام رائعة وضاءة في سلوك الرعيل الأول من النخبة الواعية والطليلة الراشدة من محبي أهل البيت عليهم السلام، فحريّ بنا أن نقف طويلاً وبإجلال وإكبار أمام هؤلاء الخالدين ونستلهم من فصول حياتهم المسهبة دروساً بليغة من خلال باب يرجع بنا إلى أعماق تاريخنا الحافل لنعيش حياة رجال في الذاكرة.

ب - من الواضح أنّ الغاية من غزارة الطرح العلمي، والعمق الذي تتميز به موضوعات المجلة هو السعي إلى سدّ جزء من الفراغ الإعلامي والفكري الهائل الذي يعاني منه طرحننا الاسلامي الأصيل، واستقطاب أكثر عدد ممكن من القراء والمريدين، وهذا يدعو إلى تخصيص صفحات موجّهة يجتذ القارئ من خلالها نوعاً من الترويح الوجداني والاستئناس الذهني المصحوب مع الهدية في العرض والاختيار، ويتركز من خلالها على ما يحويه تراثنا من روائع تضي على الإصدار كمالاً وجمالاً وغناءً للقارئ في كل المجالات.

٣- التغير والثبات في الأبواب :

تقتضي المنهجية العلمية في التبوّب أن تحتلّ أمّهات المطالب وأصولها أبواباً ثابتة في أيّ إصدار، وتبقى الأخرى مرنة متحركة حسب الحاجة والضرورة، وقد نحت «رسالة الثقلين» هذا النهج خير منحى وجسّده خير تجسيد، ولنا هنا بعض الملاحظات ندرجها ضمن النقاط التالية :

أ - تحت عنوان (تحقيقات) المثبت في العدد الأول نزل موضوع (الثقلان في وصية الإمام الراحل)، وقد أدرج هذا العنوان ضمن الأبواب الثابتة في المجلة، وهذا يقتضي استمراره في بقية الأعداد، إلا أنّ العدد الثاني لم يشتمل عليه.

قراءة في العدد الماضي

ب - اختفى عنوان (نقد) المثبت في العدد الأول من صفحات العدد الثاني، ولم يكن واضحاً أنه باب متحرك.

ج - لم يتجسد عنوان (استكتاب) في العدد الثاني بعد أن دعت له المجلة في عددها الأول، ولعل هذا يعود إلى عدم ورود كتابات إلى المجلة لكونها حديثة الصدور، ونأمل أن تكون صفحات هذا العنوان منبراً تعتليه الأقلام التي تهدر بالحق وتسطر الولاء وتخط المستقبل المشرق للبشرية جمعاء.

وختاماً لا بد من التأكيد على أن هذا المشروع المبارك بادرة ايجابية هامة، وخطوة تستحق التقدير والإهتمام والرغد بكل ما من شأنه التطوير.



إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ

بمزيد من الأسى والأسف وافانا - والمجلة ماثلة للطبع والنشر - خبر وفاة الفقيه الكبير، المرجع الديني آية الله العظمى الميرزا هاشم الآملي «قدس الله نفسه الزكية» في قم المقدسة في الجمهورية الإسلامية في إيران.

وبهذه المناسبة الأليمة نرفع تعازينا إلى ولي العصر الحجة ابن الحسن «عجل الله فرجه»، وإلى ولي أمر المسلمين آية الله السيد علي الخامنئي «دام ظله»، وإلى علمائنا ومراجعنا العظام، وكافة المسلمين في العالم ولا سيما أتباع مدرسة أهل البيت «عليهم السلام».

إن فقد هذا الفقيه الجليل كان بحق ثلمة في الاسلام، لما كان يتمتع به من علم غزير، ودور كبير في تربية العلماء والفضلاء، وإعداد المجتهدين والفقهاء، ورغد مدرسة أهل البيت بمقومات التميز والتألق بما كان يجليه ويفيض به في أبواب معارفها الإسلامية العالية.

فإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ.

نبتهل إلى الله العزيز الحكيم أن يخلف على الحوزات العلمية وكافة المسلمين من يسد الثلمة، ويعلي الكلمة إن شاء الله تعالى.

هيئة تحرير مجلة رسالة الثقلين
المجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام

قسمة الاشتراك

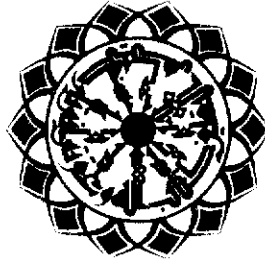
الاسم
العنوان
.....
المدينة
البلد
المهنة
مدة الاشتراك
ابتداء من
.....
عدد النسخ

الاشتراك	بلد	الارسل
السني / لمدة ٦ اشهر		
٢٠٠٠	٤٠٠٠	<input type="checkbox"/> الجمهورية الاسلامية في ايران (بالريال)
١٥	٣٠	<input type="checkbox"/> باقي دول العالم (بالدولار) (او مايعادله)

يرافق اشتراكي: ☐ صك ☐ صك بريدي ☐ حواله بريدية
أرسل هذه القسمة مع قيمة الاشتراك باسم «رسالة الثقلين» إلى أحد العناوين التاليين:
* الجمهورية الاسلامية في ايران . قم ص.ب ٣٧١٨٥ / ٨٩٤
* الجمهورية الاسلامية في ايران . طهران ص.ب ٣٥١٦ / ١٥٨١٥

الاشتراكات:

- ١- في داخل الجمهورية الاسلامية الايرانية تسدد قيمة الاشتراك السنوي (٤٠٠٠ ريالاً) بحواله مصرفية على العنوان التالي:
الجمهورية الاسلامية في ايران قم بنك تجارت شعبه مركزي رقم الحساب الجاري ٢٦١٨ (بالريال) مجلة رسالة الثقلين.
٢- قيمة الاشتراك السنوي في الخارج (٣٠ دولاراً امريكياً أو مايعادلها) تسدد بحواله مصرفية على العنوان التالي:



**THE AHL UL BAIT (AS)
WORLD ASSEMBLY**

RISALATVTH - THAQALAYN

A General Islamic Periodical

Year 1, Vol.1, No.3, december,1992 - March,1993